كاهنة دحمون

الجملة الاعتراضية
بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي

دراسة في ضوء النظرية التداولية

دار الأمل

Tél fax: 026 21 07 21
Email: Contact@editionelamel.com
www.editionelamel.com

مخبر تحليل الخطاب

Tél fax: 026 21 32 91
Email:elxitaab.lad@gmail.com
منشورات مخبر تحليل الخطاب
2012

جميع الحقوق محفوظة

الإيداع القانوني: 120– 2012
ردمك: 0 – 4 – 9069 – 9931 – 978

إهـــداء

إلى:

والديّ الكريمين حفظهما الله.

جميع أفراد عائلتي

روح خالي رحمه الله

صديقاتي، خاصّة خلوجة وغانية

نصيرة عشي

فتيحة بوسنة وأسرتها

وإلى أبي مرّة أخرى

أهدي هذا العمل

كاهنة

كلمة شكر

يعود الفضل في تقديم هذا العمل الموسوم بـ"الجملة الاعتراضية بنيتها ودلالتها في الخطاب الأدبي، دراسة في ضوء النظرية التداولية"، إلى الأستاذة:

الدكتورة آمنة بلعلى

بما قدمته من يد العون في المنهجية والمراجع، فلها كل الشكر والاحترام والتقدير.

كما أقدم شكري إلى أساتذتي وزملائي في كلٍّ من جامعة تيزي وزو والمركز الجامعي بالبويرة، الذين لم يبخلوا عليَّ بنصحهم وتشجيعهم، وأخصّ منهم بالذكر: نصيرة عشي، عمر بلخير، فتيحة بوسنّة

كهكامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

يتموقع نشاط مجموعة تيزي وزو لتحيل الخطاب بين عدة خيارات علمية، لعل أهمّها تلك التي تقدّم وسائلها العلمية للباحثين ليجعلوا من وظيفتها التطبيقية معاول لتحرير الخطابات قبل تحليلها. والباحثة كاهنة دحمون اختارت أن تتموقع في نقطة حاسمة من نقاط الدرس التداولي لتستبصر به منطق الجملة الاعتراضية في اللغة العربية من خلال طرق استعمالها في الخطاب الأدبي مراعية المسالك التي قطعتها استعمالات هذه اللغة في متون النصوص التراثية والحديثة على حد سواء. اختارت الباحثة إشارات أبي حيان التوحيدي ومرايا متشظية لعبد الملك مرتاض اللذين يمكن لنصوص أحدهما أن تكون اعتراضا لنصوص الآخر لسبب بسيط هو أن الكاتبين تشرّبا من اتساع الرؤيا وضيق العبارة فكوّنا معرفة مشتركة تقاطعت أساليبها على الرغم من بعد الزمان بينهما لتنشئ مختبرا لتجربة الممارسة العليا للغة العربية.

ولا شك أن الباحثة وجدت ضالتها في هذين النصين من أجل تحقيق الهدف الذي سعت إليه وهو معرفة مدى محافظة الجملة الاعتراضية على أطرها التقعيدية، وكيف يسهم التشكيل الأدبي في تغيير وتحويل هذه الأنماط في الاستعمال، وكيف تتأثر الوظائف التداولية بهذا الاستعمال أو ذاك. فحللت باقتدار منهجي مكونات القول الاعتراضي وضوابط بنياته ووظائفه التداولية، وكذا مقومات التماسك والانسجام النصي سواء كان ذلك في فعل القول أو في فعل الحكي، مستعينة بما وصلت إليه الدراسات الوظيفية والتداولية وتحليل الخطاب من فرضيات قامت بتحيينها وتنشيط مفاهيمها لتصبح أداة مطواعة في يدها، فتمكنت فضلا عن إبراز منطق هذه الجملة في الإشارات الإلهية وطريقة

استمالها ووظائفها التداولية إلى متابعة سيرورتها وكيف استقرت في نص حكائي معاصر، لتبيّن أن التخييل في كلا النصين نشاط لغوي تجري فيه حالات انتهاك الوظيفة الإخبارية حتى من خلال الجمل الاعتراضية، وتسهم في تبليغ مقاصد أخرى عند الكاتبين تتحكم في جملها فرضية أن الجمل الاعتراضية في لغة التخييل تقوم بتعطيل قصد الفعل الإخباري في سبيل وظائف الفعل التخييلي دون أن تطرح هذه الفرضية إشكالا على نظرية أفعال الكلام ولا على الوظائف التداولية التي اقترحها الدرس التداولي الحديث.

لقد أجادت كاهنة دحمون من خلال المزايا التي لا تحصى المقدّمة في هذا الكتاب، ولعل أهمها تيسير المعرفة التداولية المعاصرة واستثمارها بطرق بناءة قائمة بالدرجة الأولى على تقريبها من خلال الاشتغال على نصوص عربية تراثية ومعاصرة للوقوف على الفرادة والخصوصية التي تسفر عنها، فتحد مما قد يُشكِل على القارئ وهو يتعرف على المناهج المعاصرة، وهاهو مخبر تحليل الخطاب يعرض أمام القارئ عملا من أعمال مجموعة تيزي وزو لتحليل الخطاب و نأمل أن يسدّ ما لوحظ من نقص في هذا المجال وأن تتوج قراءته بالتعرف على النص العربي كيف يحيا بتحريره.

المشرفة على المجموعة

مديرة المخبر د. آمنة بلعلى

مقدّمة

يوظف المتكلم أثناء التلفظ جملا عدة في سياقات متنوعة، تكتسب قيمة أثناء الاستعمال وتستحق الدرس والتحليل، كما تعكس كفاءة المتكلم اللغوية في اختياراته وفقا لمعايير اجتماعية تجمع بينه وبين المخاطَب، والهدف الذي يرمي إليه. ولقد أولى الدارسون، قدماؤهم ومحدثوهم اهتماما بالجملة. حتى إنه غدا من الثابت أن تتخذ كمنطلق لكل دراسة نحوية أو بلاغية لوصف اللّغة وفهم أبعادها في بنيتها وطريقة نظمها، وما يرتبط بها من أغراض وأهداف يسعى المتكلم إبلاغها لمتلق في خطاباته المتنوعة. فتناولوا أنماطها وعينوا لها حدودها بالمعايير التي تتشكل عليها والضوابط التي ترسم وظيفتها بناء على مكوناتها، فتوضعت أسس لنظريات مختلفة حسب المنطلق والاتجاه في الوصف والتحليل من: وصفية وتحويلية وتوليدية وبنيوية ووظيفية.

وما يعنى به هذا البحث، هو تناول إحدى هذه الجمل التي تعتبر أحد المكونات الخارجية للغة وبالتّالي في الخطاب الأدبي في سياق استعمالها، وقد صنفت نحويا في موقعها الذي تأتي عليه من ضمن شواهد التوسيع والتوليد في الجملة من دون رابط بنيوي ولا محل لها من الإعراب. وبلاغيا أدرجت في مبحث الوصل والفصل والعلاقات الدلالية التي تنتجها وهي "الجملة الاعتراضية" La Paraphrase. وذلك من أجل تقديم وصف لبنيتها ودلالتها في الموقع الذي تأخذه والغرض الذي تأتي من أجله في الاستعمال، فتساءلنا إن كان هناك فرق بين التقعيد لها كمكون خارجي للنص، وبين استعمالها الذي يأتي عادة لتحقيق أغراض مختلفة. إذ تعتبر من ضمن كيفيات القول في الخطاب الأدبي التي يوصل بها المتكلم ما يريد قوله للمخاطَب، في موقف إبلاغي معين قصد تحقيق هدف التواصل.

يرتكز البحث على بنية ووظيفة هذه الجملة أثناء الاستعمال في الخطاب الأدبي من جانب تداولي، والدور الذي تؤديه في التعبير عن المقاصد التي ينويها

المتكلم لتوجيهها إلى المخاطَب. لتصبح شكلا دالا يقود إلى مدلولات من خلال السياق ومعطياته، والعلاقات السياقية والافتراضات المسبقة التي تجمع بين المتخاطبين.

وبما أن الجملة الاعتراضية تعد من بين الوسائل التي يوصل بها المتكلم أغراضه ومقاصده في سياق معين، سعينا في هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، وهي:

- تحديد معنى الجملة الاعتراضية في الخطاب الأدبي، بتحديد موقعها وبنيتها.
- بيان وظائفها الدلالية والتداولية في الخطاب.
- بيان مقاصدها المباشرة وغير المباشرة، التي يستلزمها الاستعمال.
- بيان أثرها في بنية الخطاب ودلالاته.

وباعتبار الجملة الاعتراضية مكوّناً خارجياً، تظهر لنا في الاستعمال لتبيان أغراض وتحقيق أهداف معينة. فقد رأينا أن المنهج الذي ينسجم مع هذه المعطيات وفق الأهداف التي نسعى لتحقيقها، هو المنهج التداولي الذي يهتم بدراسة اللّغة عند استعمالها، ليعنى بدراسة المقاصد وكيفية ايصالها إلى المتلقي في مستوى يتجاوز شكلها ووضعها اللّغوي، الذي وضعت له أثناء التقعيد لها. لتصبح في استعمالها وسيلة حركية للتعبير عن المعنى المقصود، في سياقاتها المقامية المختلفة التي أنجزت فيها، كما يعني بوظائف مكونات الجملة من جانب وظيفي، لتحقيق الكفاية النمطية في بنية اللّغة أثناء الاستعمال في علاقتها بالمعرفة المشتركة بين المتخاطبين من مواضعات ومقاصد.

كما استعنا بنظرة العرب بما قدموه من تحليلات للجملة، في مكوناتها وعلاقات بعضها ببعض، وفي علاقتها بالسياق الخارجي الذي يتطلب متكلما ومخاطَبا وسياقا بما يوافق ومنهجهم وغايتهم في الحرص على اللّغة من اللّحن لأنها أساس التواصل. من هنا فالمنهج لا يستند فقط على دراسة التركيب

والدلالة، بل يراعي أيضا المقام، أي دراسة الجملة الاعتراضية في بنيتها ودلالتها في علاقتها بمستعمليها والمقاصد التي وضعت لها في إطار المعرفة المشتركة، ليمكننا من دراسة كيفية توظيف الجملة الاعتراضية في الخطاب الأدبي، في ضوء معطيات السياق.

ولقد وقع اختيارنا على مدونتين من القديم والحديث، الأولى لأبي حيان التوحيدي بكتابه «الإشارات الإلهية» أين نجد فيه نماذج محددة وأطر ساكنة في قالبها التقعيدي. والثانية لعبد الملك مرتاض في رواية "مرايا متشظية"، والهدف من هذا الاختيار هو معرفة مدى محافظة الجملة الاعتراضية على أطرها التقعيدية، وكيف يسهم التشكيل الأدبي في تغيير وتحويل هذه الأنماط في الاستعمال، وكيف تتأثر الوظائف التداولية بهذا الاستعمال أو ذاك.

ولقد تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول، يسبقها تمهيد تناولنا فيه مفهوم الجملة والخطاب الأدبي. ركزنا فيه على ما قدّمه القدامى في تحديد مفهوم الجملة الذي أقيم على حد الإسناد، الذي يجعلها قائمة بذاتها ومستقلة يحسن السكوت عليها، من أجل الإحاطة بمفهوم للجملة الاعتراضية عندهم.

ثم حاولنا في الفصل الأوّل، أن نضع تصورا لبنية هذه الجملة اعتمادا على البنية الأساسية للجملة العربية، وهذا لوصف مكوناتها، وعرض وظائف هذه المكونات وفق البعد التركيبي والدلالي والتداولي، بما قدمه المحدثون من إضافات، ضمن إطار وظيفتها التواصلية، أي في ظروف انجازها واستعمالها في طبقات مقامية معينة، وذلك بالتركيز فيه على استعمالات الجملة الاعتراضية وفق المقام بدراسة اختيارات المتكلم والتغيرات التي تحدث من الجانب التركيبي والدلالي. أي ما يطرأ على البنية الإسنادية من عدول وما يصاحبها من وظائف، وأثر ذلك في المخاطَب وعلاقته بما يروم إليه المتكلم ضمن معطيات سياق الاستعمال.

أما الفصل الثّاني، فتناولنا فيه صيغ الرّبط والمرجع بما يحقق النّصية، بالحديث عن مقولات بناء النّص ودلالاته وما يحقق التماسك الدلالي فيه ليكون متكاملا، من شخوص وزمان مكان سواء في الرواية أو في الإشارات. ثم دراسة البناء الخرافي للنّص الاعتراضي في الرواية وما يحتويه من رموز باستلهام الرواية للنّص السردي/ الشعبي ودراسة مظاهره التي احتوت على التكرار والإسناد والإخبار.

وخصص الفصل الثالث لدراسة الحدث في القول الاعتراضي وعلاقته بغيره من النصوص لتحقيق التفاعل النّصي. حيث ركزنا فيه على دراسة ظاهرتي التناص Intertextualite والميتانص Metatextualite، لأن الجملة الاعتراضية تؤدي وظيفة التعليق والإحالة، التي تتحقق بهما هاتين الظاهرتين، وكونها موجهة إلى مخاطَب/ قارئ لإثارته وتحقيق التواصل معه. وكان هدفنا هو الوصول إلى دراسة تعني ببيان المقاصد وغايات الأداء على أساس «مطابقة الكلام لمقتضى الحال» والاستعمال في موقف تواصلي تتحول فيه الأقوال إلى أفعال تامة منجزة. وضعت لفائدة غرض مناسب، بالنظر إلى السياق التواصلي، وذلك من أجل تحديث قراءة أسلوب الاعتراض القائم على التخييل والإيهام بالواقع. وختمنا البحث بخاتمة، أبرزنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

ولقد استند البحث إلى مراجع ومصادر في النحو والبلاغة واللسانيات الوظيفية التي تعرضت بالدراسة إلى بنية الجملة ووظائفها في السياق وعلاقتها بالمقام الخارجي مثل ما قام به تمام حسان من وصف للّغة العربية من جانب وظيفي، في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" متأثرا بنظرية النظم للجرجاني قديما، وبنظرية سياق الحال لفيرث Firth حديثا. وبما قدمه أحمد المتوكل في وصف اللّغة العربية من جانب تداولي في كتابيه: "الوظائف التداولية في اللّغة العربية" و"آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي"، لتبيان وظائف مكوّناتها، سواء كانت حاملة لوظائف داخلية أو وظائف خارجية، انطلاقا من نظرية النحو

الوظيفي مع سيمون ديك Simon Dijk وقواعد تحديد الوظائف وإسنادها في الجملة، المرتبطة بالمقام الذي يحمل الوضع التخابري والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، مع اعتبار السياق الذي يساهم في تحديد المقاصد والمعاني المستعملة في العمل اللّغوي لإيصالها إلى المتلقي.

وفي دراسة مقولات بناء النّص والتفاعل النّصي وتجلياته، تم الاعتماد على كتاب "انفتاح النّص الروائي" لسعيد يقطين، وكتاب "Palimpsestes" لجرار جينيت. وكتاب "مدخل إلى علم النّص (مشكلات بناء النص)" لـ"زتسيسلاف واورزنياك"، ترجمة: سعيد حسن بحيري. إضافة إلى مراجع أخرى في التداولية، أهمها: "نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)" لجون أوستين، ترجمة: عبد القادر قينيني. "التداولية اليوم" لآن روبول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني.

لقد واجهتنا صعوبات مرتبطة بنقص المراجع وتحديد المصطلحات لاختلاف الاستعمال عند الترجمة لعدم توفر المصطلح المناسب، وكان لهذا تأثيره السّلبي على البحث. وعلى الرّغم من دراسة الجملة الاعتراضية من حيث البنية والدلالة، دراسة تداولية للإلمام بأحوالها، إلاّ أنّ هناك جوانب أخرى تبقى قابلة للتوسع والدراسة، ولذلك اكتفينا بما نراه يخدم البحث في أقسامه ولو بالقسط القليل.

عرض المدونة

1- الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي:

يجسد لنا التوحيدي بنصوصه التي جاءت في فقرات متناثرة، إشارات للسّالكين إلى طريق الهداية والتصوف، وهي حافلة بالتسبيح وبالتذلل إلى اللّه والتضرع له لالتماس رحمته ونعمته وعونه وهدايته. ويقع الكتاب في جزئين، وصلنا منه الجزء الأوّل وقسم من الجزء الثّاني وجاء على شكل رسائل في أدعية ومناجاة موجّهة في جلّ فواتحها إلى مخاطَب معين، له بالتوحيدي علاقة مودة وقرب وصداقة، وأين يدعوه فيها إلى المشاركة في الخطاب. يقول في الرسالة الثانية: «اسمع أيها الجليس المؤانس، والصاحب المساعد...» (ص10) وفي الرسالة الحادية عشر يفتحها بمخاطبته قائلا: « يا لسان الوقت، وواحدَ هذا الورى وعينَ الزمان: اسمع حديثي عن شوق إليك لاهب ووجد به غالب، وعين نحزك رانية، ونفس في يدك عانية...» (ص73).

وفي واحدة من الرسائل وهي الرسالة الثالثة، يجيب على سؤال كان موجها له عن نفسه يقول في فاتحتها: « وصل كتابك –وصلك اللّه بالخير وجعلك من أهله- تسألني فيه عن حالي...»(ص17). وفي أخرى مساءلة عن الغريب والغربة، جاء في فاتحة الرسالة الثانية عشر: « سألتني –رفق اللّه بك وعطف على قلبك- أن أذكر لك الغريب ومحنَه، وأصف لك الغربة وعجائبها...»(ص80).

والرسائل متشابهة في بنائها وموضوعها الذي هو التصوف وإبلاغ الرسالة الدينية إذ نجد التوحيدي يستعمل شتى الوحدات التركيبية في عباراته وينوّع من الأغراض البلاغية والأساليب في إشاراته، من نصح وأمر ونهي واستفهام وتفنن في التقديم والتأخير وغيرها مما يمكّن من تحقيق الاتصال مع الغير والتأثير عليه لحمله على ترك الدّنيا والإعراض عمّا فيها من الملذات والشهوات داعيا له وناصحا وواعظا على أن يجد في التصوف طريقا إلى الهداية والنجاة. والمواقف الموجودة فيها والوسائل الفنية المستعملة ليست في الواقع إلاّ كلا واحداً متداخلاً

لا يفهم أحدها دون الآخر. أطّرها التوحيدي في مجال خطابي واحد وهو "المناجاة والدعاء"، وهو خلاصة ما خرج به من تجربته الصوفية، فصاغها في إشارات وعبارات تعكس تقلبات وتناقضات عانى منها مع قرين السوء ليرتفع به، ويجعله صافيا في علاقته مع الله.

2 - مرايا متشظية لعبد الملك مرتاض:

الرواية عبارة عن أسئلة كثيرة، يحاول الكاتب أن يجيب عنها بأسلوب قصصي/ شعبي مما جعلها تتبنى على تصور ثنائي، تتداخل فيها الخرافة بالواقع. روايتها أشبه بحكايات جدتي التي تجعل من السامع أو القارئ يتخيل ويتخايل له لما فيها من الأخبار العجيبة والأحداث المثيرة.

وإذا كانت الإشارات الإلهية رسائل موجّهة إلى شخص، فالمرايا نصوص يقوم القارئ بالبحث عنها ويجمعها ليفهم دلالتها، فالمرآة هي التي تعكس الذات عند النفسانيين والمجتمع عند الاشتراكيين واللّغة عند البنيويين. ولكنّها أيضا استدعاء للذاكرة حين نقف أمامها، لنجد فيها راويا تاريخيا وراويا شعبيا، جعل من الأسطورة رمزا حمّلها دلالات متعددة للتعبير عن تداخلات الإنسان وتناقضاته، مما خلق فيها خيالا واسعا.

فالرواية تقوم على التخييل، وصراعات الإنسان الداخلية الواعية واللاواعية. تجعل من الوهم حقيقة ومن المستحيل ممكنا كما في الأساطير القديمة، مما جعل مدلولها أعقد من دالها. وهذا ما نستشفه من العنوان "مرايا متشظية" التي تعكس تشتتا وغموضا وانقسامات داخلية يصعب الوصول إليها بقراءة واحدة، لنواجه النّص من الداخل في دلالاته المتعددة التي هي نتاج التشكيل الجمالي والأسطوري- الخيالي للغة، ونتاج قراءات الكاتب التي نراها في نجيب محفوظ، كاتب ياسين، الطاهر وطار، رشيد بوجدرة، وبعض روايات غابريال غرسيا ماركيز. وتبدو أيضا على صلة وثيقة مع التراث السردي مع القصص القرآني وقصص ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، وأيضا مع القصص

الشعبي. ومن جهة ثانية تحيلنا على حقل تاريخي معين تعتبر مرحلة من مراحل المعاناة التي واجهها الشعب الجزائري في العشرية السوداء، في التسعينيات بكل ما يتعلق بها من مصطلحات.

وفيها محاولة للتواصل، الذي بدا مستحيلا، في زمن طغت الأنانية والقسوة فيه على القلوب والعقول، سواء كان روحيا أو جسديا لأنّ الظروف التي يتم فيها غامضة والقوانين عجيبة يحلل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال، والعلاقات فيها غير متكافئة، وتكمن في سعي شيوخ الرّوابي السّبع بالزواج من عالية بنت منصور، الفتاة البهية والجميلة والتي اختطفها العفريت- الجان جرجريس الجبار. كما أنّ ما يقوله الشّيخ الأغرّ الأبرّ للحضور يتم بواسطة منادٍ مسائي، وهو صوت يقوم بدور القانون والقوة وكل المعاني التي يتصورها الإنسان الساذج الخاضع للجهل، وتصديق الخرافات التي لا أساس لها من الصّحة.

تمهيد

ثمة نظريات لغوية حديثة، اهتمت بدراسة اللّغة باعتبارها نظاما بدءاً من سوسير في تفرقته بين اللّغة langue والكلام parole، إلا أنّ فيرث Firth يرى أن الإقرار بذلك يقتضي القول بثنائية الإنسان نفسه، لأنّه إن يكن مكوّنا من جسد وروح فليس من الممكن فصل أي منهما عن الآخر فكذلك لغته[1]. فلدراسة اللّغة وفهمها لا يمكن الاعتماد فقط على أبعادها الذّاتية، بل يجب النّظر أيضا إلى المجتمع الذي تستخدم فيه إذ هي تستخدم لتحقيق وظائف وأهداف معينة ذات خصائص محددة في مواقف اجتماعية بعينها.

والوظيفتان المرتبطتان بمقاصد الإنسان وأهدافه أثناء الاستعمال، أي من جانب تداولي،هما الوظيفة التفاعلية والوظيفة التعاملية، لأنهما يهتمان باللّغة أثناء الاستعمال:

- **الوظيفة التفاعلية**: وبها يتحقق التأثير وتحدث العلاقة بين أطراف التواصل و«تقوم بإقامة العلاقة الاجتماعية وتثبيتها»[2]. وتتضح أكثر في الأحاديث اليومية.

- **الوظيفة التعاملية**: وهي ما تقوم به اللّغة المستعملة من نقل للمعلومات المتعلقة بالوقائع والأقوال[3]، لتحقيق التواصل.

وبهاتين الوظيفتين تؤدي اللّغة **الوظيفة التداولية** la fonction pragmatique بحسب القصد الذي من أجله يسوق المتكلم خطابه. حيث تكون اللّغة شكلا من أشكال الفعل أو الحدث، أي الحدث الاجتماعي.

---

1 – كمال بشر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد، مكتبة الشباب، القاهرة، (د–ت)، ص132.

2 – ج ب براون و ج يول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود 1997، ص3.

3 – نفسه، ص3.

أما من وجهة نظر وظيفية فللغة ثلاث وظائف حسب رأي هاليداي Halliday هي:[1]

- **الوظيفة الفكرية**: وتتمثل في التعبير عن المحتوى، أي خبرة المتكلم بعالم الواقع بما فيه العالم الداخلي لوعيه الخاص.

- **الوظيفة التبادلية**: وهي الوظيفة التي تؤسس العلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها من خلال ابتكارها أدوارا اجتماعية، تشمل أدوار الاتصال كالسائل والمجيب مثلا.

- **الوظيفة النّصية**: وهي التي تجعل المتكلم قادرا على بناء النصوص، أو الرّبط بين أجزاء الخطاب الواحد، بما تقدمه له من وسائل الرّبط وخصائص السياق التي تستخدم اللّغة فيه، ليكون وحدة دلالية، وهذا وفقا لمبادئ الخطاب، وقواعده الذي تبرز فيه الآليات المستعملة في العملية التواصلية أو في سياق المقام الذي وظّف فيه.

ولتحقيق التواصل، فإنّ اللّغة لا تفهم إلاّ إذا استعملت في نصوص (شفوية أومكتوبة) بين أطرافٍ مشاركةٍ في عملية الاتصال، تؤدي فيه وظيفة أخرى هي **الوظيفة السردية**fonction narrative، حيث تكون مخزناً للمعلومات من خلال أرصدتها المحفوظة عبر التاريخ[2]. والسياقle contexte الذي يحدث فيه التواصل، هو الذي يعطي للمتواصلين المعلومات التي يتبادلونها، بما قد يحدث وقت التكلم والخلفية الاجتماعية والثقافية التي تقف وراء حديثهم. ولقد قدم هاليداي ثلاثة جوانب تحدد مجتمعة سياق النّص، تجعلنا نتنبأ بما يقوله

1 – محمود أحمد نحلة: علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، ط2، جامعة الإسكندرية2001، ص53.

2 – نفسه، ص25.

الآخرون، بالكشف عن الدلالة وربطها بالسياق المقامي الذي قيلت فيه، وهي[1]:

1- المجال: والمقصود به موضوع النّص، أي ما يدور حوله الخطاب، أو ما يلتقي المشاركون من أجله.

2- نوع المشاركة (أو العلاقة): المراد به طبيعة العلاقة بين المشاركين في النّص فقد تكون رسمية أو حميمية.

3- الصيغة: وهي الوسيلة أو قناة الاتصال التي من خلالها يتحقق النّص.

والسياق هو الذي يساهم في إحداث الفهم والكشف عن الدلالة، والنّص وفق الوظائف والمكوّنات السابقة يعتبر عملية إنتاج واستعمال وتلق، له وحدته الدلالية وانسجامه في سياق معين.

المتكلم ← الغرض والمقاصد ← صياغة الصورة

المخاطَب ← الصورة ← الوصول إلى الغرض.

إنّ للسياق دوراً في تحديد قصد المتكلم، ولقد شاع عند العرب في الدراسات البلاغية بمصطلح المقام أو «موافقة الكلام لمقتضى الحال»، الذي يعرفه تمام حسان بأنّه «جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلّم جزءاً منه، كما يعتبر السّامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم.»[2] فهناك عناصر سياقية تؤطّر عملية التواصل يمكن معرفتها من خلال الخطاب وهي: المتكلم والمخاطب والعناصر المشتركة بينهما من معرفة مشتركة وظروف اجتماعية وافتراضات مسبقة وغيرها مما له انعكاس وتأثير على العنصرين الأوّلين، وبالتّالي على ما يكوّن الخطاب بهدف تحقيق مقاصد وأغراض لإحداث علاقة التأثير والتأثر، الذي تبرز فيه الأدوات والآليات المستعملة أثناء التخاطب.

---

1 – محمود أحمد نحلة: مصدر سابق، ص 25.

2 – تمام حسان: الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1411هـ، ص332.

1) حدود الجملة/ الخطاب/النّص:

تأخذ الجملة شكلها من خلال الحديث، وتبادل الحوار بين مرسِلٍ ومرسَلٍ إليه، تستدعيها ضرورة الاتصال بينهما، لتمثل دلالات وإشارات ومقاصد تحمل محمولا فكريا وثقافيا، باعتبارها وحدة الكلام الأساسية وقاعدة الحديث أثناء الإبلاغ. فهي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه. وتتحدد ظاهريا من خلال علامات الترقيم كالنقطة أو الفاصلة، أو علامة الاستفهام أو علامة التعجب لتجعلها مستقلة في تركيبها ومترابطة مع غيرها.

ولقد عدت في اللسانيات الحديثة، من أنماط التراكيب التي تنتمي إلى اللّغة حيث يقول سوسير: « يجب أن نسند إلى اللّغة لا إلى الكلام جميع أنماط التراكيب المبنية بحسب صيغ نظامية ... وكذلك هو الأمر تماما في الجمل ومجموعة الكلمات المبنية على نماذج منظمة.»[1] لذلك كان الأساس في دراسة الخطاب الأدبي والمنطلق في ذلك، على اختلاف الاتجاهات، من بنيوية ووصفية ووظيفية هو البحث في بنية الجملة وتشكلها بحسب صيغ نظامية ما، ولم تعط لنفسها موضوعا يعلو عليها فهي لا تهتم بالجمل بعد تناولها لجملة واحدة، إذ لا ترى فيما وراء الجملة سوى جمل أخرى « فعندما يصف عالم النبات الزهرة، لا يستطيع أن يشغل نفسه بالباقة.»[2] لتعتبر أصغر وحدة قابلة للتحليل والوصف ألسنياً، سواء كان ذلك على المستوى التركيبي أو على المستوى الدلالي. وهذا يعني، أن الخطاب لا يوجد إلاّ في الجملة.

---

1 – فرديناند دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، تعريب: صالح القرمدي وغيره، الدار العربية للكتاب، تونس 1985، ص 151.

2 – رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص، تر: منذر عياشي، ط2،مركز الانماء الحضاري، بيروت 2002، ص31.

وبكونها نظاماً وليس مجرد متوالية من الكلمات، فإنّه يمكن تطبيق نتائجها على الخطاب بوصفه متتالية من الجمل، فنظام الجملة هو نفسه نظام الملفوظ ومن وجهة نظر اللسانيات فالخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ [1]. له قواعده ونحوه ودلالته، فما ينطبق على نظام الجملة من قوانين وقواعد يمكن أن يطبّق على نظام الخطاب، لوجود علاقة تماثلية بينهما، إذ يمكن أن تكون جملة ما خطابا كما قد يكون الخطاب جملة كبيرة أو متوالية من الجمل يخضع إلى نظام شكلي يتوفر على عناصر الجملة وخصوصياتها (زمان، ضمائر، أفعال...) يمكن وصفها لأن الخطاب ذاته منتظم ضمن مجموعة من الجمل.

وتكون مكوّنات الخطاب في حالة كونه جملة مسندا ومسندا إليه وعلاقة الإسناد بينهما، إذ يحدد الخليل وسيبويه نظام الجملة الأساسي بالمسند والمسند إليه، وهما «ما لا يغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا.»[2]. كالمبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وغيرهما. فالجملة لا قوام لها إلا بالإسناد الذي يتحقق بين المسند والمسند إليه، وأن ما يدخل على الجملة من معان أخرى لا يزيل معنى الإسناد، فلا تستغني الجملة عن أي ركن من ركنيها[3]، ويشكل معيار الإسناد، العماد الذي يوفر للجملة استقلاليتها على الرّغم من ارتباطها بالمعنى؛ بوصفها أصغر وحدة نصيّة داخل وحدة أشمل تتوالد فيها أنواع مختلفة من الوحدات البنائية الأخرى، فإذا ما تصورنا مجموعة الجمل التي يمكن التلفظ بها،

---

1 – J. du Bois et Autres : Dictionnaire de Linguistique, Larousse, Paris, V1, 1973, p157.

2 – سيبويه: الكتاب ، ج1، تح وشرح: محمد عبد السلام هارون، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي الرياض 1983، ص22.

3 – مصطفى جطل: نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، (د–ط)، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، 1978، ص 16.

نرى بأن صفتها الأكثر ذهولا أنها لا تتشابه أبدا فيما بينها [1]. ليكون هناك حديث عن الجمل التي لها محل من الإعراب، والتي لا محل لها من الإعراب «وأغلبهما داخل فيما يطلق عليه غيرهم مصطلح التفريع.»[2]. الذي به يفسر سر توسع الجملة وتوالدها.

وتعريف الجملة على هذا الأساس النحوي القائم على الإسناد، يجعلها أصغر وحدة كلامية مفيدة مستقلة بذاتها على الرّغم من ارتباطها بالمعنى، إذا كانت جزءاً من وحدة أكبر وأعم، وعلى رغم تأثرها المباشر بدلالات الخطاب ومقاصده. فيكون تركيبها في حالة الجملة الفعلية من: فعل + فاعل + مفعول به + فضلات. وفي حالة الجملة اسمية، فيكون ترتيبها على نحو: مبتدأ + خبر. وإن حدث وأن أعيد ترتيب هذه العناصر، فالعلاقة النحوية تظل كما هي، والدلالة في الخطاب تبقى هي ذاتها؛ لذا فقضية الرتبة في التقديم والتأخير لا تكون لعلّة نحوية، بل هي آلية تستعمل أثناء متطلبات السّياق، فلكلّ بنية مقام تخاطب معيّن «كل عبارة لغوية تطابق مقام تخاطب معيّن يحدد بنيتها، بما في ذلك ترتيب مكوّناتها.»[3]. فمراتب المكوّنات تُختار لأهمية متعلقة بالأهداف المراد ايصالها إلى المخاطَب، يقول سيبويه: « فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل، جرى اللّفظ كما جرى في الأوّل... وهو عربي جيّد كثير كأنّهم إنّما يقدمون الذي بيانه أهمّ لهم وهم ببيانه أعنى.»[4].

ومن الجمل الاسمية والفعلية التي يتلفظ بها ما يفيد الاستفهام والأمر والنّهي وغيرها من الأساليب التي اصطلح عليها النحاة بالإنشاء، والتي أطلق

---

1 – فردينان دي سوسير: دروس في الألسنية العامة، 129 .

2 – محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، (د–ط)، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ص147.

3 – أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي، التداولي)، دار الأمان الرباط، 1995، ص 234.

4 – سيبويه: الكتاب، ج1، ص34.

عليها أوستين مصطلح: الجمل الانجازية أو العبارات الإنشائية، حيث يقول: «...ولقد اشتق لفظ الإنشاء من فعل أنشأ وهو فعل يستخدم عادة مع الاسم الحدث، ويدل على أن إحداث التلفظ هو إنجاز للفعل.»[1]. وتكون وظيفته بموجب التّلفظ به، فبمجرد أن نتلفظ بالخطاب فإنّنا ننجز فعلا قوليا للإبلاغ عن مقاصد وفق معارف تواصلية مشتركة ولتحقيق أهداف أو أفعال انجازية، لتكون بذلك للّغة وظيفة أخرى في الخطاب وهي **الوظيفة الانجازية** المرتبطة أساسا بعملية التلفظ ذاتها. لنتطرق إليها كظاهرة خطابية تواصلية واجتماعية معا.

إنّ تأليف العناصر اللّغوية في أنظمتها على المحور الأفقي والرأسي، يتأتى في علاقات بعضها ببعض وعلاقتها بسياق الحال، الذي أصبح جزءاً مهماً في النّظريات اللّغوية، ويشمل المتكلم والمخاطب والظروف والعلاقات الاجتماعية والأحداث الواردة ليتحقق المقال ويختلف بحسب المقام، الذي لا يظل نفسه في الزمان، إنّما يتغير بفعل تغير مجرى الأحداث، وكلّ يحقق أثره الدلالي الذي يبرز في الأقوال الإنشائية المختلفة التي تتحول إلى أفعال كلام Acte Parole، حين التلفظ بها من طرف المتكلم، لتحقيق أغراض انجازية، بهدف التواصل وضمان استمراريته.

يقوم الخطاب الشفهي والكتابي على أساس النظام في استعمال واختيار الملفوظات التي يوزعها المتكلم بحسب مقاصده وأهدافه. وتراعي الكتابة مقاييس في تحديد النصوص الدلالية باستعمال أدوات الرّبط والتماسك، لتؤدي غايتها الخطابية في التأثير والإقناع. فيختار المتكلم في خطابه جملا وفق معيار لغوي، يعتمد على النحو في وضع القواعد وتصنيفها. وعلى معيار اجتماعي، بالنّظر إلى مدى امتثالها لمتطلبات السياق الذي يجمع بينه وبين المخاطَب،

---

1 – جون أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلمات)، ترجمة: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، 1991، ص17.

والأهداف والمقاصد التي يريد إبلاغها، والتي تستلزم شكل الخطاب. وتصنيفا للجملة العربية، في اللسانيات الوظيفية، يقترح أحمد المتوكل تقسيم الجملة العربية من حيث عدد الحمول التي تتضمنها إلى قسمين: جملة "بسيطة" وهي التي تتضمن حملا واحدا. وجملة "مركبة" وهي التي تتضمن أكثر من حمل واحد، إذ يمكن أن تتوارد في نفس الجملة حمول متعددة مستقلة عن بعضها البعض ويصل هذا النّوع من التواجد في نمطين من الجمل: الجمل المتضمنة لحمل "اعتراضي" والجمل المكوّنة من حمول متعاطفة. إلاّ أنّ هناك فرقا بين هذين النّمطين من الجمل إذ أن الحمول المتعاطفة رغم استقلال بعضها عن بعض، ترتبط فيما بينها بواسطة رابط بنيوي، في حين أنّه لا يربط الحمل الاعتراضي بالحمل المعترَض أي رابط بنيوي[1].

وعلى هذا الأساس، نجد الاعتراض حاضرا في غالبه عند أبي حيان التوحيدي (414 هـ) في رسائله الأربعة والخمسين والعشرة المختصرة [2]، وقد بني على ركنين أساسين هما مخاطَبة شخص ما وغرض الدعاء أو المناجاة له كي يجد في التصوف طريقا إلى الهداية والنجاة، في جمل اسمية وفعلية مستقلة بذاتها، تحمل من الأساليب ما يشد انتباه المتلقي، بما يلائم الوضع التخابري المشترك. ويتجاوز عبد الملك مرتاض هذا الغرض في روايته "**مرايا متشظية**"[3]، ليثبت بها الخبر والحكي ويحيل إلى مواضيع أخرى في النّص أو خارجه حتى يضمن تتابع الأحداث، وإعطاء المعلومات الصحيحة للمخاطَب باعتماده على الإسناد والتكرار، للإقناع والتأثير. الأمر الذي يدفعنا إلى الحديث عن موضوع

---

1 – محمد المختار ولد أياه: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ط1، دار التقريب بين المذاهب الاسلامية2001، بيروت، لبنان، ص 697.

2 – أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، تحقيق، وداد القاضي، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1982.

3 – عبد الملك مرتاض: مرايا متشظية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

تجسدها الفعلي في النّص أثناء أسلبة الحكي، بانتقالها كتقنية شفوية إلى تقنية كتابية، وباعتبار أن أي نص هو خطاب أو فعل لغوي[1] مترابط ومتماسك الأجزاء ينجزه كاتب لقارئ. لذا، فهي بالنسبة لنا تعد نصاً أو بنية نصيّة تتداخل وتتفاعل مع نصوص أخرى في الرواية، إذ يمكن للنّص أن يكون جملة « وقد يتفق أن يكون النَّص جملة كما قد يكون كتابا كاملا.»[2]، وأن يكون أيّ شيء، من مثل واحد حتى مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة [3]. بهذا فإن أصغر وحدة نصيّة تقدم معنى مفيدا هي الجملة، لاحتوائها على الرّبط النّحوي Cohesion والتماسك الدلالي Coherence، تعبّر عن مقصدية المتكلم.

والنّص عند بارت هو ما يدرك بالحس البصري، وما يظهر من مساحة الأثر الأدبي، وهو نسيج الألفاظ، مرتبط من حيث تكوينه بالكتابة "النّص المكتوب"، ربما لأنّ مجرد وصف الحروف ولو أنّه بقي تخطيطا فهو ايحاء بالكلام وبتشابك النسيج، فكلمة نص تعني من حيث أصلها النسيج[4]. أي أن الكتابة تحققه على نحو فعّال، وتظهره للعيان مما يوفّر له الثّبات.

وهذا ما اعتمده التوحيدي في الإشارات الإلهية، التي أمكن تحديد الجملة الاعتراضية فيها بين - مطتين- ، وهذا ما يجعلها مغلقة في عالم خاص بها، وتشكل وحدة بذاتها مثلما سنوضحه، وهذا يعني أنّه من الممكن أن يتكوّن النّص من جملة. أمّا في مرايا متشظية، فعبد الملك مرتاض يتجاوز الحدين الفاصلين، إلاّ فيما نراه واضحا في «أهو جمال عالية بنت منصور المقيمة؟

---

1 – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان،2001، ص12.

2 – رولان بارت: نظرية النص، ترجمة، منجلي الشملي، ص63.

3 – محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب،ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1991، ص 69.

4 – رولان بارت: نظرية النص، ص69.

أم التي كانت مقيمة؟ أم التي سوف تقيم –**اختلف الرواة ونقلة الأخبار الصحيحة**- بين القصور.»[1]. لعدم الوثوق من الخبر والاختلاف فيه. وفي «القصر الذي يقول أحد الرواة –**وخلافا لما تقدم**- بأنّ الذين بنوه أخيار وصالحون.»[2]. وهذا نفي لأن يكون العفريت جرجريس هو الذي بنى القصر فيقوم بإدماج الاعتراض ضمن النصوص أو الوحدات النّصية الأخرى لتتفاعل معها، وذلك إمّا بحذف هذه التقنية وتعويضها بالفواصل، أو بترك مجال استكشافها لدى القارئ. فيمتد بذلك النّص ويفهم على أنّه مركب من عدّة نصوص، نتيجة لما تحدثه عملية التناص Intertextualite. ففي فضاء النّص تتقاطع أقوال عدّة مأخوذة من نصوص أخرى، ممّا يجعل بعضها يقوم بتحديد البعض الآخر ونقضه [3]. لكي يتمكن المتكلم/الكاتب من التعبير عن الفكرة ذاتها بطرق مختلفة لتقريبها من المخاطَب/القارئ فيكون بذلك قادرا على الفصل بين نصوص مترادفة ومتباينة من النّاحية الشكلية باعتبار أنَّها ذات معنى واحد، بتكوين نصوص واصفة وأخرى شارحة أو مفسرة. لتحمل وظيفة نصيّة هي الميتانص Metatextualite، كبنية قائمة بذاتها، وهذا ما يجعل النّص مفتوحا لقراءات ودلالات عدّة، يكتشفها القارئ انطلاقا من امتلاك مرجعية ثقافية ولغوية معينة، تجعله عالما بمصادر العمل الفني.

---

1 – الرواية، ص18.

2 – نفسه، ص19.

3 – سعيد حسن بحيري: علم اللغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة 1997، ص111.

2) الجملة الاعتراضية: La Paraphrase

جاءت الجملة في لسان العرب أنّها جماعة كلّ شيءٍ بكامله من الحساب وغيره. يقال أجملت له الحساب والكلام. قال تعالى: (لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً)[1].

والجملة هي أصغر وحدة خطابية مفيدة مستقلة بذاتها، وهذا على أساس الإسناد. يمكن لها أن تمد المخاطب بخبر وإعلام ومواقف بأساليب مختلفة، قد تخرج عن النمط المألوف لبناء الجملة وفقا لاختيارات المتكلم في ايصال المعنى وغاياته. وهذا لإضفاء قيم فنية وجمالية على حديثه، فيتخذ لأجل ذلك إمكانيات عديدة لتحقيقها من فصل ووصل، وتقديم وتأخير يدخل ضمنها ما يسمى بالاعتراض، الذي يعتبر إحدى الوسائل التي تلفت الانتباه إلى غايات المبدع، في العملية التواصلية سواء كان شفاهة أو كتابة.

وعند الغرب ينحصر معنى La Paraphrase في التعبير بجملة طويلة عن جملة قصيرة[2]، أو بما يسمى أيضا بإعادة الصياغة، وكثيرا ما تقع في اعتراض لتجزئة الكلام خاصة في الخطابات الشفوية.

ولقد جاء الاعتراض في مادة (ع ر ض) في لسان العرب، من اعترض يعرض اعترض بمعنى عرض الشيء، انتصب وصار عارضا، ويقال اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه، أي أن هناك ما يقع عارضا بين الأشياء [3]. وجاء أيضا في قوله تعالى:(فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ)[4] أي واسع الكلام، والكلام العريض المتسع بالاعتراض. يقول الزركشي في تعريفه للاعتراض، هو: « أن يؤتى في أثناء كلام

---

1 – ابن منظور: لسان العرب، مادة (ج م ل)، مؤسسة الكتب الثقافية، دار صادر، بيروت، 1992، ص 167.

2 – G. Mounin : Dictionnaire de la Linguistique, P.U.F, Paris, 1974, p : 284.

3 – ابن منظور: لسان العرب، مادة (ع ر ض)، ص165.

4 – سورة "فصلت": الآية 51.

أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ولا يفوت بفواته فيكون فاصلا بين الكلام والكلامين لنكتة»[1] أي أنّه يأتي لفائدة وغرض. إذ قد تفاجئ الجملة الاعتراضية الكلام المتصل فتفصل بين عناصره لغاية وذلك ظاهر في الوضع، فهو جزء لا بد منه فيقال: «الشيء معرض لك: موجود ظاهر لا يمتنع.»[2]. كما لا يكون في أوّل الكلام، فإنّه إذا اعترضت الشّهر: إذا ابتدأته من غير أوّله [3].

والجملة الاعتراضية لدى النحاة العرب، لا محل لها من الإعراب، أي أنّها لا تمثل عنصرا إسناديا ولا غير إسنادي في الجملة، وتعترض بين عنصرين متلازمين أو بين شيئين متطالبين والتطالب هو أن يطلب كل منهما الآخر[4]. فالفعل يطلب فاعله والمتعدي منه يطلب مفعوله والمبتدأ يطلب خبره، والشرط وجوابه، وحرف الجر ومتعلقه، والقسم وجوابه، والحال وصاحبها وغير ذلك « لإفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسبا.»[5]. أي تقوية وتأكيدا للمعنى.

يتبين لنا مما سبق أن الاعتراض كلام يقع بين أجزاء الكلام، التي من خواصها الترابط والتسلسل والتلازم، ليفصل بينها، يقول أبو هلال العسكري: « هو اعتراض كلام في كلام لم يتم ثم يرجع إليه فيتمه.»[6]. إنّه يعتمد أساسا

---

1 – بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار الفكر، 1980 ص56.

2 – ابن منظور: لسان العرب، ص167.

3 – نفسه: ص 167.

4 – محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص82.

5 – ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عند كتب الأعاريب، تحقيق محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، مصر (د–ت)، ج2، ص506. و شذور الذهب، تحقيق محمد السعدي فرهود وغيره، دار الكتاب اللبناني، بيروت ودار القاهرة، مصر، 1999، ص344.

6 – أبو هلال العسكري: الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981، ص441.

على تحريك الألفاظ من أماكنها الأصلية التي وضعت فيها أو إبعاد عنصرين من حقهما الاتصال ليفسح المكان لعناصر أخرى جديدة بينهما، يمكن أن تكون مفردة أو مركبة تلفت الانتباه إلى أمر آخر له بعد دلالي في الخطاب الأدبي، يكون مرهونا بإدراك موقفها الايصالي وموقعها فيه، كما لا يكون متوقعا «مثل الحسنة تأتي من حيث لا نرتقبها.»[1]، وتتحدد في النّص بحسب موقعها، والسياق الذي وردت فيه.

فالاعتراض يأتي جملة فيما يفيد، مما جعل البلاغيين والنحاة يرصدون مقامات تسمح بدخول المعترض به، بهدف تقوية المعنى وتسديده وتحسينه، ونجد من بينهم «ابن جني» في تعريفه للاعتراض، بقوله: « اعلم أن هذا القبيل من العلم كثير، قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ومنثور الكلام، وهو جارٍ عند العرب مجرى التأكيد... ولا يستنكر أن يعترض بين الفعل وفاعله والمبتدأ وخبره، وغير ذلك مما يجوز الفصل فيه بغيره...»[2] فالجملة الاعتراضية قد تفصل بين: الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، أو الفعل والمفعول، أو بين اسم إن وخبرها، واسم كان وخبرها، أو بين القسم وجوابه، أو بين الشرط وجوابه، أو بين الصفة والموصوف، والصلة والموصول والجار والمجرور، والمؤكد والمؤكد، والمضاف والمضاف إليه والمعطوف والمعطوف عليه [3].

إنّ لها من الخصوصيات ما يجعلها تفرز لنا أشكالا دلالية في أساليب متنوعة ومتجددة توصل للمتلقي إشارات ومواقف وحالات تعبر عن معان أرادها المخاطَب ليكون لها دور في التوصيل والتبليغ، في موقعها التوسعي ودخولها

---

1 – الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب اللبناني1985، ص146.

2 – أبو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد النّجار، ط2، دار الهدى للطباعة، بيروت، ص335.

3 – مختار عطية: علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دراسة بلاغية، (د.ط)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص165.

المفاجئ. قد تأتي جملة شرط أو نداء أو قسم، وهذا وفقا للغرض الذي يهدف إليه المتكلم وطبيعة مضمون كلامه. ويأتي أيضا الاعتراض بأكثر من جملة، قد تكون اثنتين وثلاث، كما يمكن أن تكون متتابعة، كالاعتراض مثلا بجملة بين أجزاء جملة معترضة، وهذا من الاستعمال قليل ويسمى الاعتراض في الاعتراض[1]. وقد تأتي في آخر الكلام، فتكون "تذييلا" والتذييل هو: « تعقيب جملة بجملة أخرى تشتمل على معناها بعد إتمام الكلام.»[2]، أي عقب جملة تامة، ثم يأتي التذييل ليؤدي وظيفة أخرى مرتبطة بالمقام ومقاصد المتكلم، وهذا ما سنراه لاحقا.

لقد اهتم العلماء والدارسون، بدراسة الجملة المعترض فيها في بنيتها ودلالتها دون الاهتمام بالجملة المعترِضة في مكوناتها وأحوالها، لذا فإنّ الغاية من دراستنا سيكون تقصي أبعاد الجملة الاعتراضية في بنيتها للوصول إلى فهم مكوّناتها والوسيلة في ذلك، سواء كان ذلك من جانب تركيبي نحوي، أو من جانب دلالي أو تداولي. وهذا لمعرفة الوظائف التي تؤديها في بنيتها، لنصل إلى الحديث عن تماسكها ووحدتها ووظائفها النّصية، لأنّها جزء من وحدة أعم وأشمل، هو النّص من خلال نوعين أدبيين هما الرسالة والرواية.

1 – رابح العربي: أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشاف للزمخشري، دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001–2002، ص 55 وما بعدها.

2 – بدوي طبانة: معجم البلاغة العربية، ط1، منشورات جامعة طرابلس، 1977، ص525.

الفصل الأول

مكونات القول الاعتراضي وضوابط البنية والوظيفة

- **تمهيد.**
- **المبحث الأول:** البنية والوظائف التركيبية والدلالية:
  1) مكونات البنية الأساسية.
  2) وظائف البنية التركيبية:
     أ – الاختيارات النظمية.
     ب – التراكيب العدولية.
- **المبحث الثاني:** الوظائف التداولية للجملة الاعتراضية:
  1) وظائف المكونات الداخلية:
     أ – وظيفة المحور.
     ب – وظيفة البؤرة.
  2) وظائف الشكل الخارجي:
     أ – وظيفة المنادى.
     ب – وظيفة المبتدأ.
     جـ – وظيفة الذيل.

تمهيد:

يتخذ الخطاب بوصفه ملفوظا أو بوصفه استعمالاً من الجملة بمفهومها التلفظي في السياق منطلقا له، فعندما يتلفظ بها في سياق معين، فإنّها تعبر عن بنية دلالية عبر بنية إخبارية. والبنية الإخبارية هي «البنية التي تحدد العلاقات القائمة بين مكونات الجملة حسب المقام.»[1] لتحمل مكوناته وظائف تتحدد وتتنوع بحسب السياق وتتحدد بذلك البنية الدلالية في علاقاتها النحوية رغم اختلاف البنية الإخبارية. إذ إن للمتكلم خيارات متعددة في طريقة تركيبه للأنماط اللّغوية التي يستعملها وفق مقاصد معينة، أمّا السياق والموقف أو الوضعيات والظروف المحيطة به أثناء الاستعمال فهي التي تساهم في تأويل أو تحديد الغرض الإبلاغي والتواصلي، أو ما يسمى عند العرب بالمقام.

ولقد اهتم العرب القدامى بالمقام والمقال مما يعدّ جوهرا في النظرية التداولية وهذا ببيان ما يريده المتكلم من أغراض في مقامات متعددة، في استعمالاته المختلفة للتراكيب وفي صياغات وقف عندها النحاة والبلاغيون، فنظروا إلى الأثر الناتج عن الرسالة، والمقاييس والشروط- أو ما يسمى حاليا بالأدبية- التي تجعل من الخطاب جيداً وناجحاً، كما ركزوا على عناصر الخطاب من مرسل ومتلق ورسالة، وعملية التأثير والتأثر والنوايا والقصد وغيرها، حيث «تحظى نظرية التأثير والمقام حاليا بعناية كبيرة في السيميائية، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو التداولية. »[2]، مما جعل التداولية بلاغة جديدة.

---

1 – أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص71.

2 – محمد العمري: البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص293.

عرّف صلاح فضل التداولية بأنّها تعني بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللّغوية وخصائصها، من خلال مظاهر العدول والانزياح التي يختارها المتكلم، لإبلاغ مقاصده واحتياجاته الدلالية في مقام وموقف إجراءات التواصل بشكل عام، مما يجعلها ذات صبغة تنفيذية عملية[1]. تستهدف توضيح ما يحدث من جانب المخاطَب أو القارئ الذي تنتهي عنده عملية الاتصال، ودراسة علاقة النشاط اللّغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللّغوية في السياقات والمقامات التي ينجز فيها الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية[2]، من مقاصد ونوايا المتكلم ومن يشاركه الحدث الكلامي، والمعرفة المشتركة بينهما التي تُكتسب أثناء التخاطب، ومن ظروف وظواهر تؤثر في إنتاج اللّغة نحويا وبلاغيا، فهي مرتبطة بسياق داخلي يكوّنها وخارجي يؤثر فيها وتنحرف به عن القاعدة المألوفة وتخرقها حسب المقصد والسياق أو المقام الذي تجري فيه عملية التواصل.

لذا سنسعى هنا إلى دراسة الجملة الاعتراضية في المدونة، في بنيتها من وجهة تركيبية ودلالية وتداولية، ذلك أن التركيب النحوي له وظيفته ودلالته، ومقاصده وغاياته في الاستخدام في مقام معين. ولقد ترك لنا القدامى، أعمالا تناولت تحليلات للجملة في سياقات مختلفة، تربط فيها بين النحو في معانيه الوظيفية والنظم في علاقاته السياقية، لتجعل الجملة في بنائها النحوي مرتبطة بسياق داخلي وخارجي له أثر بين المتخاطبين. فاهتموا بقاعدة الخروج عن المألوف أو ما يسمى حديثا بالانزياح وهذا للتمييز بين اللّغة الشعرية واللّغة العادية، فلاحظوا أن الأولى تتميز عن الثانية في طريقة الإبلاغ كونها مجموع الطاقات

---

1 – صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، (د–ط)، مؤسسة مختار للنشر وتوزيع الكتب، مصر، 1996، ص10.

2 – مسعود صحراوي: الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة اللغة العربية، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ع10، 2004، ص181.

الايحائية في الخطاب الأدبي[1]. إذ على الثانية أن تكون محافظة على المعنى، بينما الأولى تكون في حاجة إلى إبهام لإنجاز وظيفتها الجمالية والفنية فهي « غنية ومبهمة وغير واضحة. »[2] ولكي يتواصل المتكلم مع الآخرين فإنّه يستعمل شتى أنواع الوحدات الوظيفية، في تركيبها ودلالتها لإبلاغ ما يريد من مقاصد في مقام معين.

المبحث الأول

البنية والوظائف التركيبية والدلالية

1) مكونات البنية الأساسية:

إنّ البنية الأساسية للجملة هي المسند والمسند إليه وعلاقة الإسناد التي تربط بينهما، فالمسند في الجملة الاسمية هو الخبر والمسند إليه هو المبتدأ؛ أمّا في الجملة الفعلية فالمسند هو الفعل والمسند إليه هو الفاعل. والمسند هو الحكم الذي نصدره على المسند إليه، لذا هو الوحدة الأهم في التركيب وتكوينه الذي تتشكل حوله الجملة وعليه تتحدد وظائف الوحدات الأخرى فلكل وحدة وظيفتها حسب السياق الذي وردت فيه. إلاّ أنّه، ولكي تستقل الجملة لابد من وجود الطّرفين إمّا لفظاً أو تقديراً، إذ يعتبران عند أغلب النحاة عماد الجملة، ليطلقوا عليهما مصطلح (العمد) « لأنّها اللوازم للجملة والعمدة فيها، لا تخلو منها وما عداها فضلة يستقل الكلام دونها. »[3] فتكون الجملة البسيطة بهذا نموذجا للبنية الأساسية التي تقوم عليها الجملة المكوّنة أساسا من عناصر الإسناد – أي من مسند ومسند إليه – ليكون الكلام مفيدا للإخبار، وما عداها يسمى فضلة وهي عناصر غير إسنادية. وقد تكون مفعولا به أو حالا أو

---

1 – جون كوهن: بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986، ص195.

2 – فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداوليّة، ترجمة سعيد علواش، مركز الإنماء القومي، ص 20.

3 – موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصل، ج2، عالم الكتب، بيروت، ص74.

تمييزا، أو بعض العلاقات التي تنتجها بعض الوحدات كالعطف والتعليق التي لا تغير شيئا من التركيب الإسنادي. وهي عند الوظيفيين، وعلى رأسهم مارتينيه Martinet « كلّ عنصر أضيف إلى قول دون أن يغيّر شيئا في العلاقات المتبادلة بين عناصره الأصلية أو في وظائفها. »[1].

وعلى أساس التفرقة بين النّظام النحوي والحدث اللّغوي، تحدث محمد حماسة عن البنية الأساسية والفضلة، فالنظام اللّغوي هو الذي يحدد البنية الأساسية، اعتمادا على مبادئ كثيرة تستقى من إدراك العلاقات بين العناصر وملاحظة تكرارها وطريقة ورودها. والبنية الأساسية بدورها هي التي تحدد شروط العناصر التي تشغل الوظائف في الجملة، أمّا الحدث اللّغوي فهو المجال الذي ينطلق منه النّظام النحوي، لأنّه يهتم ببعض الفضلات التي لها دور فإذا حذفت اختل المعنى رغم اكتمال العناصر الأصلية والأساسية[2].

بهذا، يمكن أن نلخص بنية الجملة السطحية في: مسند + مسند إليه + فضلة.

ولقد جاءت نصوص الإشارات الإلهية للتوحيدي ومرايا متشظية لعبد الملك مرتاض، بناءً على فكرة الإسناد، في جمل اسمية (المبتدأ والخبر) وفعلية (الفعل والفاعل) مترابطة فيما بينها بواسطة عناصر لغوية تحكم قواعد النّظم في الجملة العربية المستعملة في التخاطب. وفي السياق التخاطبي ووفق شروط متواضَع عليها للمعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطَب، هناك ظواهر يعرف متى الأخذ بها للإبلاغ وجعل الوحدات كلاّ في سلسلة كلامية متوالية.

والظاهرة التي تلفت الانتباه في هذه النصوص هي ظاهرة الرّبط بشروطها وأدواتها الدّالة على العلاقات المترابطة بين الجمل لتكون منسجمة ومتماسكة

---

1 – أندريه مارتينيه: مبادئ اللسانيات العامة، ترجمة: أحمد حوحو، المطبعة الجديدة، دمشق، 1985، ص128.

2 – محمد حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربيّة، ص 244.

فيما بينها في المواقع التي وُضعت فيها لتسهم في عمليّة «التفريع»[1] الذي به يتوالد الخطاب ويتوسّع، وهذا باستخدام العطف والتفسير والإبدال والاستفهام والنداء والقسم وغيرها مما يجعل الخطاب متفرعا فيطول وتتشابك عناصره فيتم الرّبط بين حقول دلالية مختلفة بينها تلازم نحوي ودلالي.

ومن الأنواع الأخرى المستعملة في التوسيع في الجمل الاسمية والفعلية نجد الاعتراض الذي جاء «لإفادة الكلام تقوية وتسديدا»[2] وهذا في أغراضه المتعددة. فبما أنّه قد جاء في جمل مما يضمن له استقلاليته فإنّ تموقعه متصل بالعلاقات الدلالية بالجملة المعترض فيها لنجده حاضرا في جمل اسمية وفعلية قائمة على الإسناد كمقوم أساسي لها موجّهة إلى المخاطَب لتحقيق هدف التواصل معه، وهذا ما يحققه خاصة التوحيدي الذي لم يخرج عن القواعد الموضوعة للجملة الاعتراضية في البنية والموقع وذلك ما نجده في الإشارات الإلهيَّة مثلما توضحه أمثلة الجدول التالي:

الصفحة	موضع الجملة الاعتراضية	نوعها	موقعها
05	حاطك اللّه	فعلية	بين الفعل ومفعوله
08	وعن قريب يكون ذلك وتشاهد ما هناك	فعلية	بين فعل الشرط وفعل وجوابه
12	يا سيدي	فعلية	بين جملة فعلية وظرفية
13	والنفس صبة إليك	اسمية	بين الفعل ومفعوله
18	يرحمك اللّه	فعلية	بين جملتين مستقلتين
21	هداك اللّه	فعلية	بين المبتدأ والخبر
27	**وحياتكم**	فعلية	بين المبتدأ والخبر
33	أيّها العاكف على الجهالة	فعلية	بين الفعل وفاعله

1 – محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص147.

2 – ابن هشام: مغني اللبيب، ص506.

51	بسعيك وكدحك وإغلاقك وفتحك وإخفاقك ونجاحك	شبه جملة	بين الفعل ومفعوله
67	في مطاوي حالك ومناشرها وفي مياسر شؤونك ومعاسرها.	شبه جملة	بين الشرط وجوابه
75	أعني جل في نفسه فدق على من رامه، ودق في لطفه فجل على من سامه	فعلية	بين الشرط وجوابه
77	رحمك الله	فعلية	بين الفعل ومفعوله
80	رفق الله بك، وعطف على قلبك	فعلية	بين الفعل ومفعوله
101	على كل حال	شبه جملة	بين إن وخبرها
112	حينئذ	شبه جملة	بين الفعل ومفعوله
121	مسرعا	كلمة مفردة	بين الفعل ومفعوله
128	أنار الله صدرك	فعلية	بين الفعل ومفعوله
155	وحق الحق	اسمية	بين إنّ وخبرها
175	وإنما ترنحك لعائقات عاداتك وباقيات قرنائك الذين سحبوك على الضراء بالغرور وقربوك بالأماني على الدهور.	فعلية	جملة الشرط وجوابها
178	يا هذا	فعلية	بين الفعل ومفعوله

190	ولا غبطة في البقاء	اسمية	بين جملة فعلية وجملة فعلية معطوفة على الأولى
190	وكل العيش في الصفاء	اسمية	بين فعلية وجملة فعلية معطوفة على الثانية (مرتبطة بالجملة أعلاه)
193	منحك الله السول ودرك المأمول	فعلية	بين الفعل ومفعوله
201	أكرمك الله	فعلية	بين مفعولين لفعل محذوف
378	أطال الله بقاءك ، وأدام عزك حميدا مؤيدا وأنعم عليك مرفها مسددا	فعلية	بين الظرف (أما بعد) وجملة فعلية
388	اللسان لا يصنفها والعبارة لا تصرفها، والوصف لا يأتي عليها والإشارة لا تصل إليها وكل ذلك للطافة ورقة ونحافة ودقة	اسمية	المبتدأ والخبر
393	فديتك	فعلية	بين جملتين مستقلتين
407	والله	فعلية	الفعل وفاعله
409	اللّهم	فعلية	بين الفعل ومفعوله

ومن خلال هذا الجدول، نستنتج أن أبا حيان التوحيدي لم يخرج عن الإطار التركيبي للجملة العربية في استخدامه للاعتراض، الذي تضمّن في عامته أغراضا وأحكاما مستفادة من علاقته بالمخاطَب الذي نجده حاضرا. كما إننا

نلاحظ أن بعضها يفي بشرط الإسناد وبعضها الآخر لا يتقيد به كما في « فإن كنت إنّما تبغي – **بسعيك وكدحك، وإغلاقك وفتحك. وإخفاقك ونجحك**- حظًا من هذه الدنيا المشئومة، فقد ساء نظرك لنفسك، ورذل اختيارك في يومك وأمسك... »[1] وفي قوله أيضا: « ... ومتى سمعت –**في مطاوي حالك ومناشرها، وفي مياسر شؤونك ومعاسرها**- هاتف العقل فلا تحفل به؛ ومتى أحسست – **في مفترق حالك ومجتمعها، وفي مَظْعَن مُنَاك ومُرْتَبعها**- بهاجس الحسّ فلا تَعُجْ عليه؛ ومتى أوجست – **في معتقدك ومعتمدك، وفي مفاتحك ومغالقك** - خيفة من تسويل نفس وتزيين هوى، فلا تفرق منه ولا تنجذب إليه. »[2] فهذه الجمل الاعتراضية لا دلالة لها بنفسها إنّما جاءت لتتم غرض النّصح بالإيضاح والشرح بين أجزاء الجمل المعترض فيها. وننوه هنا إلى أنّ النحاة لم يشترطوا على الجملة أن تدل على معنى تام، فابن هشام يرى بأنّ الجملة توضع فيما يفيد وفيما لا يفيد، وهي أعم وأشمل من الكلام الذي لا يوضع إلا فيما يفيد، يقول في تفرقته بين الجملة والكلام « ..وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهم به كثير من الناس... والصّواب أنّها أعم منه، إذ شرطه الإفادة بخلافها. ولهذا تسمعهم يقولون جملة الشرط، جملة الجواب، جملة الصلة وكل ذلك ليس مفيدا فليس بكلام. »[3].

كما أن غلبة استخدام الجملة الفعلية كاعتراض واضح، لدلالتها على الحدث والتجدد في المقامات التي جاءت عليها للتأثير على المخاطَب بتكريسها للأحداث في زمان ومكان معيّن ليزداد بها النّص قوة وتأثيراً، خاصة الجمل الدالة على الدعاء التي دعمت حدث التواصل مع المخاطَب واستمراره باستمالته واستدراجه في الخطَاب إلى مقصوده من هذه الرسائل ببيان دور الكلمة فيها

---

1 – الإشارات، ص 51.

2 – نفسه، ص 67.

3 – ابن هشام: مغني اللبيب، ص374.

والذي يأتي غالبا بعد النداء، يقول: «يا هذا: خذ من التصريح، واستيقن ما يكون بيانا لك في التعريض... واستيقن أنه لا حرف ولا كلمة، ولا سمة ولا علامة، ولا اسم ولا رسم، ولا ألف ولا ياء، إلاَّ وفي مضمونه آية تدل على سرّ مَطْوِيٍ وعلانية منشورة...فاصرف زمانك كله في فَلْي هذه الأثناء واستنباط هذه الأنباء. على أن زمانك اقصر من ذاك، أعني أن يطول لك حتى تقف على كنه حقيقة ما في باطن ذرة من هذه القصة وهذه الإشارة، وإن كانت محدثة لليأس في النّفس الضّعيفة فإنّها مبشرة بعظم الحال في الغاية المنيفة. فاتزر – **حاطك اللّه**- بالانكماش، وارتد بالجهد واكتحل بالسهر...وحرّم على بالك أن يلمَّ به الهوينا والفتور. »[1]. وفي «يا هذا: زيّن حقيقتك بالحق، كما تزين ظاهرك بالخلق...أدرك الإشارة المدفونة في العبارة، والإيماء الذي في الإيحاء، والإيحاء الذي في الإنباء...هذه جونة لا يفتحها – **عافاك اللّه** - هؤلاء العطارون أعني الذين بعَرَقهم يسْهَكُون... ويمزجون ويخلطون ويغلطون. هذه جونة لا يملكها إلاّ العارفون... ولا يظفر بها إلاّ الواصلون... »[2]، «يا هذا:... جفَّ– **أنار اللّه صدرك** - القلم، وفني القرطاس وحصر اللّسان وما في النّفس من طيب محادثتك...»[3] واستعمال الجمل الفعلية كاعتراض تأكيد لما ذهب إليه الدارسون حين اعتبروا أن الجملة العربية جملة فعلية في الأصل، أي أنّ التركيز غالبا ما يكون في الجملة على الفعل لا على الفاعل، وهنا في استعمالها نلمس تجددا في توجيه الخطَاب والمخاطَبة التي يسعى إليها التوحيدي. أمّا ما جاء من اعتراض في جمل اسمية فهذا ما يفيد « زيادة تأكيد الكلام المعترض به لتجردها من الدلالة على الزمن. »[4] لأنّها لا تشير إلى حدث إنّما تصف الحالات.

---

1 – الإشارات، ص05.

2 – نفسه، ص61–62.

3 – م.ن، ص128.

4 – رابح العربي: أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشاف للزمخشري، ص53.

والحدث، هو محتوى الجملة وفحواها من خبر وإنشاء، وهو محور الكلام في الجملة العربية وعليه ينشأ التفاعل بين عناصر بنائها، يرد في زمن ومكان معين، له بداية ونهاية يكون مرتبطا بموضوع أو محور واحد. والمحور وظيفة تداولية تسند إلى المكون المحدث عنه في الخطَاب، ليكون بذلك"محور الخطاب" الذي تسند إليه معلومات ما (المسند إليه)، إذن فإليه يسند الحدث. وبما أن الجملة الاعتراضية موجّهة للمخاطَب وتسير في اتجاهه، فإنّ الحدث سيأتي منه وسوف يقع عليه، ذلك أنّ المتكلم هو من سيطلب منه ذلك وينتظر منه الإنجاز، والمعلومات التي يريدها حين الاستخبار. فإذا كان حدث التلفظ مرتبطا بالمتكلم، فإنّ تحقيق الحدث المتضمّن في فعل التلفظ مرتبط بالمخاطَب ليكون بذلك هو محور الحديث كونه أحد المشاركين الفعليين في الخطَاب فإسناد الحدث الكلامي إلى المتكلم سيكون مؤقتا لأنّه سينتقل إلى المخاطَب، وهذا هو الهدف الذي يرمي إليه التوحيدي، لتتم عملية التواصل بردّة الفعل والاستجابة له، من خلال حدث آخر:

المتكلم ← الموضوع ← الحدث ← المخاطَب

المحور ← ←

فهناك:

فاعل الكلام (التوحيدي) > الفعل الذي يتضمّن الحدث (واقع في الكلام) > المفعول الذي سيقوم بالحدث أو يقع عليه (المخاطَب).

ففي الموقف التواصلي، يوجد على الأقل «فاعل حقيقي وفاعل على جهة الإمكان»[1] لهما علاقة بالحدث الذي تستلزمه المواقف بهدف التغيير، فالفاعل الأوّل هو المتكلم وهو فعلي، أمّا الثّاني فإنّه لا يسجّل حضوره إلاّ من خلال المعلومات الإخبارية المتوفرة في النّص وهو متعدد، وهذا ما يجعلنا نقول أن المخاطَب ما هو إلاّ التوحيدي في حدّ ذاته « يا هذا: حدّثني الآن عنّي، واسمعني

1 – فان ديك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، ص 258.

منّي وأقل حواشي حدسي وظنّي، واثبُت لأصناف فني وعني. »[1] « يا هذا: قد وصفتك ووصفت غيرك معك وأنا غيرك، ففي وصفك وصفي، وفي وصفي وصفك... »[2] وما يدل عليهما هو المحمول (الفعل) القائم بين حالات الخبر والإنشاء. وهذه الحالات التي يدل عليها الفعل، هي أحداث تقع تدريجيا في زمان متصل ومستمر فالأفعال المستخدمة في حالة الدعاء هي أفعال تتضمن أحداثا، قد تقع في المستقبل، إلاّ أنّ لها صلة بالحدث الذي يوافق وزمن التلفظ به، فالمتكلم يرجو بها أن يقع فعل ما نتيجته تكون على المخاطَب الفرضي الذي توهمه التوحيدي، والذي دعمه بجمل اعتراضية موجّهة إليه والذي سينتظر تلك النتائج. فلها بداية ونهاية، تكون ملائمة لحالة التبادل التواصلي أو التفاعلات القائمة بين المتخاطبين وأفعالهما.

والأحداث قائمة على وحدات معرفية متواضع عليها، يمكن الحديث من خلالها عن الحدث المركب، وهو « الحدث الذي يتكوّن من عدّة أحداث تنتظم مستقيمة الاتجاه.

1 - الإشارات، ص54.

2 - نفسه، ص92.

إلاّ أنّها تدرك وتتصور كحدث واحد في مستوى الأحداث. »[1] فهي تقع في مواقف متغيرة، مستقلة عن بعضها، إلاّ أنّها تؤخذ كحدث أو فعل انجازي واحد، فالإخبار وحالات الإنشاء المختلفة من دعاء وقسم وأمر وغيرها، في أغراضها المختلفة، تحمل حوادث مركبة.

- أنار الله صدرك: حادث في حالة الدعاء وحادث في حالة التحقق، الذي يمكن له أن يستمر.

ابتداء حالة ← تغيير ← انتهاء الحالة...(استمرار)

فكل حدث يتسبب في الحدث الذي يليه، ففعل الدعاء ناتج عن حدث قبله، والحدث الذي يليه هو النتيجة المنتظرة، أو ما يسمى بالحدث المعلول أو "العلي". ومجراها يكون باعتبار الأغراض والأهداف التي تكون متأتية ومناسبة للأفعال وعلياتها:

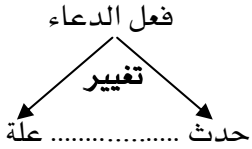

والمقاصد هي التغييرات، فإذا حدثت فهي أفعال منجزة، فالأفعال مستلزمة لحدوث مقاصد، تتبين لنا في العليات أو النتائج. وهي التي تقوم بتنظيم الأفعال، فهناك أفعال حالية تقع أثناء التلفظ وهناك أخرى هي حدث لنتيجة، وما يقع بينهما من حالات لتنتظم كما يلي:

فعل ← غرض وقصد ← نتيجة

وإذا تأملنا هذه الجمل الاعتراضية، تبعا للتقسيم الأساسي للجملة العربية من جملة اسمية وفعلية نرى أن الألفاظ فيها تحتل موقعها وتترابط فيما بينها في نسق وعلاقات تركيبية خاصة، وفي درجات مختلفة. تحكمها قواعد ومعايير في مجال معلوم وهو سياق الجملة، هذا السياق القائم على « النّسقية التي تلتئم بين

---

1 - فان ديك: النصّ والسياق، ص 228.

الكلمات التي تمثل كلّ واحدة منها موقعها في الجملة. »[1] أي تحليل العناصر اللّغوية إلى مكوّناتها، حيث درست الجملة باعتبار أنّها بنية مكوّنة من أجزاء ووحدات متصلة بعضها ببعض لها معنى، لتحقق وظيفة الإبلاغ الذي اهتم به مارتينيه Martinet فاللّسان عنده وسيلة للإبلاغ يقول: «لا نعتبر عنصرا من التركيب لسانيا إلا بموجب وظيفته»[2]. في شتى استعمالاته في السياقات التركيبية المختلفة لكي تحدث عملية التواصل بين المتكلمين.

ولقد اهتم الدارسون العرب، لغويين ونحاة، لتحديد الوظائف في الجملة في بنيتها بالإعراب. فهو لبّ النظرية النحوية والبلاغية، إنّه «الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنّك إذا سمعت "أكرم سعيدٌ أباه" و"شكر سعيداً أبوه" علمت برفع أحدهما ونصب الآخر ليتبين الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا لاستبهم أحدهما من صاحبه. »[3] فهو هنا يقصد الوظائف النحوية التي تظهر في إطار العلاقات بين الكلمات، كوظيفة الفاعل والمفعول. أمّا شكلاً فهو ما يطرأ على أواخر الكلمات من حركة وسكون. ثم إنّ كل جملة تتكوّن من كلمات، أي من وحدات معجمية يعهد إليها القيام بوظيفة نحوية محددة، فالقاعدة هنا تستلزم من كلّ وحدة معجمية داخل الجملة القدرة الدلالية على الاضطلاع بهذه الوظيفة[4] لتتحقق سلامة اللّغة التي هي وسيلة التواصل.

ولكلّ مكون سماته التي تبينه، ونجد ذلك في دراسة تمام حسان للقيود وللعلاقات السياقية، أو ما يسميه الغربيون بالعلاقات الأفقية Relations

---

1 – سمير شريف استيتيه: اللسانيات، المجال والوظيفة والمنهج، ط1،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن2005، ص204.

2 – André Martinet : Eléments de linguistique générale, Ed: Armand Colin, Paris, 1980, p 33.

3 – ابن جني: الخصائص، ج1، ص35.

4 – جون كوهن: اللغة الشعرية، ص 105.

Syntagmatiques، في التراكيب في أنظمتها المتنوعة (صرفية كانت أو نحوية) وأثرها في المعنى، التي تحكمها قرائن لفظية ومعنوية[1] تتضافر على المستوى الشكلي لتساهم في تبيان وإيضاح المعنى في الجملة. متأثرا بذلك، بفكرة النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وهذا ما نجده في قوله: « ولعلّ أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تاريخ التراث العربي إلى الآن، ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني صاحب مصطلح التعليق. »[2] والتعليق هو إنشاء علاقات بين المعاني النحوية بواسطة القرائن اللّفظية والمعنوية والحالية التي تتضافر لبيان المعاني الوظيفية –التركيبية والدلالية - .

وانطلاقا من المفاهيم السابقة، يمكن تحليل بنية الجملة الاعتراضية في معناها النحوي بتحديد موقع الكلمات أو الألفاظ فيها، وهذا بالنّظر إلى طبيعة الجملة وبنيتها وفق تسلسلها السياقي، بحسب القرائن كما يلي:

1- إذا كانت جملة فعلية، ومثال ذلك الجملة الاعتراضية « أطال اللّه طولك » فهي مكوّنة من فعل + فاعل + مفعول به.

◄ أطال: فعل وقرائنه:

- البنية: يدل على حدث وزمن (قرينة لفظية).
- الإسناد: مسند وهو عمدة (قرينة معنوية).
- الرتبة: متقدم على الفاعل (قرينة لفظية)، وكلّ فاعل يستلزم فعلا، والرتبة محفوظة.
- الإعراب: الحالة الإعرابية: مبني لأنّه ماض، والعلامة الإعرابية هي الفتحة (وهو قرينة لفظية).

---

1 – أوردها في دراسة النظام النحوي: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1979 ص177 وما بعدها.

2 – نفسه، ص186.

◄ اللّه: فاعل، لأنّه من حيث:

- البنية: اسم (جلالة).
- الرتبة: متأخر عن الفعل وهي رتبة محفوظة، وكل فعل يستلزم فاعلا (قرينة التضام- لفظية).
- الإسناد: مسند إليه –وقد يأتي نائب فاعل إذا حذف الفاعل- .
- الإعراب: الحالة الإعرابية مرفوع، والعلامة الإعرابية هي الضمة.

◄ طول: مفعول به، وقرائنه:

- البنية: لأنّه اسم.
- التعدية: يحتاج إليه الفعل (قرينة معنوية) وهو من المتممات الضرورية ورتبته هنا محفوظة لأنّه قد تكون غير محفوظة بإمكانية التقديم.
- الإعراب: الحالة الإعرابية منصوب، والعلامة الإعرابية هي الفتحة.

◄ الكاف: "ك" ضمير:

- البنية: ضمير متصل (التضام).
- الرتبة: ذات مرجع تدل عليه وهو المخاطَب، ومعنى الضمير وظيفي.
- الإعراب: هو من المبنيات، إذ لديه محل إعرابي، وهنا في هذه الجملة جاء مضافا إليه. وقد يأتي في محل نصب مفعولا به، كما في الجمل الاعتراضية: فديتك، حميتك، يرحمك اللّه.

2- أمّا إذا جاءت جملة اسمية كما في جملة الاعتراض "واللّه أعلم" فهي مكوّنة من مبتدإ وخبر.

◄ الواو: حرف ابتداء منفصل، بشهادة:

- البنية: أداة، تدل على معنى وظيفي لا معجمي، تؤدي معنى التعليق.
- التضام: لا بيئة لها خارج السياق فهي تحتاج إلى ضميمة.
- الرتبة: تحتل الصدارة فهي داخلة على الجملة.
- الإعراب: من المبنيات، لا محل له من الإعراب.
- التنغيم: وقف واستئناف للدلالة.

◄ اللّه: مبتدأ ، بشهادة القرائن التالية:

- البنية: اسم (جلالة)، يبنى عليه الكلام.
- الرتبة: متقدم (محفوظة).
- الإسناد: مسند إليه.
- الإعراب: الحالة الإعرابية مرفوع، والعلامة الإعرابية الضمة.

◄ أعلم: خبر، وقرائنه:

- البنية: اسم التفضيل، يتم به المعنى، وهو كلمة واحدة.
- الرتبة: متأخر عن المبتدإ.
- الإسناد: مسند.
- الإعراب: الحالة الإعرابية مرفوع، والعلامة الإعرابية الضمة.

من هنا ، نستنتج أن الجملة الاعتراضية في بنائها الداخلي تمثّل لنا أمرين: الأمر الأوّل هو رتبة كلّ كلمة من كلماتها والتي في تأليفها ينبني المعنى الذي يحسن السكوت عليه. والأمر الثّاني، هو العلاقة الموجودة بين هذه الكلمات، لإحداث وظيفة تركيبية تخدم أبعاداً دلالية، وتقدم معطيات حسب السياق الذي وقعت فيه، لتحقق بذلك كلّ كلمة موقعها النّحوي والدلالي. والذي به فسرت التجاوزات أو ما يسمى بالانحراف عن القاعدة أو العدول عن الأصل – إذ تكون العودة إلى أصل الجملة أولا ثم يفسر عليه التجاوز الذي أراده المتكلم أو لجواز إعرابي، وهذا حرصاً على اللّغة من اللّحن في مستواها العادي المألوف – من خلال مقتضيات الحال والمقام، ليتخذ بذلك الجانب التركيبي في رتبة الكلمات منحى تداوليا. وتصبح بذلك العلاقات بينها علاقات وظيفية أكثر منها علاقات تركيبية لتعبر عن سياق الاستعمال وفقا لاختيارات تمتاز بسمات معينة تكتسبها في مقام التخَاطب.

ولكن عبد القاهر الجرجاني لم يكتف برصد الصواب والخطأ في نظرية النّظم بل ربط بين الإمكانات النحوية ونظام اللّغة في صياغاته المختلفة

«لأنّا لسنا في ذكر تقويم اللّسان والتحرز عن اللّحن وزيغ الإعراب، فنعتد بمثل هذا الصواب، وإنّما نحن في أمور تدرك بالفكر اللّطيف ودقائق يوصل إليها بالفهم الثاقب. »[1]. فالإمكانات اللّغوية المختارة ليست قائمة فقط على الإعراب بالنّظر إلى أواخر الكلمات، بل في معرفة ما ينتج أيضا عنها من دلالة أو ما يسمى بالمعاني والأفكار فالبدوي الذي لا يعرف النحو يحسن النّظم، لأنّه « يعرف الفرق بين أن يقول: جاءني زيدٌ راكباً وبين قولك جاءني زيدٌ الرّاكبُ. ولا يضره أن يجهل عبارة النحويين بأن يقولوا في "راكباً" أنّه حال وإذا قال "الرّاكبُ" كان صفة جارية على زيد ... »[2]. فالمهم هو ما يفهم من مدلول الجمل المتلفظ بها فكلّ اختيار في الإمكانات اللّغوية المختلفة يقابل غرضا يعبّر عنه. وأي تغيير يحدث في العلاقات التجاورية بين الكلمات، إنّما يرجع إلى ما يرمي إليه المتكلم لتحقيق مقاصده، أي إلى الدلالة ومتطلباتها. فالفعل مثلا، سواء كان داخل الجملة الاعتراضية أو خارجها يدل على حدث يحتاج إلى فاعل وقد يتعداه إلى مفعول به وأحيانا إلى مفعول فيه تمثله الظروف. والمبتدأ اسم يبنى عليه الكلام وهو الموضوع المحدث عنه؛ والضمائر تدل على المتكلم والمخاطَب والغائب. وكلّها تمثل أساسا اختيارات وإمكانات استعان بها المتكلم أتاحتها له الأعراف والقواعد اللّغوية، بينت لنا جانبا دلاليا مكوّنا في الجملة، وبدخول أدوات الرّبط، التي تربط بين أطرافها تتحوّل إلى ما يسمى بالأسلوب سواء كان استفهاما أو نداء أو قسما أو نفيا.

وبما أن الاعتراض يأتي فيما يفيد لغرض ما أراده المتكلم، كما أنّه قد يأتي جملة (❖) في أنواع مختلفة، من اسمية وفعلية، فإنه في بنيته التركيبية

---

1 – عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ص130.

2 – نفسه، ص 242.

* – والجملة أعم من الكلام لكونها قد تأتي مفيدة أو غير مفيدة، عكس الكلام الذي شرطه الإفادة.

والدلالية التي يقوم عليها وتكوّنه والتي يتطلبها السياق يأتي بما يتوافق ومقاصد المخاطِب، يقوم على الإسناد كبنية مقومة لها لإفادة مخاطَب مما يجعله مستقلا بذاته في معناه التركيبي، حيث أنه لا يتعالق مع ما قبله ولا مع ما بعده. ووسيلته في ذلك القرائن والعلاقات السياقية التي تحكم نظمه، وفق ترتيب العناصر النحوية في مواقع محددة ترتيبا تتابعيا بينها علاقات متبادلة تبين لنا المعنى المراد. أما علاقته الدلالية في الجملة المعترض فيها، أي فيما تأتي في موقعها مع ما قبله ومع ما بعده وبذلك في الخطاب الأدبي، الذي يمتلك مجالا دلاليا في العلاقات بين متوالية الجمل فهذا ما سنراه فيما سيأتي.

2) وظائف البنية التركيبية:

يمثل علم النحو عند العرب الصناعة العلمية والمعيار الذي تكتشف به بنية الخطاب أو ما يسمى بالأسلوب عند جاكبسون، وبالنظم عند عبد القاهر الجرجاني الذي يقول: «وليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو.»[1] والذي توقف عند حد الجملة في أوصافها المختلفة ليطبق عليها قوانين النظم، فهي التي تمثل الخطاب تمثيلا كاملا على حد تعبير مارتينيه. فتدرس الألفاظ ضمن السياق الذي وردت فيه، قصد استخراج الدلالة الخاصة بالتراكيب، كما اهتم أيضا العلماء بمسألة الإعراب، وجعلوا النّص القرآني مثالا نحويا يستدل به في التفسير، دون الالتفات إلى الجانب الدلالي والجمالي للجمل.

والتركيب عملية فنية، يتشكل في بنيته السطحية وفق خصائص وقوانين اللّغة التي ينتمي إليها، تركب فيه الأدوات اللّغوية تركيبا خاصا غير مألوف، والغرض منه الإثارة والتأثير. فالخطاب الأدبي تركيب جمالي يتوخى في سياقه

1 – الجرجاني: الدلائل، ص94.

الأسلوبي معاني النحو ومن هنا يكتسب وظيفته الأدبية التي هي سر من أسرار خصائصه التركيبية والوظيفية والبنيوية [1].

وتحليل التركيب يستند أساسا على الدلالة، التي تتحقق فيه، وهو من أهم موضوعات البحث الأسلوبي في تحليل الخطاب «ذلك أن طريقة التركيب اللّغوي للخطاب هي التي تحدد خصوصياته النّوعية، وتكسبه كيانه وتمنحه فرادته الفنية والجمالية»[2]. ومن ثمة فدراسة البنية ودراسة التركيب في الخطاب الأدبي، نعني بها دراسة شكل الجملة، وما يكوّنها في استخدامها أثناء الاتصال اللّغوي. فالجملة بنية لغوية تقوم أساسا على النحو، الذي يكشف لنا تموضع الألفاظ فيها في ترتيبها(نظمها) وتحولاتها؛ أي تركيب الجملة وطريقة بنائها وفق قواعد لتحقيق معنى يريده المتكلم. والبنية النحوية لا يمكن فصلها عن البنية الدلالية للخطاب، فالترابط بينهما ضروري والتفاعل بينهما أمر قائم. مما جعل الكثير من الدراسات الأسلوبية الحديثة تهتم بدراسة العلاقات بين العناصر المكونة للجملة للوصول إلى القيم الجمالية للخطاب، فالهدف هو «دراسة العلاقات بين تلك العناصر ودرجة تمازجها ومدى علاقتها ومساحة توزعها ثم يكون لذلك هدف تال وهو استشفاف القيم الفنية والجمالية من خلال ذلك التوجه الخاص للظاهرة اللّغوية. »[3] فالقيم الفنية والجمالية هي الغاية والتي يتخذ في سبيلها شتى الإمكانات، ومن بينها الاعتراض الذي يجعل المتكلم ينصرف عن أصل بناء الجملة والذي يأتي لغرض بلاغي مما يزيد الكلام سحراً وبياناً.

---

1 – نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب،(د–ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 119.

2 – نفسه، ص65.

3 – رجاء عيد: البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1993، ص55.

أ- الاختيارات النظمية:

إنّ الدلالة تتحقق في التركيب، والتركيب هو الذي يحتويها في علاقات شكلية وفق اختيار محدد، في مقام معين، إذ على حد تعبير القدامى «كلّ كلمة مع صاحبتها مقام»، ثم إنّها لا تتضح إلاّ في سياق مقالي ومقامي لتتنوع الأنماط التي تأتي عليها الجملة. ومعنى الجملة يتأتى بحسب الدلالة التركيبية، فهو وظيفة لمعنى الكلمات - أو الألفاظ – التي تتركب منها، والتي تتألف من معنى وظيفي ومعنى معجمي يستعملان في مقام معين، والسياق هو الذي يعين قيمتها في استعمالها بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والكلمات لا يكشف عن معناها إلاّ بموقعها الذي استعملت فيه بوظائفها التي وضعت لها في مواقف فردية ومقامات اجتماعية. والمتكلم أثناء عملية التخاطب حر في اختياراته النحوية أو النظمية، إذ له حرية اختيار نوع الجملة المستعملة في إخباره وتواصله مع غيره.

والجملة حينما تأتي على النّسق العادي المألوف في تركيبها، لتكون وظيفتها الإخبار فقط، لا تلفت الانتباه. لكن حينما يطرأ عليها تغيير في طريقة نظمها وترتيب عناصرها في نظام جملي معين تخرق القاعدة والمألوف، وهذا مراعاة للموقف الذي وردت فيه والسياق الذي طلبها والذي عبر عنه البلاغيون بـ "مراعاة مقتضى الحال" أو "لكل مقام مقال". فسوف يقف أمامها القارئ وقوفاً فيه تمعن، لتنوعها واختلافها وتميزها، بما فيها من تقديم وتأخير وحذف وزيادة واعتراض وفصل بين أجزائها ومكوّناتها، بطريقة لاتخل بالبنية المستعملة ولا بالدلالة المرادة. بها، يحقق المتكلم المعنى الذي يريده « فلا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معنى ولا أن تتوخى في الألفاظ ترتيبا ونظما، وإنّك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكرة هنا. »[1] لتستفيض الشروح في الوجوه الدلالية والوظيفية للتراكيب.

---

1 - الجرجاني: الدلائل، ص93.

فإذا ما أتينا إلى الإشارات، وجدنا التوحيدي قد أدرك أهمية الاستعمالات المختلفة للّغة في وسائلها المتنوعة، حيث استخدمها في تكوين ما يريد إيصاله في نصوصه من دلالات فيترك المزية لاكتشافها، على حد الجرجاني، إذا تركت للثاني[1] الذي هو المتلقي فتكتسب بذلك أهميتها. ولقد استغل هذه الاستعمالات بكلّ إمكاناتها وصاغها بطرق متعددة لكلّ منها تفسيرها الخاص بها، منها خاصة "البنية الاعتراضية" التي تعد خروجا عن النمط المألوف لبناء الجملة المعترض فيها، إذ تهدف إلى لفت الانتباه إلى غاية يقصدها الكاتب لإيصال المعنى وإبراز الفكرة كما يبتغي « إنّ فهم أي عبارة مرهون بإدراك أبعادها الدلالية، كما هو مرهون بإدراك موقفها الايصالي وموقعها فيه »[2]. ولقد حددت لها أغراض من طرف النحاة والبلاغيين كالدعاء والقسم والرجاء والتأكيد وغيرها، إلاّ أنّ سياق النصوص أو الرسائل الواردة في الإشارات الذي وضعت فيه وطبيعة تجربة المتصوف، يكشف لنا عن أغراض أخرى، لم يتعرض لها الدارسون (من نحاة وبلاغيين) تدل على « فصاحة المتكلم وقوة نفْسه وامتداد نفَسه »[3].

فالاعتراض في مواقعه لا يقوم فقط بالفصل بين عنصرين من حقهما الاتصال بل يستوعب مُرادات أخرى للتوحيدي بما يخدم أهدافه ومضمون الرسائل الموجهة للمخاطب، وهذه المرادات أتت لتحقيق أغراض بلاغية مختلفة مبنية أساسًا على تخصيص المنادى لترك الملذات «... وهل يجوز لك - **أيّها العاكف على الجهالة** - أن تحتجَّ بما لا حجة لك فيه ولا مقالة؟... »[4] وعلى القسم لتوكيد الكلام لمخاطَبه «أيّها الجوهر الشريف: أُجلّك عن شناعة الخطاي في التقرب إليك، لأنّي – **وحقّ الحق**- مخلص في ولائك والاعتماد

---

1 – الجرجاني: الدلائل، ص117.

2 – محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ص185.

3 – ابن جني: الخصائص، ص 340.

4 – الإشارات، ص33.

عليك... »[1] وعلى مساءلته كما في « فإذا فرغت من ذلك - **وأنّى لك بالفراغ** - فارشش علينا ما فضل من الإحسان إليك، وأنعم علينا مما أنعم الله عليك.»[2].

كما قد يأتي الاعتراض في علاقة تماثل وتوافق مع الجملة المعترض فيها، أو في علاقة تخالف وتضاد معها ليكون الرّبط معها وما يوافق الهدف المراد إيصاله للمخاطَب فنجد هذا في قوله: « أطال الله أيها الشيخ بقاءك – **ولا غبطة في البقاء**- وأدام صفاءك- **وكل العيش في الصفاء**- وأيدك في تناول الحق من معادنه... »[3] فالأولى في علاقة تخالف والثّانية في علاقة توافق وهذا بالشرح للتقرب أكثر من المخاطَب. ونجده أيضا في وصف الغريب « هذا وصف رجل لحقته الغربة... وتحكمت فيه الأيام من كل جاء وذاهب، واستغرقته الحسرات على كل فائت وآيب وشتته الزمان والمكان بين كلّ ثقة ورائب – **وفي الجملة: أتت عليه أحكام المصائب والنوائب، وحطته بأيدي العواتب على المراتب**- فوصف يحفى دونه القلم ويفنى من ورائه القرطاس. »[4]. فالجملة الاعتراضية هنا تختصر وصفاً للغريب وهذا الوصف هو في حالة توافق مع ما ورد في الجملة المعترض فيها.

وقد تتصدر الجملة الاعتراضية بـ(واو) وتقترن بها إذا كان فعلها مضارعا مثبتا[5] لتسير في خط واحد لدى المتكلم والمخاطَب أثناء التخاطب، وتسمى "واو الابتداء"

---

1 – الإشارات، 155.

2 – نفسه، ص353.

3 – م. ن، ص190.

4 – م. ن، ص 82.

5 – ابن هشام: مغني اللبيب، ص 516.

وهي « الواو التي يكون بعدها جملة غير متعلقة بما قبلها في المعنى، ولا مشاركة لها في الإعراب »[1]. إذ هي حرف مبني لا محل لها من الإعراب، فتسبقها بذلك "واو الابتداء" أو "واو القسم"، نجدها في قول التوحيدي: « أنا – **وحياتكم**- إليكم ذو صبابة... »[2]، وفي « هذا- **والله**- الغرور، وآخر الغرور الويل والثبور... »[3]. الدالة على القسم. ونراه يأتي تأكيدا للمعنى الوارد في الجملة المعترض فيها وهذا في قوله: « وقد قال عيسى بن مريم، عليه السلام – **وهو روح الله**- للحواريين... »[4]، ونجدها أيضا في « ... ومن كان يقول لمَ- **ولم محذوقة في مخاطبة الملوك**- ومن كان يقول كيف- **وكيف مرفوعة عن مواجهة الأرباب**- إنّما لم وكيف للعزيز إذا أدب به الذليل وللسيد إذا قوم به عبد. »[5] وهي متعلقة بما قبلها، لتتضح بذلك القيمة الدلالية للبنية الاعتراضية في الخطاب الأدبي بأنّها جزء لا غنى عنه فيه وأنّه لا يأتي إلاّ لغاية، فهي محكومة بالمقصد واحتياجات المخاطِب الدلالية، فالتوحيدي يبني كلامه ثم يعترضه لفائدة وغرض فرغم أنّ الكلام معقود على الجملة المعترض فيها على القول إلاّ أنّه وقبل أن يتم كلامه يعترضه بالشرح والتوضيح، أو نجده يعقد كلامه في الجملة المعترض فيها على الإفادة والنصح والإخبار وعند البدء في ذلك يعترضه بالدعاء، يقول: « أعلمك –**منحك الله السول ودرك المأمول**- أنّ الجملة المأخوذة علينا، المسوقة بالعقل والشرع إلينا: الوقوف على المقاصد بحقائقها من غير ريب

---

1 – صلاح الدين حسنين: الروابط في النصّ الشعري، مجلّة علامات، ع 39، مج 10، الفلاح للنشر والتوزيع مارس 2001، ص 59.

2 – الإشارات، ص 27.

3 – نفسه، ص 33.

4 – م.ن، ص 175.

5 – م.ن، ص 164.

يقدح، ولا شبهة تنسح.»[1]. ويقول أيضًا: « أطلت – **أطال الله طولك**- من غير طائل، لأنّي لم أصف من حالي مراسمها ولا من قصتي مقاسمها... »[2].

ب - التراكيب العدولية:

تعتبر الرتبة (الموقع: La Location) المقياس الذي تترتب به الوحدات النحوية. وهي «علاقة بين جزأين مرتبين بين أجزاء السياق يدل موقع كل منهما على الآخر.»[3]. إذ تأخذ الكلمة موقعا معينا في الجملة، لتلعب دورا في علاقتها مع غيرها، باعتبار ما يؤثر في المعاني والأساليب والسياقات المختلفة، لتؤدي وظائف نحوية ودلالية في التركيب.

لقد أشار تمام حسان بأنّ دراسة الرتبة تحت عنوان التقديم والتأخير، دراسة لأسلوب التركيب، لا للتركيب في حد ذاته، يتخذها البلاغي في دراسته. أما الرتبة في النحو، فإنّها تهتم بالرتبة المحفوظة والرتبة غير المحفوظة. والرتبة المحفوظة قرينة لفظية، إذا اختلت اختل التركيب وفقد دلالته وتماسكه. ومن أمثلتها « أن يتقدم الموصول على الصلة والموصوف على الصفة، ويتأخر البيان عن المبيَّن والتوكيد عن المؤكَّد وتقدم حرف الجر على المجرور، وحرف العطف على المعطوف، والفعل على الفاعل أو نائب الفاعل والمضاف على المضاف إليه وحرف القسم على المقسم به. »[4].

ومن الرتب غير المحفوظة « رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول به، ورتبة الضمير والمرجع ورتبة الفاعل، والتمييز بعد نعْمَ، ورتبة المفعول به والفعل »[5] مما يقبل التقديم والتأخير دون إخلال بالمبنى والمعنى، لتتعين أكثر وتضمن موقعها

---

1 – الإشارات، ص 193.

2 – نفسه، ص 194– 195.

3 – تمام حسان: اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص 209.

4 – نفسه، ص20.

5 – م.ن، ص207.

ودورها بالحالة والعلامة الإعرابية. فعندما يحدث تغيير وحركة فالإعراب هو الذي يحدد معناها ويحفظ رتبتها، إذ هو تحليل للوحدات اللّغوية الداخلة في التركيب قواعديا، وبيان لجوهرها وماهية حدودها ومعانيها وظيفيا «هذا الكائن النحوي الذي نقف من خلال عدساته على وظائف الوحدات اللّغوية، وهي تؤدي أدوارها على مسرح التركيب. »[1].

ورصد الوظائف والأدوار والحدود في الجملة هو الذي يوقف على أغراض المتكلمين أثناء الحديث والتواصل، وهو الذي يساعد في التفريق بين المواقع التي تحتلها الألفاظ في عملية التقديم والتأخير في التراكيب المختلفة. وهذا ما جاء به عبد القاهر الجرجاني في قوله: « إذا قلت أجاءك رجل؟ فأنت تريد أن تسأله: هل كان مجيء من أحد الرجال إليه؟ فإن قدمت الاسم فقلت: أ رجل جاء؟ فأنت تسأله عن جنس من جاءه، أرجل هو أم امرأة؟. »[2]. لنلاحظ من خلال هذا المثال بأن للدلالة أيضا دورها في التمييز بين الحدود، فرغم التقديم والتأخير الذي حدث تبقى الكلمة في رتبتها ووصفها الأوّل الذي وضعت فيه. فالمبتدأ مبتدأ، والخبر خبر، والفعل كذلك، والمفعول وغير ذلك.

فلتبين الدلالة، يجب النّظر في إفادة التراكيب، في نظمها ومطابقتها لمقتضى الحال. أي بالنظر في البنية الأساسية للجملة، التي بها يراد الإسناد أو الإخبار، وما يتأتى منها من دلالات وما يتفق وقصد المتكلم ليوصلها إلى المخاطَب. فالجملة في تكوينها تشمل وسائل تؤدي إلى اتساقها وانسجامها في سياقها التركيبي في وحدتها الداخلية، ما يجعلها متلائمة والسياق الخارجي، لتفرز وظائف ومعان تتضمن خلفيات معرفية مشتركة بين المتخاطبين تساعد على التأويل والفهم. يهتم بها البلاغي أكثر في علاقاتها النحوية والدلالية في

---

1 – عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002 ص 462– 463.

2 – الجرجاني: الدلائل ، ص 167.

أنماطها المختلفة وما يخرج منها عن المواضعة، أي بما يطرأ على العناصر الإسنادية من تحريك وتغيير في المواقع لعناية واهتمام، أو من أجل غاية أرادها المتكلم ليحقق احتياجات المخاطَب، في أغراض متعددة مرتبطة بسياق الحال ومقتضياته. فالمواقف، في بعض الأحيان، تحتاج إلى عبارات تخرج عن السياق والوضع الأصلي التي وضعت لها في دلالاتها لتكون مناسبة والغرض الذي وضعت له.

وهذا ما نجده حين نبحث عن دلالة الجملة الاعتراضية التي تأتي في موضع الفصل والتي تكون غريبة عن السياق، لتمام الانقطاع لفظا ومعنى، باعتبارها مكوّنا خارجيا موجّهة أساساً للمخاطَب، فطبيعة الاستعمال هو الذي يعطي لها دلالتها. إذ نجد استعمالا للاستفهام الذي يأتي بغرض طلب الفهم لما هو غير واضح، وذلك عن طريق أدوات تحدد طبيعته، مثل: هل ومن وأين وأنّى، وغيرها. ونراه في جملة الاعتراض حيث يقول التوحيدي: « ...فإذا فرغت من ذلك- **وأنَّى لك بالفراغ**- فارشش ما فضل من الإحسان إليك... »[1]، الذي حددته الأداة "أنَّى" والتي احتوت معنى التعجب والاستخبار. كما يمكن له أن يحمل دلالات أخرى تبعا للسياق الذي استخدم فيه، والذي يساهم في تأويلها عند المخاطَب. فيمكن أن تكون للالتماس أو النصح والإرشاد أو التهديد أو التعجيز. أمّا النداء الذي يدل على طلب الإقبال أو توجيه الدعوة إلى المخاطَب وتنبيه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم[2]، نتيجة استخدام أدواته من مثل: أي، ويا، وأيا، فمقاصد استعماله تكون عادة للفت الانتباه والدعاء والتعجب والتخصيص والتأكيد.

وتحمل الجملة في بنيتها خصائص لغوية وسمات أسلوبية غير متوقعة، سميت انحرافا. فهي كما رأينا تقوم أساساً على المسند والمسند إليه، وكما هو

---

1 – الإشارات، ص353.

2 – ريمون الطحان: الألسنية العربية، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص85.

أيضا عند الغرب، من المنظور الوظيفي للجملة La Fonction Perspective de la phrase تنقسم إلى مسند Theme ومسند إليه[*] Rheme. وقد تتعداه إلى عناصر أخرى لتقوية المعنى كوصف حالة، أو للتفسير والتعليل والتأكيد وغيرها، أو بما سموه بالفضلات أو المتممات. إلاّ أنّه قد يحدث تغيير على الجملة في بنيتها، فهي لا تبقى على نمط واحد في تركيبها. ففيها تغييرات نجدها موزعة عند النحويين فيما قد يحدث إمّا في البنية الصرفية وهذا لخضوع الجملة لهذا النظام من تعريف وتنكير وإفراد وجمع. وإمّا في الموقع أو الرتبة التي تحدد العلاقة بين أجزاء الجملة وموقع كل منها، وإمّا في النظم بما يحدث من حذف وتقديم وتأخير وتكرار وزيادة في المكونات. فكل جملة يمكن أن تتوالد منها جمل وحالات أخرى متعددة وأنماط كثيرة على أساس التغيرات التي تطرأ عليها، تختلف فيما بينها بنية ودلالة باعتبار المقام فاللّغة في مقاماتها المختلفة تنتج استعمالات متنوعة ومتعددة.

ولقد عالج النحاة والبلاغيون الجملة الاعتراضية في باب الفصل والوصل أو الرّبط وتوالد الجمل. وكونها جملة نحوية، فالنحوي يشرح تركيبها من حيث أنّها جملة اسمية أو فعلية، وأنّها خاضعة لانتظام قواعدي، حرصا على اللّغة من اللّحن، ومن حيث إنّها أيضا تقع بين أجزاء الكلام وتفصل بينها، تقوية للمعنى وتسديدا له. أمّا البلاغي، فهو يعني بالدلالة والمقام الخارجي وما يحيط بالمتخاطبين أثناء عملية التخاطب، وأثرها عليهما. ليكون اهتمام الأوّل بالمقال، والثّاني بعلاقته بالمقام، فكانت الدراسة قائمة على الصناعة وحسن البيان، بالنّظر إلى كيفية التلاعب فنيا بإمكانيات اللّغة، لأغراض يفرضها المقام التخاطبي تداوليا. وهذا ما سنبينه من خلال نماذج من الجمل الاعتراضية من الإشارات والمرايا في الجدول التالي:

---

* – المسند هو: الموضوع، وهو ما كان معلوما لدى السامع في المقام التواصلي. والمسند إليه هو: ما يضيفه المتكلم من معلومة جديدة تسهم في تنامي الخبر والمعلوم.

الجملة الاعتراضية	مظاهر العدول في تركيبها	المقاصد التداولية
أبقاك اللّه	تقديم المفعول به	قدم المفعول به على الفاعل لغرض الاهتمام والعناية والتأكيد على أنّ الدعاء موجّه للمخاطَب.
أكرمك اللّه	تقديم المفعول به	للتخصيص والحصر.
وصلك اللّه بالخير	تقديم المفعول به	للتخصيص.
وحق الحق	تكرار لفظي	للقسم والتوكيد، لتمكينه في ذهن السامع.
أيّها العاكف على الجهالة	حذف الفعل	تنبه السامع الذي خصه بهذه الصفة.
وهو روح اللّه	التعريف بالإشارة	لإزالة الشك بالتحديد والإقناع. وأيضا للتعظيم والتفخيم من الشأن.
واللّه	حذف الفعل	القسم.
يا أهل الحلقة الأبرار	حذف الفعل	النداء من باب الاختصاص
يا بني خضران	حذف الفعل	للتخصيص
حفظه اللّه	تقديم المفعول به	التعظيم من الشأن والتوكيد
لعنهم اللّه	تقديم المفعول به	التعيين والتوكيد
أنتم الذين سماكم الظلام، الظلام، يا بني خضران	تقديم المفعول به	للتخصيص والحصر
يا ربنا	حذف الفعل	للتقرب أكثر من اللّه

وقريبا يكون هناك وتشاهد ما هنالك.	التعريف بالإشارة	الإشارة إلى الشيء، والتنبيه على أنّ معنى استيعابه يكون بالإشارة.
وأنّى لك بالفراغ	زيادة الباء	للتوكيد والاهتمام، كون أنّ كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى.
وإنما ترنحك لعائقات عاداتك ...الذين سحبوك على الضراء	التعريف باسم الموصول	استعمل اسم الموصول لغرض عدم إعادة تحديد المدلول ثانية.
الذين هم أطباء النفوس	التعريف باسم الموصول	لتفادي تكرار المدلول الذي جاء في الجملة المعترض فيها، وهم المتفلسفون.

كما نلاحظ، فإن تقديم المفعول به هو الغالب في الاستعمال، فكلما ابتعد المفعول عن الأصل وهنا ليتوسط بين الفعل وفاعله، زادت العناية به. ليتجاوز أصل موضعه كفضلة «أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل... فإن عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل ...فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبة...فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنّه رب الجملة، وتجاوزوا به حد كونه فضلة...فجاءوا به مجيئا ينافي كونه فضلة... . »[1]. ليكون المحور والموضوع المُخبَر عنه في الجملة، وهذا وفق المقام المنجز فيه. وما نلاحظه هو أن المفعول به قد خص بالمخاطَب أكثر لتأكيد حضوره وللتقرير بأنّ الكلام موجه له بالتحديد، لتنبيهه، بين الحين والآخر. وهذا في جمل اعتراضية تعتبر غريبة عن السياق، استخدم فيها ضمير المخاطب والغائب للمفرد أو للجمع والتي دلت عليه.

1 – ابن جني: المحتسب، ج1، تح: علي النجدي ناصف وغيره، (د– ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، ص65.

وكان الغرض في ذلك تخصيص الدعاء له، وإزالة الشك والعناية به أثناء الحديث «إنّ سبب التقديم في كل موضع هو الاهتمام بالمقدم والعناية بشأنه، فرد ذلك إلى تحرير المعاني وضبطها»[1]. فتكون العناية عندئذ بكيفية وقوع الفعل على الفاعل وليس على محدِث الفعل الذي هو الفاعل.

أمّا فيما يخص الحذف، فإنّنا نرى به كما قال الجرجاني: « ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة. وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن. »[2]. وهذا لتدعيم الدلالة أكثر. ونجده مرتبطا أكثر بجملة النداء فـ "يا" و "أيّها" تنوبان عن فعل محذوف تقديره أدعو أو أنادي. أمّا في "واللّه" فالواو حرف قسم متعلق بفعل القسم المحذوف، والمتكلم لا يصوغ كلامه على نحو ينطبق تماما على ما وضع من أصول وقواعد لغوية. فغالبا ما يطرأ على الجملة تغييرات تعكس لنا امكانيات تتحدد أساسا على عمليات الاختيار للمفردات وعلاقات بعضها ببعض، ما يتفق والتفاهم اللّغوي الذي يحدث بين المتخاطبين. ولكلّ جملة بلاغة ومقصدية تخصّها وتميّزها، تتأتى في مستوى تركيبها والسياق الذي ترد فيه. فتحريك العناصر، ينبئ عن المقصد والغاية من تأكيد وتقوية للمعنى، أو تخصيص وتنبيه وتحذير وغير ذلك، وهذا من خلال استحداث علاقات بين مكونات التركيب والتي تكون مقصودة لذاتها، تتم بالقدرة على الانزياح والخرق أو العدول عن المألوف[*] لتحفل بدلالات ومقاصد تصاحب الأداء، انطلاقا من المقامات التي

---

1 – الجرجاني: الدلائل، ص 136.

2 – نفسه، ص112.

* – العدول والانصراف والتلون ومخالفة الظاهر: مصطلحات تواردت مع مصطلح الالتفات– الذي تداخل مع الاعتراض– في البلاغة العربية، غير أن تحليلها و الوقوف على دورها التعبيري و التأثيري في السياقات التي وردت فيهان لم يكن الهدف المراد في الدراسات، بل كان إما من أجل التمثيل بها أو الدفاع عنها بوصفها من" مشكل القرآن "أو" متشابه القرآن". انظر: حسن طبل: أسلوب التفاوت في البلاغة القرآنية، (د– ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص02.

تنجز فيها فللمقامات تأثيرها على المعاني في تفاوتها «فمقام الشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ... وجميع ذلك معلوم لكل لبيب... ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر. »[1]. فهي مرتبطة بمقاصد المتكلم في إفادة أو إخبار المخاطَب وبالعلاقات السياقية بين الكلمات.

المبحث الثّاني

الوظائف التداولية للجملة الاعتراضية

لقد اهتمت الدراسات باللّغة، باعتبارها نظاما، على الشكل وليس على الاستعمال كما هو الشأن عند البنيويين. إلاّ أنّ اللّغة على نحو ما أشار إليه تشارلز موريس C.Morris تتكون من ثلاثة جوانب: الجانب التركيبي Syntaxique أو النظمي والنحوي، الجانب الدلالي Semantique، الجانب الاستعمالي Pragmatique.

والجانب الأخير، يتصل بالدلالات التي تأتي من السياق الذي أنجز فيه الكلام. وكما رأينا فالجملة الاعتراضية تتكون في بنيتها التركيبية من وظائف تبيّنها في الاستعمال. وهذا في رتبة اللفظة وموقعها، في محمول فعلي وغير فعلي، وفي العلاقات السياقية، أي العلاقات التركيبية بين المكونات كما تنتظم في السطح، والعلاقات الدلالية التي تربط بينها لتكون كلا متكاملا، في جملة مستقلة يحسن السكوت عليها، ولها فائدة مع غيرها. إلاّ أنّ الوظيفتين (التركيبية والدلالية) تفتقدان إلى وظيفة ثالثة تهتم بعناصر الكلام في المقام وفي الظروف المحيطة للانجاز الكلامي، أي بالنّظر إلى الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطَب في طبقة مقامية معينة لتلبية حاجات وأغراض، وهي الوظيفة التداولية La Fonction Pragmatique . فزيادة عن الكيف هناك حاجة أخرى للمتكلم تكون مرتبطة بسياق الحال ومقتضيات الموقف، تتفاعل معه أثناء الاستعمال، لتحقيق الوظيفة التواصلية.

---

1 – السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص95.

وما عدا، ما قام به تمام حسان في تعيين وظائف مكونات الجملة، في كتابه "اللّغة العربية معناها ومبناها"، والذي نحا فيه منحى وصفياً وظيفياً، لا نجد في وصف اللّغة العربية وظيفيا من وجهة نظر تداولية، إلاّ ما قدمه أحمد المتوكل في كتابه "الوظائف التداولية في اللّغة العربية"، مستعينا بنموذج "سيمون ديك S.Dijk"(*) في النحو الوظيفي كما تتبعناه.

إسناد الوظائف:

تتكون بنية النحو من جانب نظر النحو الوظيفي، على أساس ثلاث مستويات تمثيلية:

1 – مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية: كوظيفة المنفذ والمتقبل والمستفيد والمستقبل والأداة والمكان والزمان.

2 – مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية: كوظيفتي الفاعل والمفعول.

3 – مستوى لتمثيل الوظائف التداولية: كوظيفة المبتدأ ووظيفة المحور[1].

وفي صياغة بنية النحو، يُقترح أن تشتق الجملة عن طريق بنيات ثلاث، هي: البنية الحملية والبنية المكونية أو التركيبية والبنية الوظيفية. وتتكون البنية الحملية بناءً على قاعدة "الأساس"(*)، التي تشمل كل من المعجم وقواعد

---

* – سيمون ديك: اشتهر في مدرسة النحو الوظيفي، التي ترى أن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل، كما تراعي معايير إنجاز الكلام في طبقات مقامية معينة. يقول المتوكل في كتابه "الوظائف التداولية في اللغة العربية" أن نموذج ديك «الأكثر استجابة لشروط التنظير من وجهة ولمقتضيات "النمذجة" للظواهر اللغوية من وجهة أخرى»، ص09.

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص11.

* – يتكفل ببناء المستويات الثلاث (التركيبية والدلالية والتداولية) ثلاثة أنساق من القواعد هي: الأساس وقواعد تكوين الوظائف وقواعد التعبير. أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص11. وآفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط1، دار الهلال العربية، الرباط، 1993، ص06.

تكوين المحمولات والحدود من "أطر حملية" وهي أصول ومشتقة (كالفعل) وحدود هي سائر الكلمات في الجملة ليتم تكوين "أطر حملية نووية" تشتمل على محمول وعدد معين من الحدود، وهذا حسب ما يقتضيه المحمول.

وتنقسم حدود المحمول بهذا إلى موضوعات ولواحق، أو إلى ما يمكن أن نسميه أيضا:

1) حدود – موضوعات.

2) حدود – لواحق.

ثم تقوم قواعد إدماج الحدود، بدمج الحدود في محلاّتها وفق قيود الانتقاء بالنسبة للحدود- الموضوعات - ليتم بذلك تكوين البنية الحملية النهائية للجملة، والتي تتضمن الوظائف الدلالية.

ويمكن توضيح كل هذا، في المخطط التالي:

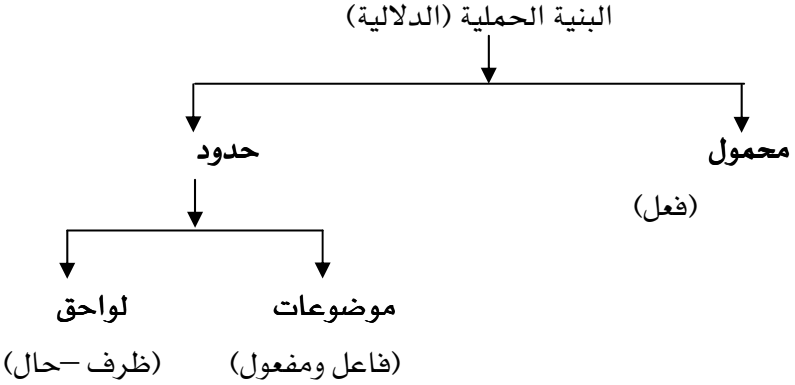

ومن هذا المخطط فالجملة ذات محمول فعلي، أمّا إذا كانت ذات محمول غير فعلي فستكون البنية الحملية مكونة من: مبتدأ (موضوع – مسند إليه) + خبر (محمول – مسند).

كما يمكن أن يبتدأ المحمول غير الفعلي، بمركب ظرفي أو حرفي أو مركب وصفي، وتنقسم بدورها إلى جملة تشتمل على رابط (كان وما يشبهها)

وجملة لا تشتمل على رابطة وتسمى جملة اسمية[1]. بهذا يكون تقسيم الجملة حسب مقولة المحمول التركيبية، كما يلي:

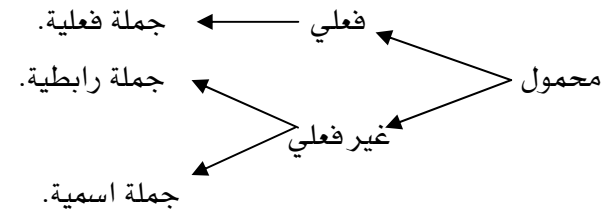

ويمكن أن نمثل لما سبق ذكره، بالجملة الاعتراضية ذات المحمول الفعلي التي وقعت بين الفعل وفاعله أو بين المحمول وموضوعه بغرض الدعاء، في قول التوحيدي: « جفَّ – أنار الله صدرك - القلم وفَنِيَ القرطاس... »[2].

- أنار: محمول (فعل).
- الله: حد – موضوع (فاعل).
- صدر: حد – موضوع (مفعول).
- الكاف: للمخاطَب، وهي للتخصيص (أداة)، لاحق المحمول.

ويتم بناء البنية الوظيفية بواسطة تطبيق قواعد إسناد الوظائف، والتي تسند أيضا إلى الوظائف التركيبية ثم الوظائف الدلالية. هذا يعني أنّ الوظائف الدلالية تسند بالدرجة الأولى إلى مكونات أو وحدات حاملة لوظائف تركيبية، وسنرى بأنّه نفسه حين نسند الوظائف التداولية إلى المكونات في مواقعها. ونرى من خلال المثال أنّ وظيفتي الفاعل والمفعول أسندت إلى الحدود – الموضوعات. فيحمل المكون "المسند إليه" (الفاعل) وظيفة دلالية هي "المنفذ". والمكوّن الذي يحمل وظيفة المفعول تسند إليه الوظيفة الدلالية "المتقبل". والكاف هنا، التي هي ضمير المخاطَب تحمل وظيفة دلالية هي "المستقبل".

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص78.

2 – الإشارات، ص128.

ويتم إسناد الوظيفتين التركيبيتن: "الفاعل والمفعول" وفقا لسلمية الوظائف الدلالية التالية:

منفذ > متقبل > مستقبل > مستفيد > أداة > مكان > زمان

فاعل	+	+	+	+	+	+	+
مفعول	×	+	+	+	+	+	+ [1]

ونرى بأنّ الوظيفة التركيبية الفاعل تسند إلى المكوّن الحامل للوظيفة الدلالية المنفذ، ثم الحامل لوظيفة المتقبل ثم المستقبل، وهكذا دواليك. وكذلك بالنسبة للمفعول إلاّ أنّه لا يحمل وظيفة المنفذ.

بهذا سوف نستخلص أن الرتبة في الجملة العربية ستصبح من نمط:

- فعل + فاعل + مفعول1 + مفعول 2 ، يعني: - مسند + مسند إليه + فضلة (تتمات)، وهذا تركيبيا.

- محمول + موضوع + فضلة حملية، وهذا دلاليا.

ويمكن تمثيل ذلك بالجملة الاعتراضية السابقة كما يلي:

	أنار	اللّه	صدر	ك
الوظيفة التركيبية:	فعل	فاعل	مفعول	مضاف إليه (مفعول2)
الوظيفة الدلالية:	محمول	منفذ	متقبل	مستقبل

من خلال الشكل الأوّل، الذي سبق ورأينا فيه نمط تخطيط البنية الحملية، نلاحظ أنّ حدود المحمول تنقسم إلى موضوعات ولواحق، يقوم كل واحد منها بدور معين بالنسبة إليه، أي أن الفعل له موضوعان هما الفاعل والمفعول. والمفعول يحتاجه الفاعل، لأنّ عليه سيقع الفعل بقانون التعدية. أمّا الفاعل فهو من قام بالفعل، فوظيفته هي المنفذ والمطبق، ولا بدّ له من متقبل لفعله وهذه الوظيفة يأخذها المفعول. كما تكون أيضا له لواحق يمكن أن

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص16.

تكون ظرفا أو مفعولا فيه يمثل زمان أو مكان الفعل. كما قد يكون حالا، وبه يبين هيئة صاحبه وغيرها.

وما تمتاز به هذه اللّواحق عن الموضوعات أنّها تتمتع بقدر كبير من حرية "الرتبة"، فهي تحتل الرتبة الأخيرة في الجملة، كما يمكن أن تتصدر الجملة. فالموضوعات لا يجوز لها أن تتقدم على المحمول. (مثلا: فاعل + مفعول + فعل، أي: موضوع + موضوع + محمول).

كما أنّ الموضوعات تقابل الأركان الرئيسية في بناء الجملة العربية، أما اللّواحق فهي نظيرة الفضلات أو التتمات، التي بها تتوسع الجملة، وهذا ما ينطبق على الجمل الاعتراضية الواقعة مفردة، أي الجملة الحالية والجملة الظرفية، التي تُعتبر حدودًا- لواحق بالنسبة لمحمول الجملة المعترضة فيها. هذا عن الموضوعات واللّواحق أو "الحدود". فتكون بنية الجملة الاعتراضية في الجملة المعترضة فيها كما يلي:

جملة معترض فيها (محمول+موضوع1) ← لاحق (جملة اعتراضية) ← موضوع2 (أو محمول + موضوع آخر).

كما في قول التوحيدي: « ومتى سمعت – **في مطاوي حالك ومناشرها، وفي مياسر شؤونك ومعاسرها**- هاتف العقل فلا تحفل به، ومتى أحسست – **في مفترق حالك ومجتمعها، وفي مظعن مناك ومرتبعها**- بهاجس الحس فلا تعج عليه، ومتى أوجست –**في معتقدك ومعتمدك، وفي مفاتحك ومغالقك**- خيفة من تسويل نفس وتزيين هوى، فلا تَفْرق منه ولا تنجذب إليه. »[1]. وفي «وإنّي أوصيك – **متبرعا**- بما أرجو أن أكون به قاضيا لحق الصفاء في المودة بيني وبينك. »[2] وقوله أيضا « ودع – **قبل كل شيء وبعده**- الهوى عنك ولا

---

1 – الإشارات، ص65.

2 – نفسه، ص 160.

تتخذه شريكا »[1]، « أيها الصاحب...فكيف صرت – **من بين هؤلاء وهذه الأحوال**- تسأل عن الأعمال... »[2].

أما "المحمول" (Predicate) فهو من أهم عناصر البنية الحملية، وفي النحو الوظيفي، يدل على "واقعة" (Un Fait)، وتنقسم إلى: أعمال (Actions) وأحداث (Evenements) وأوضاع (Positions) وحالات(Etats)، تواكبه كما رأينا حدود- موضوعات Arguments وحدود–لواحق Satellites [3].

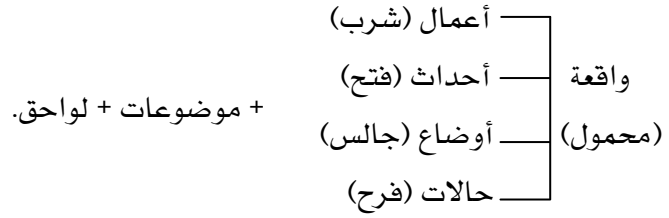

فالفعل، هو ما دلّ على حدث أو حال أو حركة.

كما يمكن أن تكون: موضوع + محمول، والموضوع يحمل المعلومة المعروفة للسامع، والمحمول يمثل المعلومة الجديدة أو المتصلة لدى السامع. تحدد وفقا لمعايير انجاز الكلام في طبقات مقامية تتطلبها لتوصف حسب وجهة نظر معينة.

الوظائف التداولية:

هذه الوظائف التي سنقدمها تكمن في المستوى الوظيفي الثالث، هي الوظائف التداولية التي اقترحها ديك DIJK :

1- المبتدأ Theme: وهو ما يحدد مجال الخطاب وموضوعه.

---

1 – الإشارات، ص48.

2 – نفسه، ص50.

3 – انظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، وآفاق جديدة في النحو الوظيفي، ص 13 و ص7، على التوالي.

2- الذيل Tail: المكون الذي يحمل معلومة توضح معلومة داخل الجملة أو تعدلها.

3- المحور Topic: المكون الدال على ما يشكل المحدث عنه داخل الجملة (الحمل).

4- البؤرة Focus: هي المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو بروزا في الجملة يجهلها المخاطَب أو يشك في صحتها وينكرها[1].

وقد أضاف إليها المتوكل، وظيفة خامسة هي وظيفة:

5- المنادى Vocative: الدالة على المنادى في مقام معين.

ووظيفة كل من: المبتدأ والذيل والمنادى، وظائف تداولية تقع خارج الحمل، فهي وظائف خارجية. أمّا المحور والذيل، فهما وظيفتان تداوليتان تقعان داخل الحمل، وتعتبران جزءًا منه، فهما وظيفتان داخليتان. كما يقترح أن نميز داخل وظيفة "البؤرة" بين « بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة من حيث نوعية البؤرة، وبين بؤرة المكان وبؤرة الجملة من حيث مجال التبئير. »[2].

	وظائف داخلية	وظائف خارجية
المبتدأ		×
الذيل		×
المحور	×	
البؤرة	×	
المنادى		×

كما أنّ هناك فرقا بين المبتدأ والمحور، وهذا الفرق يظهر حينما تحدث عملية الزحلقة[3] أو الخفق أو التفكيك Dislocation، والتي عولجت ضمن

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 17 و ما بعدها.

2 – نفسه، الصفحة نفسها.

3 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربية، ص09.

منظور تحويلي، في إطار النظرية التوليدية. إذ إنّه قد يتم بمقتضى التحويل أو قاعدة تحويل الزحلقة، نقل أحد مكونات الجملة إلى اليسار أو نقلها إلى اليمين مع ترك ضمير في الموقع المنقول منه، أي أنّه حينما يقدم عنصر إلى خارج نطاق الجملة بعد أن كان داخلها، فيما يخص الزحلقة إلى اليمين، يحتل هذا العنصر وظيفة تداولية خارجية هي المبتدأ theme. بهذا يكون الفرق بين المحور والمبتدأ، فالمحور هو موضوع الجملة، أمّا المبتدأ فهو موضوع الخطاب وهو الذي يحدد مجاله. وأمّا إذا حدثت الزحلقة إلى اليسار، فهذا المكوّن سيأخذ وظيفة الذيل، لأنّنا سنضيف إخباراً إلى الجملة البدء، لنوضحها ونعدلها أو لتصحيح معلومة، ليصبح بذلك المبتدأ "ذيل توضيح".

زيد، أبوه قادم. زيد قادم. أبوه قادم، زيد.

مبتدأ محور ذيل

والتفكيك يحدث بهدف التركيز على عنصر معين، يقتضيه المقام، عن قصد من طرف المتكلم من أجل إبلاغ غرض للمخاطَب والتواصل معه. وهو أشبه بعملية التقديم والتأخير، التي يمكن إدخالها ضمن قضية الرتبة أو الموقع – Location – لتبيان العناصر. وما نلاحظه هو أنّ المبتدأ الذي هو موضوع الخطاب، قد أشير إليه بعائد وهو الضمير (هاء)، هذا الضمير الذي عدل ووضح في موقع آخر بوظيفة الذيل.

أما عنصر البؤرة، فإذا ما أردنا نقله أو تفكيكه، فسوف نلاحظ بأنّه يمثل وحدة انتقالية لا تتأثر بهذه العملية، إضافة إلى عنصر المنادى. وهذا ما يدخل من منظور غير تحويلي، في إطار ما يسمى بالتصدير Topicalisation، نتيجة لتطبيق قاعدة "تحويل التصدير"، التي « ينقل بمقتضاها أحد مكونات الجملة إلى صدرها، دون ترك ضمير في الموقع المنقول »[1].

1 – أحمد المتوكّل: الوظائف التداولية في اللغة االعربية، ص 9.

ويضع "ديك" حسب "المتوكل"، دائما، لإسناد الوظائف الثلاث – الدلالية والتركيبية والتداولية إلى موضوعات البنية الحملية – القيد الآتي « أن لا يسند لكل موضوع أكثر من وظائف ثلاث: وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية ووظيفة تداولية »[1] أي أنّه لا يمكن أن يحمل مكون واحد أكثر من ثلاث وظائف. بمعنى أن يأخذ المكون من كل نوع من الوظائف السابقة وظيفة واحدة. إلاّ أنّه وفي المقابل، يمكن أن تسند وظيفة واحدة إلى أكثر من موضوع أو مكون واحد داخل نفس الحمل. مثال ذلك قول التوحيدي في مقام الدعاء: « أطلت – **أطال الله طولَك**- من غير طائل... »[2].

	أطال	الله	طول	ك
الوظيفة التركيبية	فعل	فاعل	مفعول	مضاف إليه
الوظيفة الدلالية	محمول	موضوع	موضوع	لاحق
	محمول	منفذ	مستقبل	مستفيد
الوظيفة التداولية		محور	محور	محور

نلاحظ من خلال هذا المثال، أنّ كل مكون أخذ من كل مستوى وظيفة واحدة وأسندت وظيفتا المفعول والمحور إلى أكثر من مكون واحد في نفس الجملة، وهذا في الجانب التركيبي والتداولي على التوالي.

ويتم إبراز الوظائف التداولية، بإسناد الوظائف التركيبية أولاً، إذ ثمة «وظائف تداولية تسند بالدرجة الأولى إلى مكونات حاملة لوظائف تركيبية معينة»[3]. وهذا عن طريق إسناد الوظائف كأن تسند وظيفة المحور إلى المكون الذي يحمل الوظيفة التركيبية "فاعل"، والوظيفة الدلالية "منفذ".

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص40.

2 – الإشارات، ص 194.

3 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربيّة، ص 15.

ولتمثيل ذلك في الجملة الاعتراضية، كان لا بد من النظر إلى نسق الجملة من حيث بنيتها التركيبية إضافة إلى بنيتها الحملية، مع اعتبار المقام والسياق الخارجي الذي أنجزت فيه. وسنلاحظ بأنّ أغلب الوظائف الواردة هي وظيفة المحور والبؤرة، وهما وظيفتان داخليتان (تقعان داخل الحمل) ووظيفة المنادى التي تعتبر وظيفة خارجية. وفي معظم الجمل يكون المحور أي الموضوع المحدث عنه في المقام مرتبط بالمخاطب. كما قد يكون مرتبطا بمحدث عنه في الجملة المعترضة (أي مرتبطة بالخطاب)، لنرى حضورا متفاوت النسبة بين المتكلم والمخاطَب في مقام تفاعلي، يكون دورها بذلك مرتبطا بعملية التواصل، وبالتحديد ربط الاتصال بالمخاطب وبالجملة التي تعترض بين أجزائها، رغم كونها وحدة مستقلة بالنّظر إلى هذه الجملة (المعترض فيها).

1- وظائف المكونات الداخلية:

أ- وظيفة المحور أو وظيفة الموضعة:

يسميها أيضا المتوكل بالعبارة المحيلة، فهي «عبارة حاملة للمعلومة الكافية لتمكين المخاطَب من التعرف على ما تحيل إليه»[1]. ومن خصائصها المميزة أنّها داخلة دوما على «المعلومات المعطاة»[2] التي تظل ثابتة.

ويأخذ موضوع المحور، أحد موضوعات البنية الحملية الحاملة لوظيفة دلالية من: منفذ ومتقبل ومستقبل ومستقبل ومستفيد ومن زمان، والتي أسندت تركيبيا، في نظر النحو الوظيفي إلى كل من الفاعل والمفعول. إلاّ أنّها تسند بالدرجة الأولى للمكوّن الذي يحمل وظيفة الفاعل تركيبيا ووظيفة المنفذ دلاليا. فهي « المكوّن الدال على ما يشكل "المحدث عنه" داخل الحمل »[3]، إذن فهو

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 86.

2 – أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص51.

3 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 69.

المحمول عليه في الجملة، أي أنه الموضوع في البنية الحملية والفاعل – المسند إليه – في البنية التركيبية.

وحسب سلمية إسناد وظيفة المحور، نلاحظ بأنّ وظيفة المحور يمكن إسنادها إلى أيّ مكون من مكونات الحمل، وهذا شريطة أن يكون دالا على "المحدث عنه"، وألاّ يكون حاملا لوظيفة تداولية أخرى – كما رأينا في القاعدة السابقة ذكرها - ويقترح المتوكل هذه السلمية كما يلي[1] :

فاعل { مفعول / مستقبل / مستفيد / زمان / ـــ / ـــ }

ونوضّحها أفقيا في الآتي:

منفذ (فاعل) > متقبل (مفعول) > مكان > زمان > ـــ > ـــ

محور + + + + + + +

وبمقتضى الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطَب، قد يحتل المحور موقعا في صدر الجملة إلاّ أنّه لا يحتل وظيفة المبتدأ، لأنّه (المحور) مكوّن داخلي، كما وأنّه «وبخلاف المبتدأ، لا يمكن أن يتقدم على الأدوات الصدور. »[2]. كأن نقول: زيدا أقابلته؟ فهذه الجملة لاحنة، في مقابل سلامة الجملة: أزيدا قابلته؟، أما إذا رفعنا "زيداً" ليصبح "زيدٌ"، فإنّه سيأخذ وظيفة المبتدأ لا المحور.

وفي قول التوحيدي: « ...ومن كان يقول لمَ - **ولم محذوقة في مخاطبة الملوك**- ومن كان يقول كيف - **وكيف مرفوعة عن مواجهة الأرباب**- إنّما

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص74.

2 – نفسه، ص 84.

لما وكيف للعزيز إذا أدب به الذليل وللسيد إذا قوم به عبد. »[1]، وهي جملة اعتراضية مركبة. فأداتا الاستفهام "لِمَ" و "كيف" هما اللتان تحتلان الصدارة وهما اللتان تأخذان الوظيفة التداولية الداخلية "المحور"، لأنّهما المحدثان عنه داخل الجملة، أو داخل الحمل ولأنّها تمثل محط اهتمام المتكلم، لكي يبلغها إلى المخاطَب، في محمول غير فعلي.

ومن الجمل الاعتراضية أيضا، التي يحتل مكون المحور الصدارة، الجملة التي يتصدرها الاسم مثل قول التوحيدي: «بيني بينك أحوال - **اللسان لا يصنفها والعبارة لا تصرفها، والوصف لا يأتي عليها والإشارة لا تصل إليها، كل ذلك للطافة ورقة ونحافة ودقة** - من فضلك الذي أظلّتني غمامته.»[2] فاللسان والعبارة والوصف والإشارة، مكونات تقع داخل الحمل، تأخذ وظيفة دلالية هي وظيفة المنفذ، لذا فهي تحمل وظيفة تداولية هي: وظيفة المحور. وضميريا يمكن إسنادها أيضا إلى محدث عنه خارج الجملة، ناب عنه الضمير "هاء" وهي "الأحوال".

كذلك بالنسبة إلى جملة « أعلل فيك النفس - **والنفس صبَّة إليك**- وما تعليلها عنك نافع. »[3] فالمكوّن أو لفظة "النفس" تحمل وظيفة "المحور" بالنسبة إلى المحمول المشتق "صبة". أمّا في الجملة الاعتراضية التي محمولها غير فعلي، المبتدئة بمركب حرفي (جار ومجرور) كما في جملة "بفضلك" وجملة "برحمتك"، فإنّ "كاف" المخاطَب التي استعملها المتكلم قصد الاتصال بمن يخاطِب في عملية التواصل وهو ضمير متصل، والذي يرجو منه الرّحمة والفضل، ليأخذ بذلك في هذا المقام وظيفة دلالية هي المنفذ، هي التي تأخذ الوظيفة التداولية الداخلية "المحور" كونه يحيل إلى الموضوع المحدث عنه.

---

1 - الإشارات، ص 164.

2 - نفسه، ص388.

3 - م. ن، ص13.

وما يأخذ وظيفة "المحور" في الجمل ذات المحمول الفعلي، مثال الجمل الاعتراضية « فأمّن الآن – **حاطك اللّه** - على دعائي، وقرّب أذنك من ندائي »[1] «فاستمع الآن – **يرحمك اللّه**- فقد حملت على نفسي لك اعترافا بفضلك وقضاءً لحقك... »[2]، وغيرها. ونمثّل بالأولى، فهذه الجملة تحمل الوظائف الثلاث في مستوياتها كما يلي:

	حاط	ك	اللّه
- المستوى التركيبي:	فعل	مفعول	فاعل
- المستوى الدلالي:	محمول	مستقبل	منفذ
- المستوى التداولي:	محور	محور	

ونفسه بالنسبة لـ: يرحمك اللّه، أبقاك اللّه، وما ماثلهما.

أما فيما يخص جملة الاعتراض « أنار اللّه صدرك »[3]، فكل مكوّن من هذه الجملة يحمل وظيفة تركيبية ووظيفة دلالية ووظيفة تداولية، كالآتي:

	أنار	اللّه	صدر	ك
- المستوى التركيبي:	فعل	فاعل	مفعول	مضاف إليه
- المستوى الدلالي:	محمول	منفذ	مستقبل	مستفيد
- المستوى التداولي:		محور	محور	محور

ونلاحظ بأنّ كل مكوّن، لا يحمل أكثر من ثلاث وظائف، إلاّ أنّ الوظيفة الواحدة يمكن أن تسند لأكثر من مكوّن أو موضوع واحد في الحمل نفسه، إذ أسندت وظيفة المحور لمكوّنات واقعة داخل الحمل، وليس خارجه، فهي مرتبطة بالمحمول، وكما أنّه وقبل أن تسند إلى المكون الوظيفة التداولية، كان يحمل قبل ذلك وظيفة تركيبية ووظيفة دلالية. ولقد أسندت وظيفة المحور

---

1 – الإشارات، ص 74.

2 – نفسه، ص17.

3 – م.ن، ص 128.

للمكون الذي يحمل وظيفة الفاعل(المنفذ)، والمفعول (المستقبل والمستفيد). وأسندت أولا للفاعل لأنّه الأحق بها على غيره، كونه الأسبق من غيره في إسناد الوظائف. وإذا عدنا إليه من الناحية التركيبية في علاقة الإسناد في الجملة، فالمسند إليه هو الأحق بالمسند، ثم إنّ الموضوع الأوّل أحق بمحموله.

كما نلاحظ ذلك أيضا في سلمية إسناد وظيفة المحور التي اقترحها المتوكل. كما يمكن أن تأخذ هذه الوظيفة الجملة الإعتراضية برمتها كما في قول التوحيدي: «أيحسن بك – **بعد هذه اللطائف السابقة، وبعد هذه النعم السابغة، وبعد هذه الأيادي المتتابعة**- أن يطلع من سرك على سوء ظن به إيثار هوى عليه، أو على تقصير في خدمته... »[1] وفي: « قد تجشمت لك – **متبرعاً** - هذه النصائح فتجشم لنفسك - **متسرعا**- إلى القبول، فإنك بذلك أحظى مني... »[2]، «والناس رجال: فرجل – **مع أحكام إلفه وغوالب عادته**- لا يرعي على نفسه ولا يمكّنُ المواعظ من سمعه؛ ورجل وقف بين الأمور محاسبا، فطال حسابه وضاق جنَابه، فخلّط ورجّى وتمنى، ورجل ادّكر واعتبر، فبكى واستعبر، وقال وحسَّر، ثم سكت وتحسَّر.»[3] وهذا لأنّها تعتبر المعلومات المعطاة المراد ايصالها إلى المخاطَب، والتي تظل ثابتة في الجملة المعترضة فيها، يقول أيضا: « يا هذا: إذا اعتراك الرَّيب في هذا المسموع، فاحتط لنفسك بالرجوع إلى قلب مسلّم من الهوى... وإن كنت قد كفيت الريب – **وإنّما ترنحك لعائقات عاداتك، وباقيات قرنائك الذين سحبوك على الضّرَّاء بالغرور، وقربوك بالأماني على الدهور**- فإنّ ذلك يمحي عنك بعزمة أواه، أو همة مُنيب، ووثبة صادقة، وكد يسير. »[4] فهذه الجملة فيها إيضاح وتوكيد على أنّ ما يحدث

---

1 – الإشارات، ص 38.

2 – نفسه، ص121.

3 – م. ن، ص128.

4 – م. ن، ص174–175.

للمخاطَب، بسلوكه الطريق الخاطئ، إنّما راجع إلى ميوله إلى ملذات النّفس والدنيا ولفت الانتباه إلى هذا الأمر هو الذي جعل من الاعتراض محوراً، لعلّ المخاطَب يراجع نفسه فيهتدي، لأنّها موجّهة إليه بالخصوص.

ب - وظيفة البؤرة أو التبئير:

التعريف السائد في النحو الوظيفي لهذه الوظيفة، أنّها المكوّن «الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو بروزا في الجملة»[1]. فهي المكوّن الذي يحمل المعلومة الجديدة بالنسبة للوضع التخابري بين المتكلم والمخاطَب، أي أنّها لا تدخل في نطاق المعرفة المشتركة بينهما فالمتكلم يعتبرها غير متقاسمة بينه وبين المخاطَب.

وهناك نوعان من البؤرة من حيث مجال هذه الوظيفة، وهما: "بؤرة المكون" و"بؤرة الجملة" ونوعان آخران من حيث طبيعة أو نوعية هذه الوظيفة وهما: "بؤرة الجديد" و "بؤرة المقابلة".

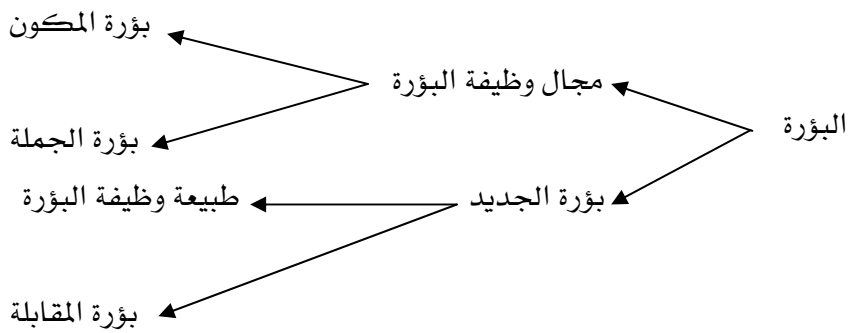

1- **بؤرة الجديد / بؤرة المقابلة:**

أ- بؤرة الجديد: هي «البؤرة المسندة إلى المكوّن الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطَب.»[2]. أي أنّها لا تدخل في القاسم المشترك بين المتكلم والمخاطَب، وتطابق هذه الوظيفة مقاما يشتمل على مقامين:

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص28.

2 – نفسه، ص 28 – 29.

- **الأوّل**: في حالة الإخبار، أين يجهل فيه المخاطَب المعلومة التي يقصدها المتكلم، أو يعتبر المتكلم أنّ المخاطَب يجهلها، وتسمى بؤرة "تتميم"، لحصر المعلومة وتخصيصها، ونجد ذلك في قول مرتاض في اعتراضه عند الحديث عن الزّامر الذي اهتزت لألحانه الحنونة كلّ الرّوابي إلاّ الرّابية الخضراء: « ... وزامركم يزمر في مزماره الحنون. يرقص له الراقصون والراقصات. وترتعش له الرّوابي كلّها طربا. وحتى قصر عالية بنت منصور اضطرب لجمال الصوت الحنون. كما يضطرب العصفور حين يصيبه الندى...

... إلاّ الرابية الخضراء فهي لا ترقص ولا تضحك ولا تبكي ولا تفرح ولا تحزن ولا تتألم ولا تتوجع ولا تتفجع ولا تتورع ولا تتبرع...

وزامركم الذي ينفخ بأقصى ما في رئتيه من هواء. ينبعث من مزماره صوت حنون. نديّ شجيّ. **إلاّ الربوة الخضراء**. »[1]، وفي حديثه عن المدة التي قضاها الشّيخ الأكبر لأهل الرّبوة السوداء متعبدا في جبل قاف « ...وهنالك أهرق كلّ أجر العبادة التي ظلّ يتعبد بها دهورا طويلة. **لا يعرف مددها إلاّ الله**...»[2] كما جاءت أيضا استثناءً في تعليقه على قصة عين وبار في « وجاء في الأخبار الموثوقة تعليقا على هذا الخبر الذي صحّ عند جميع الشّيوخ. **إلاّ شيخ بني زرقان**. أنّ الجن ليست تغتال الناس في الرّوابي السّبع... »[3]

- **الثاني**: في حالة الاستخبار، حيث يجهل المتكلم المعلومة التي يطلب من المخاطَب إعطاءه إياها (في حالة الاستفهام)، وتسمى بؤرة « طلب ». نجدها في أسئلة يقدمها الرّاوي لشخصياته في الرواية كالسؤال الذي خصَّ لعالية بنت منصور « ...يا أهل الربوة الخضراء ويا أهل الربوة الحمراء ويا أهل الربوة البيضاء ويا أهل الربوة السوداء...لا أحد يعترف منكم بذنبه ولا يقر بضعفه فيلقي اللّوم

---

1 – الرواية، ص 42.

2 – نفسه، ص 141.

3 – م. ن، ص 152.

على غيره...وذلك على الرّغم من أنّ الربوة السوداء لا تغتال إلاّ من بعيد. وعلى الرّغم من أنّها لا تفعل شيئا غير البكاء على عظيمٍ لها كانت قد فقدته في غابر الأزمان...

وأنت ما شأنك بكل هذا يا عالية بنت منصور... »[1]، وآخر موجّه للحُضَّار « ... فالموت هو نهاية النّاس جميعا يا فقراء بني خضران. فلا أسف على ما لم يكن مما كان، يا بني...

من أنتم. قولوا لي من أنتم؟... لا بل استعدت الآن شيئا من ذاكرتي الضعيفة المتهرئة التي لم تعد قادرة على رواية كل الأخبار المهولة والحكايات العجيبة... إنّها السّن. وإنّه فعل الزمن الأسود يابني من...

قولوا لي بالله من أنتم؟... لا بل لا تقولوا لي فلقد استرجعت شيئا من ذاكرتي التي باتت اللآن قوية متماسكة... وأنتم حتما بنو خضران الذين يسميكم الظّلام، الظّلام. ألستم كذلك؟ بلى أنْتُمُوهُمْ. »[2].

ب - بؤرة المقابلة: هي البؤرة التي تسند إلى العنصر الدال على المعلومة التي تقابل بشكل من الأشكال معلومة يملكها المخاطَب[3]. أو إلى العنصر الحامل للمعلومة التي يشك أو ينكر المخاطَب ورودها. وتطابق هذه البؤرة طبقتين مقاميتين، نوضحها لاحقا:

1- الأولى تشتمل على مقامين اثنين، هما:

- يتوفر المخاطب على مجموعة من المعلومات، ينتفي المتكلم للمخاطب المعلومة التي يعتبرها واردة.

- يتوفر المتكلم على مجموعة من المعلومات، يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة (في حالة الاستفهام).

---

1 - الرواية، ص87.

2 - نفسه، ص161.

3 - أحمد المتوكل: آفاق جديدة في النحو الوظيفي، ص 51.

2- أما الطبقة **الثانية**، فهي تشمل على مقام يتوفر فيه المخاطب على المعلومة التي يعتبرها المتكلم معلومة غير واردة، يصحح المتكلم معلومة المخاطب.

2- بؤرة المكون/ بؤرة الجملة:

هما مرتبطتان ببؤرة المقابلة وبؤرة الجديد، كونهما تسندان إلى مكونات الجملة أو الجملة برمتها «تسند إلى بؤرة المقابلة وبؤرة الجديد، إلى مكوّن من مكونات الجملة أو إلى الجملة برمتها. »[1]. أي أنّ البؤرة هنا، من حيث المجال، في منظور المتوكل بؤرتان:

- عندما تكون الجملة برمتها مبأرة، فتكون بذلك **بؤرة الجملة**.
- أما عندما يكون أحد مكونات الجملة فقط مبأرا، فهي بذلك **بؤرة مكون**.

أي أنّ بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة، إمّا أن تستند إلى مكوّن من مكونات الجملة أو إلى الجملة بأكملها لذلك يمكن أن يختزل المخطط السابق إلى ما يلي:

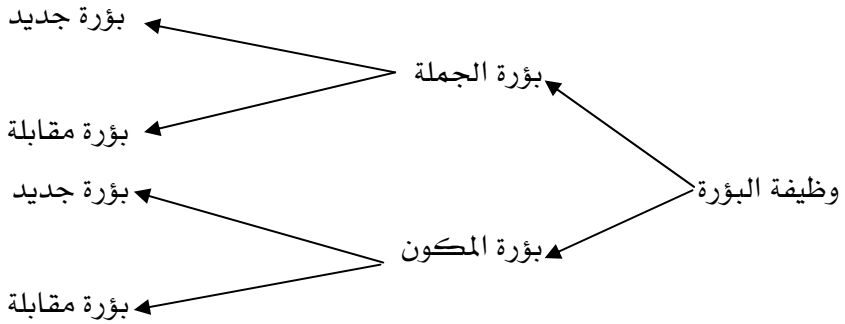

لذا سنعتمد هنا تبيان إسناد وظيفة بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة، سواء كان ذلك في الجملة أو في مكوّن من مكوناتها .

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص31.

تشكّل البؤرة موضوعا من موضوعات المحمول فتأخذ بمقتضى ذلك وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية. وكما رأينا سابقا، لإسناد الوظائف التداولية يتم أولاً إسناد الوظائف التركيبية، ولا يمكن أن يأخذ مكون واحد أكثر من ثلاث وظائف، إلاّ أنّه يمكن أن تسند وظيفة واحدة إلى أكثر من مكون واحد داخل نفس البنية الحملية، حسب النحو الوظيفي، وهذا بمقتضى شروط مقامية مرتبطة بالمعلومات التي يمتلكها المخاطَب حسب اعتقاد المتكلم، فتكون بذلك الجملة الاعتراضية التالية « أُعْلمك - **منحك اللّه السول ودَرْكَ المأمول**- أن الجمة المأخوذة علينا، المسوقة بالعقل والشرع إلينا: الوقوف على المقاصد بحقائقها من غير ريب يقدح، ولا شبهة تسنح. »[1]. تحمل مكون البؤرة وفق الوظائف الثلاث كما يلي:

منح ك اللّه السول ودرك المأمول

- المستوى التركيبي فعل مفعول فاعل مفعول مفعول
- المستوى الدلالي محمول مستقبل منفذ متقبل متقبل
- المستوى التداولي محور محور بؤرة بؤرة

فالمكون "السول": يحمل وظيفة تداولية داخلية ، تقع داخل الجملة، أي مرتبطة بالمحمول الذي تعدى إلى موضوع ثان، أخذ وظيفة تركيبية هي المفعول، ووظيفة دلالية هي المتقبل، أمّا الوظيفة التداولية فهي وظيفة البؤرة Focus، لأنّها المعلومة الأكثر أهمية . وباعتبار المقامات التي ذكرت سابقا، فهذه البؤرة هي «بؤرة الجديد» لأنّها معلومة غير معروفة لدى المخاطَب، فالمتكلم يعتبر أنّ المخاطَب يجهلها وأنّها معلومة غير مشتركة بينهما، فحين دعا له فهذا لاعتقاده بأنّ المخاطَب غير عارف بموضوع دعائه، لتشكل بذلك المعلومة المقصودة إبلاغها إيّاه .

---

1 - الإشارات، ص193.

ثمة مكونات لها الأسبقية في التبئير، تمثل معلومات يجهلها المخاطَب أثناء وضعه التخابري مع المتكلم، وهي «المكونات الحاملة للوظائف الدلالية "الحال" و"العلة" و"المكان" و"الزمان" و"المكونات المسورة" والمكونات الداخلة عليها "حتى". »[1]. وأمثلة ما يوضح ذلك في الجملة الاعتراضية ما يلي:

1- الظرف **"حينئذ"** في « فإذا بلغت هذا الحدّ، لم يبق بينك وبينك ضد ولا ندّ. فرد – **حينئذ** – بحره الطَّامي ظامئاً، ورُدْ روضة الناضر ناظرا، فإنك تذوق بغير مذوق ما لم يذُقْه مخلوق »[2] إذ له وظيفة دلالية هي الزمان، وقع كاعتراض مفرد، له وظيفة تداولية يحملها داخل البنية الحملية للجملة المعترضة، وهي "البؤرة"، كون المخاطب يجهل زمن الحدوث.

2- الحال **"متبرعا"** و **"متسرعا"** في « ...فإني أوصيك – **متبرعا** - بما أرجو أن أكون به قاضيا لحق الصّفاء في المودة بيني وبينك. »[3]. وفي «قد تجشمت لك – **متبرعا**- هذه النصائح، فتشجم – **متسرعا** - إلى القبول، فإنّك بذلك أحظى مني. »[4] فهما يحملان وظيفة تداولية هي تبيان الحال التي واجه بها المتكلم مخاطَبه ليأتي بها والمخاطَب يجهلها في الوضع التخابري. كما أنّ المتكلم يعتقد ذلك، فيكون دورهما هو إبراز هذه المعلومة، فيحملان بذلك وظيفة «البؤرة».

3- وفي جملة «أطال اللّه أيّها الشيخ بقاءك – **ولا غبطة في البقاء** - وأدام صفاءك – **وكلّ العيش في الصفاء**- وأيَّدك في تناول الحق من

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 42.

– والمكونات المسورة هي المكونات التي يكون مخصصها أحد الأسوار: كل، جميع، بعض. والنفي والحصر والاستفهام. وتتضمن ألفاظا خاصة نحو: شيء، أحد، قط.

2 – الإشارات، ص112.

3 – نفسه، ص 160.

4 – م.ن، ص121.

معادنه...»[1] نجد جملة الاعتراض « **ولا غبطة في البقاء** » نجد مكوناتها تحمل الوظيفة كما يلي:

• **غبطة**: مكون مسور، له الأسبقية في التبئير، لذا يحمل وظيفة البؤرة.

• **في البقاء**: يحمل هذا المكون وظيفة دلالية هي المكان، ومن خلال التعريف السابق وبمقتضاه فإن الوظيفة التي يحملها هي « البؤرة ». وغرض النّفي هنا، هو إقصاء معلومة وتعويضها بمعلومة جديدة.

والجملة الاعتراضية الثانية « **وكلّ العيش في الصفاء** » تحملها كما يلي:

• **العيش**: باعتبار أنّه من المكونات التي لها الأسبقية في التبئير، فهو مكون مسور لأنّه مخصص بالمسور (Quantité) "كل"، فإنه يحمل وظيفة تداولية هي "البؤرة".

• **في الصفاء**: يحمل وظيفة المكان دلاليا، ووظيفة البؤرة تداوليا.

وما نلاحظه هنا، هو أنّ كل مكونات هاتين الجملتين تحمل وظيفة البؤرة، أي أنّ كل الجملة تحمل وظيفة البؤرة، ما يستلزم تسميتها من حيث المجال بـ:"بؤرة الجملة".

4- يوجّه التوحيدي كلامه لمخاطَبه، فيقول له: « بل حدثني عنك: هل حسبت أنّك رابح أو خاسر..وحبيب أو بغيض، وقريب أو بعيد، ومراد أو مريد؟... فإذا فرغت من ذلك – **وأنّى لك بالفراغ**- فارشش ما فضل من الإحسان إليك، وأَنْعم علينا مما أنعم اللّه عليك. »[2] أنّى لك بالفراغ:

• **أنّى**: ظرف استفهام، يحمل وظيفة دلالية هي الزمان، يشتمل على مقام يجهل فيه المتكلم المعلومة التي يطلب من المخاطَب إعطاءه إياها، إذن فهو مرتبط بقاعدة الأسبقية والمقام الذي يشمله، فيأخذ بذلك وظيفة تداولية هي وظيفة "البؤرة". وبما أنّ المتكلم في حالة استخبار، إذن فهي: "بؤرة طلب".

---

1 – الإشارات، ص190.

2 – نفسه، ص 353.

5- وتحمل مكونات الجملة التالية « يا هذا:..ولا غنى إلاّ من خزانة الله، ولا فوز بالجنّة إلاّ بتفضل الله، ولا خلاص من نار الله إلاّ برحمة الله. فاعلم علم هذه الجملة، تنَلْ حقيقة التفصيل عند الله ودع- **قبل كل شيء وبعده** – الهوى عنك ولا تتخذه شريكا. »[1] وظيفة البؤرة في كلّ من:

• **قبل وبعد**: يحملان وظيفة تداولية هي "البؤرة"، لأنّهما يحملان وظيفة دلالية هي "الزمان" في مقام يجهل المخاطب هذه المعلومة وينكرها.

6- وعند مرتاض نجد هذه الوظيفة في الجمل الاعتراضية الموجّهة لقبيلة بني خضران في قول المنادي: «... يقول لكم شيخكم النَّائم الهائم، وطّنوا أنفسكم على احتلاله. حتى ينتقل إلى النوم فيه. وتتخذوا أنتم في أرجائه مجالس تجلسونها... ولا تفعلون شيئا غير النوم الذي تنتظرون أن ترَوْا فيه الرُّؤى الصالحة التي تتيح لكم أن تستمطروا السماء ذهبا وفضة. بعد أن شحت عليكم بالغيث. **منذ الدهور الطويلة**. »[2]

• **منذ الدهور**: ظرف، يدل على الزمان في وظيفته الدلالية، يجهله المخاطَب في مقام يجعله يحمل وظيفة تداولية هي "البؤرة".

7- ونجدها أيضا في ذيل الكلام، دائما « أنتم قوم تفتخرون بسفك الدماء. ترجون ثوابا على ذلك. تحبون شرب دماء الناس في الرّوابي السّبع. تتطهرون بها. تسبحون في مستنقعها الأحمر الذي أراكم تتخبطون فيه. **الآن وهنا ... وأنتم تتخبطون**. »[3].

• **الآن وهنا**: ظرفان يدلان على التوالي، على الزمان والمكان، فالمتكلم ينقل معلومة بارزة وجديدة للمخاطَب كان يجهلها أثناء وضعهما التخاطبي، فهو يرى مخاطِبيه وهم يتخبطون، وهم لا يعرفون ذلك، ليحملان بذلك وظيفة "البؤرة"،

---

1 – الإشارات، ص48.

2 – الرواية، ص24.

3 – نفسه، ص08.

أعطى فيها تحديدا إضافيا للواقعة التي يدل عليها المحمول في الجملة المعترضة، بغرض التأكيد.

والمكوّنات التي أسندت إليها وظيفة البؤرة في هذه الجمل، تسند إلى « بؤرة الجديد»، لأنّها «تسند إلى أيّ مكون داخل الجملة، بغض النظر عن وظيفته الدلالية والتركيبية.»[1]، أي أنّها يمكن أن تسند إلى أكثر من مكون داخل الجملة، كما نلاحظ في الجملة(1) والجملة (4) والجملة (6) والجملة(8). كما أنّها يمكن أن تتموقع في أي موقع، فيمكن أن تتصدر الجملة أو تتوسطها أو تكون في آخرها، بحسب الموقع الذي تخوله إياها وظيفتها الدلالية أو وظيفتها التركيبية.

وبخلاف "بؤرة الجديد"، "بؤرة المقابلة" لا يمكن أن تسند إلاّ إلى مكون واحد داخل نفس الجملة، كما أنّه لا يمكن أن يتواجد في نفس الجملة بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة. أي أنّه بوجود هذه الوظيفة «بؤرة المقابلة»، يمنع أن تسند إلى مكون آخر في الجملة نفسها ويمنع أيضا أن تسند « بؤرة الجديد» في مقابلها، يقول المتوكل: «لا يمكن أن يتواجد في نفس الجملة مكون مبأر تبئير مقابلة ومكون مبأر تبئير جديد»[2]. إذن فهما لا يلتقيان في نفس الجملة.

ولبؤرة المقابلة ما يضبط إسنادها، فهناك قيود مرتبطة بالمقام ذكرت سابقا وقيود مرتبطة بأنماطها البنوية، أهمها "التعقيب"، وهو مصطلح أطلقه المتوكل على « العبارات المصدرة بحرف النّفي "لا" وبحرف الاضطراب "بل" »[3]، والذي يجعله قيدا لوجود بؤرة المقابلة. فالجمل التي يكون فيها المكوّن المبأر مصدراً، هو الأكثر قابلية لإضافة هذا النّوع من التعقيب كأن نقول: شايا شرب خالد، لا لبنا. ففي هذه الجملة، المكوّن "شايا" يحمل وظيفة "بؤرة مقابلة"، باحتلاله صدر

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 41.

2 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص46.

3 – نفسه، ص 31.

الجملة، وبإضافة عبارة تعقيب مصدّرة بـ "لا النّافية" إلى الحمل في مقام يتوفر فيه المخاطب على معلومة يعتبرها المتكلم غير واردة، فيصحح المتكلم معلومة المخاطب. ونعيّنها هنا ضمن "بؤرة التعويض"، التي هي نوع من أنواع بؤرة "المقابلة".

وهناك قيد يسند إلى الجملة التي تسند إليها «بؤرة المقابلة»، وهو «أن تكون الجملة مصدرة بأدوات مؤكدة من مثل: إنّ، إنّما، قد»[1]، كما يتبين لنا ذلك في الجمل الاعتراضية التالية:

- «وإن كنت قد كفيت الريب - **وإنّما ترنحك لعائقات عاداتك، وباقيات قرنائك الذين سحبوك على الضراء بالغرور، وقربوك على بالأماني على الدهور**- فإن ذلك يَمّحي عنك بعزمة أواه... »[2] ← فالاعتراض هنا يحمل وظيفة "بؤرة جملة" من حيث المجال، و "بؤرة مقابلة" من حيث النّوعية.

- « ... ولهذا قال قائل منهم – **وقد أكثروا عنده ذكر الدنيا** - : أمّا أنا فإن تُقْبل الدنيا عليَّ لا آخذها أخذ الأشر البطر، وإن تدبر عني، لا أبكي عليها بكاء الحَرف المُهتَر. »[3]. ← بؤرة جملة – مقابلة.

فالجملة الأولى مصدّرة بـ "إنّما" والجملة الثانية مصدّرة بأداة التحقيق "قد"، لذا فهما تعتبران جملتان اعتراضيتان، أسندت إليهما وظيفة "بؤرة المقابلة"، لأنّهما تحملان المعلومة البارزة والأهم في الجملة المعترضة بين أجزائها، يتشكك فيها المخاطب وينكرها، فيأتي المتكلم ليصححها في هذا المقام، في جملة مُبأرة تنتمي من حيث المجال إلى "بؤرة الجملة"، ومن حيث النّوعية أو الطبيعة إلى "بؤرة المقابلة". واستعمال "إنّما" جاء للحصر، وهي تلميح بأنّ المخاطب كان متوانيا، فاستعملها التوحيدي للتلميح والتغيير عن قصده.

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص32.

2 – الإشارات، ص175.

3 – نفسه، ص 167.

ونلاحظ، بأن وظيفة "بؤرة الجملة – المقابلة" أسندت إلى الجملة الاعتراضية برمتها. وهذه الوظيفة، كما نعلم، وظيفة داخلية تقع داخل الحمل. إلاّ أنّها هنا، شغلتها الجملة الاعتراضية التي هي مكون خارجي بالنسبة للجملة المعترضة، لتعتبر بذلك مرتبطة بها، ساهمت في إعطاء تحديدات إضافة لما يريده المتكلم. إذن فبإمكان وظيفة البؤرة أن يحتلها مكون خارجي عن البنية الحملية، باعتبار أن المخاطب ينكرها ويشك أو يجهل ورودها.

والفرق الذي يمكن أن نستخلصه بين بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة، هو أن بؤرة الجديد الحاملة للمعلومة التي يجهلها المخاطب ترد في داخل التركيب في حد ذاته، فكما نجدها هنا كإحدى مكونات الجملة الاعتراضية، قد نجدها أيضا في بنية الجملة المعترض فيها، أو في جمل أخرى. أمّا بؤرة المقابلة فقد تأتي فيما يتخلل الجمل أثناء التلفظ بها كتعليق خاص من طرف المتكلم أو الراو أو السارد، وهنا في هذا المقطع وبالقوانين التي أسندت لها هذه الوظيفة، فلقد جاءت لتتخلل بين أجزاء الكلام لتحديد معلومة يجهلها المخاطب في المقام التخاطبي، وهذا لتحقيق التواصل من خلال التشكيل النّصي الذي يؤسسه متكلم لمخاطَب.

2- وظائف الشكل الخارجي:

أ- وظيفة المنادى:

"المنادى" و"المندوب" و"المستغاث" وظائف مختلفة عند النحاة العرب، لكلّ منها خصائصها وبنياتها التي تمثلها. إلاّ أنّ المتوكل يعتبرها أنواعاً ثلاثة لنفس الوظيفة وهي "وظيفة المنادى"، يقول: «ولنصطلح على تسميتها بـ "منادى النداء" و"منادى الندبة" و"منادى الاستغاثة"»[1]. إلاّ أنّه، وكما أشار، لم يأخذ بالدرس إلاّ "منادى النداء".

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص163.

ونلاحظ من خلال هذه التسمية أنّ "المنادى" هي الوظيفة التي تسند إلى مكون الجملة التي يدل عليها، فبالرغم من أنّ النداء والمنادى متلازمان، إلاّ أنّهما مقولتان مختلفتان يقول المتوكل: «يجب التمييز بين "النداء" كفعل لغوي (Acte Parole) شأنه شأن الأفعال اللّغوية الأخرى كالإخبار والاستفهام والأمر والوعد والوعيد و"المنادى" كوظيفة أي كعلاقة(Relation) تسند إلى أحد مكونات الجملة »[1].

إذن، إضافة إلى الوظائف الأربعة التي قدمها سيمون ديك، في النحو الوظيفي، من وظيفة المبتدأ (theme) ووظيفة الذيل (tail) ووظيفة البؤرة (focus) ووظيفة المحور (topic)؛ يضيف المتوكل وظيفة خامسة، رأى بأنّها لم تأخذ قسطها من الدّرس في اللسانيات الحديثة، كباقي مكونات الجملة الأخرى، هي وظيفة "**المنادى**". وهي وظيفة خارجية، اقترح لها التعريف التالي « المنادى وظيفة تسند إلى المكون الدّال على الكائن المنادى في مقام معين. »[2]. أو على المكون الدال على الكائن المدعو في مقام معين .

يسبق المكون "المنادى" أدوات النداء، لو حذفت فاتت الدلالة على النداء لأنّ الدال عليه هو حرف النداء. حصرها النحاة العرب في ثمتان أدوات هي: يا، أي، أ (الهمزة) أيا، هيا، وا، آ، آي[3]. واختلفوا فيها فيما يخص دلالتها على "نداء البعيد" أو على «نداء القريب»، فذهب بعضهم إلى أنّ : "يا" و"أي" و"أيا" و" آ" و"آي" تستعمل للبعيد وأن: "أ" و"وا" للقريب، وبعضهم إلى أنّ: "أيا" و"هيا" تستخدم

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص161.

2 – نفسه، ص 161.

3 – ابن الناظم: شرح ألفية بن مالك، تح: عبد الحميد السيد، دار الجيل، بيروت، 1998، ص 565.

للنداء البعيد ،و"أي" و"الهمزة" للقريب و"يا" لهما معاً. إلاّ أنّهم أجمعوا على « جواز نداء القريب بما للبعيد توكيدا ، ومنع العكس. »[1].

وفي الإشارات الإلهية نجد في الجمل الاعتراضية، في بنياتها الندائية، استعمالا للأداتين: "**أيّها**" (المركبة من الموصول "أي" وأداة التنبيه "ها") والأداة "**يا**" .

ولقد وضع المتوكل قواعد لدمج أدوات النداء، نعرضها كما يلي [2]:

1- إذا كان المكون الحامل لوظيفة المنادى علما فإنّه يسبق بأداة النداء الصفرø « ونسألك – **إلهنا**- أن تجعلنا في كَنَف من ضمانك... »[3] أو أداة النداء "يا" أو "أيا".

2- إذا كان المكون المنادى مخصصا بالألف واللام، فإنّه لا يسبق إلاّ بأداة النداء "**أيّها**" ← « وهل يجوز لك - أيّها العاكف على الجهالة- أن تحتجَّ بما لا حجة لك فيه ولا مقالة؟ »[4].

3- إذا كان المكون المنادى رأساً لمركب إضافي فإنّه يسبق بأداة النداء ø أو " يا " أو " أ ".

4- إذا كان المكون المنادى غير مخصص بالألف واللام، فإنّه لا يسبق إلاّ بأداة النداء "**يا**" ← « قد ناجيتك، يا **سيدي**، بلسان النعمة السابغة... »[5]، «وأنت غير ذكي...متخوف ومتردد وغير حازم ....

...ما أشقاك يا... **أنت**...

فلا الشمس وقفت. ولا عالية بنت منصور زرت... »[6].

---

1 – ابن الناظم: شرح ألفية بن مالك، ص 565.

2 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 167–168–169.بتصرف.

3 – الإشارات، ص180.

4 – نفسه، ص33.

5 – م.ن، ص12.

6 – الرواية، ص17.

5- إذا كان المكون مركبا إشاريا، فإنّه يسبق بأداة النداء "**يا**" أو أداة النداء "**أ**" ← « بادر- **يا هذا**- وكذب نفسك من نفسك، من قبل أن يُكذبك من لا قبَل لك بتكذيبه. »[1].

6- إذا كان المكون المنادى جملة موصولة، فإنّه يسبق بأداة النداء "يا" أو "أ" إذا كان الموصول "من". ويسبق بأداة النداء "أيّها" إذا كان الموصول "الذي".

والمتوكل هنا، في هذه القواعد، أعطى مواقع لثلاث أدوات نداء فقط، وهي: **أيّها**، **يا**، **أ**، لأنّها من « أهم الأدوات التي تستعمل الآن في البنيات الندائية»، إضافة إلى الأداة الصفر Ø. وربما حصره لهذه الأدوات، يعود إلى هدفه في الوصول إلى تحقيق ما يسعى إليه في النحو الوظيفي في وضع نحو كلي لتحقيق ما يسمى بـ "الكفاية النمطية"، وهذا بتقليص عدد الوظائف، التي تتقلص على حسب ما فهمنا بتقليص عدد الإجراءات المستعملة بنويا. يقول المتوكل: «يستحسن نظريا تقليص عدد الوظائف... إلى أقل عدد ممكن، فبقدر ما يقلص عدد الوظائف يرقى النحو إلى الكفاية النمطية. »[2].

وكإسناد الوظائف التداولية فإسناد المنادى مرتبط بالمقام، إلاّ أنه لا يملك وظيفة دلالية (منفذ أو متقبل...) ولا وظيفة تركيبية (فاعل ومفعول)، لأنّه مكون خارجي بالنسبة إلى البنية الحملية، لا علاقة له بالمحمول، فهو «لا يقوم بأيّ دور بالنسبة للواقعة التي يدل عليها محمول الجملة، ولا يسهم في تحديد الوجهة (perspective) التي ينطلق منها في تقديم هذه الواقعة.»[3]. وهذا ما نجده عند النحويين بجعل "جملة النداء" جملة «لا محل لها من الإعراب»، وبوقوعها اعتراضا «جملة فاصلة وغريبة عن السياق».

---

1 – الإشارات، ص178.

2 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص163. وقد ذكر ذلك في التهميش.

3 – نفسه، ص 161 – 162.

وهناك قيدان أساسيان يضبطان إسناد "المنادى"، وهما:[1]

يشترط في المكون المنادى أن يحيل على كائن حي، وليس على جماد.

يستوجب أن يكون المنادى محيلاً على المخاطَب لا على المتكلم والغائب.

وهذا ما تدل عليه الجمل الاعتراضية التي تحمل المكون "المنادى"، من مثل:

- أيّها **العاكف** على الجهالة.
- يا **سيدي**.
- يا **هذا**.
- يا **أنت**.

فهذه الجمل تحتوي على الشرطين أو القيدين، وبالتالي فهي سليمة في استعمالها، تحمل مكون المنادى الذي يعتبر وظيفة تداولية، يحيل على كائن حي، وعلى مخاطب اتصل به المتكلم بمناداته إياه. وهي وظيفة تقع خارج حمل الجملة المعترض فيها، في مقام التخاطب. وهذا ما يؤيد وما يؤكد أنّ الجملة الاعتراضية مكون خارجي، بهذا فهو يحمل وظيفة خارجية في الخطاب. يشكل لنا بمفرده جملة ندائية قائمة بذاتها، لها دور في عملية التواصل، باعتبار ما هو مقصود بها وهو تنبيه المخاطَب بالدرجة الأولى وإشراكه في الكلام. كما أنّه لا تسند إليه لا الوظيفة التركيبية ولا الوظيفة الدلالية إلى المكون الذي يحمل وظيفة « المنادى » تداوليا، لأنّه لا يقوم بأيّ دور للواقعة التي يدل عليها المحمول ولا الوجهة الزمنية أو المكانية التي ينطلق منها تقديم هذا العمل. كما لايرتبط بأية وجهة نظر، سواء كانت رئيسية أو ثانوية لتصف الواقعة وترتبط بها. وما نسجله عن النداء هو أنّه وقع في غالبه في الجمل المعترض فيها تمهيدا لتحقيق التواصل مع الغير واستدراجه للمشاركة فيه، الذي ما كان أن يتم لولا إدراج الدعاء الذي وقع في غالبه جملا اعتراضية.

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 164. بتصرف.

ب- وظيفة المبتدأ:

رأينا بأنّ للجملة الاعتراضية، مكونات تحمل وظائف داخلية مرتبطة بالبنية الحملية وبالمقام. ورأينا وظيفة خارجية عن حمل الاعتراض وحمل المعترض فيه وهي وظيفة المنادى الدالة على الكائن المدعو في مقام معين. إذن نستطيع أن نقول بأنّ الجملة الاعتراضية بالنسبة لهذه الوظائف عبارة عن جملة تحوي وظائف داخلية مهمتها إبلاغ المخاطَب بمقاصد المتكلم في مقامات معينة، بالإضافة إلى مكونات تحمل وظائف خارجية عن الجملة، قصدها تنبيه المخاطَب. ليشكل بذلك المكون الاعتراضي في البنية الحملية المعترض فيها، وحدة مستقلة.

ومن بين المكونات الخارجية الأخرى، التي تقع خارج الحمل الاعتراضي، بالتالي سيكون مرتبطا بالحمل المعترض فيه، مكوّن «المبتدأ» الذي يحمل وظيفة تداولية خارجية متميزة عن الوظائف التركيبية، لأنّ دور هذا المكوّن هو «تحديد مجال الخطاب». فمن مقومات نجاح عملية التواصل، أن يتفق المتكلم والمخاطَب على مجال التخاطب، وأن يتعرف المخاطَب على ما سيتحدث عنه قبل أن يحادث. لذا فهو ليس من موضوعات المحمول ولا لاحقا من لواحقه، فيكون بذلك تركيب الجملة تداوليا على النحو التالي:

مبتدأ + محمول + حدود (موضوعات ولواحق).

كما أنه لا يأخذ وظائف تركيبية ودلالية، كما تأخذها المكونات الداخلية من محور وبؤرة. أي أنّ المبتدأ سيكون خارج الحمل الذي يحمل الوظائف الداخلية: المبتدأ + الحمل. فالحمل سيكون واردا بالنسبة للمبتدأ، كأن نقول: زيد، أبوه قادم. فالجملة أو الحمل "أبوه قادم" وارد بالنسبة لزيد، ليكون للأب علاقة بالابن يحددها الضمير. فرغم أنّه مكوّن خارجي إلاّ أنّه مرتبط بالجملة التي تليه، بواسطة ضمير يدل عليه. ويحتل الصدارة على اعتبار أنّ عملية إنتاج الخطاب تتم عادة في مرحلتين:

- تحديد مجال الخطاب، بفهم الموضوع.

- التلفظ بالجملة أو الجمل التي تحمل فحوى الخطاب، واستخدام شتى وسائل التبليغ.

ويمكن التمثيل لذلك في الإشارات بالمخطط التالي:

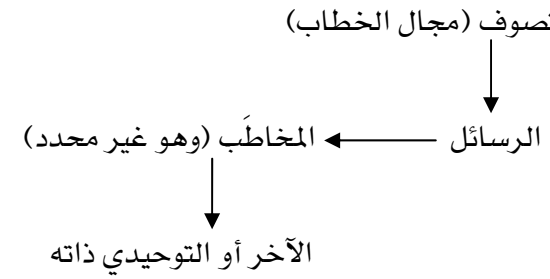

وتحديد مكون المبتدأ، لا يمكن أن يتم إلاّ انطلاقا من الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطَب في طبقة مقامية معينة. كما يعتمد أيضا في ذلك معيارا تداوليا، هو «إحالية المبتدأ» [1]. الذي يعتمد على قدرة المخاطَب، في التعرف على ما تحيل عليه العبارة ويهتدي إليها، باعتبار المعرفة المشتركة بينه وبين المتكلم « فنفس العبارة تكون كافية إحاليا في وضع تخابري، وتكون غير كافية إحاليا في وضع تخابري آخر » [2]. فإذا لم يستطع المخاطَب أن يهتدي إلى الشيء المقصود والمعين وبقي مجهولا بالنسبة إليه، فالمكون المحال إليه غير صالح لأن يحمل وظيفة المبتدأ.

وباعتبار أنّ الجملة الاعتراضية، مكون خارجي بالنسبة للجملة المعترض فيها فإنّ وظيفة المبتدأ ستكون خارج البنية الحملية للجملة الاعتراضية التي تحمل ضميرا محيلا، به يهتدي المخاطَب إلى المبتدأ الذي يشترط فيه أن يكون واضحا في المعرفة المشتركة أو الوضع التخاطبي، أي يكون معينا. وهذا ما نجده في الجمل الاعتراضية التي تحمل ضميرا محيلا. كما في «ومع ضرب الأمثال وتصريف الأقوال، بيني وبينك أحوالٌ - **اللّسان لا يصنفها والعبارة لا**

---

1 - أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص119.

2 - نفسه، ص 119.

تصرفها، والوصف لا يأتي عليها والإشارة لا تصلُ إليها؛ وكلٌّ ذلك للطافة ورقة ونحافة ودقة- من فضلك الذي أظلّتني غمامته ومطرت عليَّ سحابته..."[1] فالهاء هنا تحيل على الأحوال المشتركة بين المتخاطبين، ليحتل بذلك هذا المكون وظيفة خارجية بالنسبة للجملة الاعتراضية وهي وظيفة المبتدأ، فهو ليس موضوعا من موضوعات المحمول ومستقل عنه ولا يطابقه كما أنّه لا يمثل لا وجهة نظر أولى ولا ثانية.

ومنها أيضا، نجد ما يحيل إلى مجال الخطاب، وهو «الغريب، أي الرجل الذي لحقت به الغربة»، والذي وُصف في الجملة الاعتراضية التالية « هذا وصف رجل لحقته الغربة فتمنى أهلا يأنَسُ بهم... واشتملت عليه الأشجان من كل حاضر وغائب وتحكمت فيه الأيام من كل جاء وذاهب ... وشتته الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب - **وفي الجملة: أتت عليه أحكام المصائب والنوائب، وحطته بأيدي العواتب عن المراتب**- فوصف يحفى دونه القلم... »[2] وهو وصف، دائما، على حد قول «التوحيدي » يفنى من وراءه القرطاس.

ونجد جملا أخرى تحمل عنصر الإحالة إلى المبتدأ، في «**وقد أكثروا عنده ذكر الدنيا**» وفي « **وهو روح الله** »، وفي مواقع الدعاء في الرواية منها «... ومن مات منكم أو اغتاله أحد أو ذبحه أحد فعلى أهله أن يدفعوا عنه ضريبةً أطلق الشيخ الأبر **حفظه الله ورعاه وأكرم مثواه** عليها ضريبة القبر في رواية. وضريبة عذاب القبر في رواية أخرى... »[3]، وفي جملة « ... ولمَ اختفى عنك قصر عالية بنت منصور... يبدو أنّك بالأمر المقدّر قطعت مسافات شاسعة. **منذ غادرت قصرها**."[4]، فهذه الجمل مرتبطة بمجال الخطاب، وتضمنت معاني تحيل إليه

---

1 - الإشارات، ص 388.

2 - نفسه، ص82-83.

3 - الرواية، ص158.

4 - نفسه، ص179.

يوضحها الاستعمال، والهدف منها هو توسيع الخطاب وأن يظل الموضوع هو الغرض في الكلام لتدخل بذلك الجملة الاعتراضية فيه ولا تقطعه إلى موضوع آخر خارجه بل هي منسجمة دلاليا مع الموضوع الرئيسي وعلى علاقة سببية معه:

موضوع **سبب** ← اعتراض **سبب** ← تابع للموضوع

كما يمكن أن تكون تمهيدا لموضوع آخر هو نتيجة للأوّل وهذا في الجمل الاعتراضية التي وردت أشباه جمل، فهي تحيلنا إلى السياق الخارجي الذي حدث فيه القول. لذلك فالاعتراض باعتباره موجّها للمخاطب هو غاية من الغايات التي استعملها وأدرجها التوحيدي لتحقيق التواصل وإبلاغ رسالته الدينية ضمن موضوع التصوف سواء في جمل اسمية أو فعلية مستقلة بذاتها أو في أشباه جمل مرتبطة بغيرها.

جـ - وظيفة الذيل:

تعتبر وظيفة "الذيل" في إطار النحو الوظيفي، وظيفة تداولية خارجية. وهو مكون يختلف عن المكون المزحلق إلى اليمين، والذي يأخذ وظيفة تداولية خارجية وهي المبتدأ. فهو مزحلق إلى اليسار ليأخذ، في نظر النحاة العرب، تركيبيا، وظيفة المبتدأ المؤخر. إلاّ أنّ المتوكل وعلى اختلاف الخصائص التي قد يأتي عليها (مبتدأ مؤخر، بدل)، يعطيها وظيفة تداولية واحدة وهي "الذيل". وهذا على مستوى بنية الجملة، أثناء العملية التخاطبية والإخبارية، التي ترتبط بالمتخاطبين في مقام معين.

والذيل وظيفة تحمل « المعلومة التي توضح معلومة داخل الجملة أو تعدلها أو تصححها »[1].

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 174.

فهو يقوم بوظيفة أو دور: التوضيح أو التعديل أو التصحيح. ليميز في وظيفة الذيل الواحدة ثلاثة أنواع من الذيول، يوافق كل منها عملية خطابية، وهي [1]:

1- **ذيل التوضيح**: أين يعطي المتكلم معلومة يلاحظ أنّها ليست واضحة لغاية فيضيف معلومة أخرى لإزالة الإبهام (يمكن أن يتعلق بضمير مبهم).

2- **ذيل التعديل**: يعطي المتكلم معلومة، ثم يلاحظ أنّها ليست بالضبط المعلومة المقصود إعطاؤها فيضيف أخرى ليعدلها.

3- **ذيل التصحيح**: أن يعطي المتكلم معلومة، ثم ينتبه إلى أنّها ليست المعلومة المقصودة فيضيف معلومة أخرى قصد تصحيحها. فتأخذ محلّ الأولى في الإخبار لأنّها هي الصحيحة.

ونلاحظ أن استعمال هذه الوظيفة في الرواية مهيمناً، قصد بلوغ مرام، وهذا ما سنوضحه في الجدول التالي من خلال رواية مرتاض التي طغى عليها هذا النوع:

الاعتراض التذييلي	نوعه	وظيفته	الصفحة
..والتي يقال إنها جاءت من وراء السبعة بحور.	تصحيح	شرح وتوضيح	13
...عالية بنت منصور	توضيح	إزالة الابهام، والتأكيد على محور الحديث.	19
وهل وجدتم لهذا القصر نظيرا في القصور؟...قصر عالية بنت منصور.	تصحيح وتعديل	إخبار عن صاحب القصر المحدث عنه لتعديل المعلومة.	21
القصر... القصر يا بني خضران.	توضيح	القصر هو المعلومة المراد توضيحها.	24

1 - أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 147-148 ، بتصرف.

...يقول لكم شيخكم الأغر الأبر.	توضيح	توضيح، وتأكيد على المتكلم.	31
صاحبة السبعة قصور	توضيح	يضيف معلومة أخرى، حول التعريف بعالية بنت منصور.	34
والله أعلم بشكله وهويته	توضيح	لإزالة الإبهام	37
اغتاله الوحش ذو سبعة رؤوس.	توضيح وتذكير	لتأكيد المعلومة وإزالة الإبهام.	41
هكذا كانت الأخبار تتناقل بين الأطفال.	توضيح	إزالة إبهام وإخبار بمصدر المعلومة.	44
أججوها، النار يا بني حمران...	توضيح	إزالة الابهام وضبط المعلومة المقصودة إيصالها.	45
عالية بنت منصور.	توضيح	التوضيح والتأكيد على محور الحديث.	50
الوحش ذو سبعة رؤؤس، يهبط من الغابة كل ليلة فيغتال، هكذا يقال.	تعديل وتصحيح	إزالة الابهام، وإعطاء معلومة جديدة محل إخبار سابق.	74
نحن الضياع... والظلام الذي يسمينا الظلام.	تعديل	إضافة معلومة أخرى، لتعديل وتوضيح معلومة أعطيت سابقا.	76
إلى يومنا هذا	توضيح	تحديد الزمان .	80
كما كانت قالت عالية بنت منصور لأبي	توضيح وتصحيح	لإزالة الابهام عن صاحب القول.	84

الشيوخ السبعة قبل أن يتوفاه الله. بعد أن أتيح له أن يراها في المنام.			
ما أشقاك يا شيخ بني بيضان	توضيح	توضيح حالة	142
أنتم الذين سماكم الظلام، الظلام، يا بني خضران	التعديل	وهذا لتخصيص المخاطب أكثر، وليثبت المعلومة المقصودة ايرادها.	162
ما أروعكم يا بني خضران حين سماكم الظلام الظلام.	توضيح	توضيح لإزالة الابهام.	163
يا بني خضران	توضيح	أضافه في ذيل الكلام، لإزالة الإبهام عن الطرف الآخرن الذي وجه له الكلام، أي المنادى.	165
ولأنه هو نورنا...يا كبير بني بيضان.	توضيح	إزالة الابهام.	183
والله فعال لما يريد.	توضيح وتعديل	إزالة الابهام والتحقيق.	231

ومن خلال التعريفات السابقة الذكر للذيل، نلاحظ أن هذا المكون قد طغى على الرواية لأنّه يأتي بعد معلومة سبقته يعطيها الراوي ثم يريد تصحيحها أو تعديلها أو توضيحها قصد التدقيق أكثر. أي أنّه يقع في آخّر الجملة وخارجها

لاستكمال الدلالة في مواطن جامعة ومواقف حافلة، لأنّها « تجمع بين متلقين ذوي عقليات متفاوتة، منهم البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة والجيد الخاطر، وذلك يستدعي استكمال الدلالة وتمامها»[1] فبعد تمام المعلومة الأولى في الجملة، يأتي الذيل كمعلومة تأخذ أحد الأدوار السابقة. بتعبير آخر، الذيل يقع بعد ذكر المعلومة المقصود التدقيق فيها. ومثل المبتدأ، فهو مرتبط بالحمل بواسطة ضمير « يحاوله »[2]، وبواسطة روابط بنيوية أخرى تأتي بحسب البنيات المذيلة وهو ضروري في الذيل أكثر منه في المبتدأ.

وبحكم خارجيته، أي أنّه ليس من مكونات الحمل، فهو وظيفة تداولية. إلاّ أنّه يأخذ وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية عن طريق ما يمكن تسميته بمبدأ "الإرث"، لا عن طريق الأصالة كما هو الشأن بالنسبة للمكونات التي تعتبر جزءا من الحمل والتي تحمل وظيفة داخلية «يرث الذيل عن المكون المقصود تعديله أو تصحيحه – باعتبار أنّه «يعوضه» أو « يقوم مقامه » – وظيفته الدلالية ووظيفته التركيبية. »[3].

ولتبرير موقعه الذي يأتي بعد الحمل، نعود إلى عملية إنتاج الخطاب التي تتم في مرحلتين أوليتين وهما: تحديد مجال الخطاب، ثم التلفظ بالجملة التي تحوي فحوى الخطاب. أي: مبتدأ + حمل أو جملة، مبنية على مجال الخطاب، فيها إخبار أو استخبار.

وإذا أضفنا الذيل، كمكون يحمل معلومة توضيح أو تعديل أو تصحيح. فسوف يصبح الخطاب مكوّنا مما يلي:

- مبتدأ + حمل + ذيل.

---

1 – أبو هلال العسكري: الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت،1981، ص 37.

2 – أحمد المتوكّل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 149.

3 – نفسه، ص151.

وإذا أضفنا المكون الخارجي الذي يحمل وظيفة "المنادى"، والذي يأخذ الصدارة عادة نخرج إلى:

- منادى + مبتدأ + حمل + ذيل.

أو:

- منادى + مبتدأ + حمل (محور- بؤرة) + ذيل.

والجملة الاعتراضية، باعتبارها أساسا مكونا خارجيا بالنسبة للحمل المعترض فيه فإنّها تأخذ وظيفة الذيل، فتكون اعتراضًا تذييليًا بحكم موقعه ودوره الذي يأتي عادة على حد تعبير القدامى لدفع الايهام. فنجد جملا اعتراضية تأتي في آخر الجملة خاصة في غرض الدعاء الذي يأتي قصد التوضيح والتعديل والتصحيح، خاصة إذا كان المتكلم يتشكك في كلامه، وإذا كان وقوع الحدث مرتبطاً بالمستقبل والشك في الخبر « وقد اختلفت الأخبار حول هذه العين العجيبة... ومنهم من يذهب إلى أنّ الجن اتخذتها منذ غابر الأزمان لتضاهي بها عين الحياة في جبل قاف. **والله أعلم بحقيقة الأمر**... »[1] وهو: ذيل تعديل، كونه غير متأكد من المعلومة الأولى. كما نجده أيضا في عبارات أخرى دالة على الدعاء في الحديث عن الطوفان « ... ويودون لو أنّ كلّ شيء أحمر على الأرض... فيستحيل كلّ شيء **إن شاء الله تعالى** إلى دم أحمر قان جميل... »[2] لتحقيق هدف ورغبة كامنة في النفوس، وفي «والربوة الحمراء الأشرار سكانها. الكفار أهلوها. لا يؤمنون بالله... ما داموا نصبوا لكم العداوة. وباتوا لا يودون شيئاً في هذه الحياة إلاّ أن يرَوْكم محمولين على النعوش إلى المقابر. لينعموا هم وحدهم بالنساء الجميلات. الذين ينكحونهنّ سفاحا. ثم لا يغتسلون من الجنابة **والعياذ بالله**. »[3]. وهذا لتجنب الأذى.

---

1 – الرواية، ص113.

2 – نفسه، ص92.

3 – م.ن، ص29.

لذا، يمكن أن نعين بنية الجملة الاعتراضية في الخطاب، بمعيار تداولي وبحسب الوظائف التي تأخذها خارجيا من منادى وذيل، كما يلي:

- أن تحمل وظيفة خارجية بالنسبة للجملة المعترض فيها، فيكون موقعها كالتالي:
  - محمول + منادى + حدود المحمول.
  - حمل + ذيل.
  - مبتدأ + حمل + ذيل.
  - منادى + مبتدأ + حمل + ذيل.
- أمّا الوظائف الداخلية التي تحملها فتكون داخل حملها، فإنّنا سنتحصل على:
  - محمول المعترض فيه + حمل الاعتراض + حدود المحمول المعترض فيه.

وحمل الاعتراض يحوي على وظيفتي المحور والبؤرة.

وبما أنّ الاعتراض يحقق شرطي الإسناد والاستقلال، وكونه مكون خارجي عن الجملة المعترض فيها. وبما أنّ الجملة يمكن أن تمثل الخطاب، فيمكن أن نمثل لمكونات الخطاب كما يلي:

جملة (تحمل وظائف داخلية، من محور وبؤرة) + مكونات خارجية من مبتدأ ومنادى وذيل واعتراض.

والاعتراض في حد ذاته يمكن أن يحمل وظائف داخلية ووظائف خارجية، مضافا إليها وظيفة المبتدأ كوظيفة تداولية خارجية، يحمل في بنيته (الاعتراض) المعلومة الكفيلة مما يجعل المخاطب يتعرف عليه (المبتدأ)، لتحديد مجال الخطاب. ليكون بذلك تحديد الجملة الاعتراضية قائما على معيار تداولي مرتبط بالمقام والوضع التخابري بين المتخاطبين أثناء استعمالها.

وما نلاحظ مما سبق، هو أنّ المكونات أو الألفاظ التي لها وظائف تداولية، تسند لها الحالات الإعرابية التي أسندت إليها وهي تحمل وظيفة تركيبية أو دلالية. وهذا حسب سلمية تحديد الحالات الإعرابية:

الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية > الوظائف التداولية[1].

فالمفعول به احتفظ بعلامة النصب، والفاعل بعلامة الرفع، أو ما محله النصب في "أيّها". وكل أخذ موقعه ووظيفته بحسب ما عني به، وما كان محل اهتمام في الجملة. وأساس ذلك كان محكوما بالمقام ومقاصد المتكلم. أمّا إذا كان المكون تداوليا، أي يحمل وظيفة تداولية فقط كالمنادى، الذي لا تسند إليه الوظيفة التركيبية والوظيفة الدلالية، فإنّه يحمل موقعه وحالته الإعرابية بمقتضى وظيفته التداولية فيكون مرفوعا كما في «يقول لكم، **يا سوقةُ**، إنّما لم أتزوج، إلاّ هذا العدد القليل وحده من النساء **واللّهُ أعلمُ**، لأنّي كنت أحلم بالحظوة بهذه الفاتنة. الخالدة. »[2]، « يقول لكم الشيخ الأغر الأبرّ الآن دعونا من النساء. **يا همَجُ يا رعاعُ. ويا طغامُ ويا غوغاءُ. ويا عامةُ ويا سوقةُ**...

- أمر النساء نُرْجئه إلى حين من الدهر. »[3].

كما يكون منصوبا، وهذا ما نجده في «اسمعوا، **يا أهلَ الحلقة الأبرار**... »[4].

ولقد كانت الانطلاقة، بالنظر إلى الوظائف التركيبية، وعلى أساس ما عرف بالقول الشهير « مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

فعبد القاهر الجرجاني، أكّد على أهمية المقام وتأثيره على التراكيب، خاصة في الجمل الفعلية أو الجمل ذات المحمول الفعلي (لأنّها تحتوي على عدد

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص 12.

2 – الرواية، ص31.

3 – نفسه، ص25.

4 – م.ن، ص05.

أكبر من الكلمات تكون بمثابة متممات. يمكن أن يقع عليها تغييرات)، سواء من الجانب الدلالي أو التركيبي. فالنظم في علاقاته يقوم على «سبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام»، أي على العلاقات التركيبية في نظم الكلم بعضه ببعض لما يقتضيه علم النحو والعلاقات الدلالية التي تنشأ من هذه التراكيب، التي تكون منتظمة في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس. ورأى بأن أنماط التراكيب بينها فروق لها صور خاصة، من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وغيرها، ليؤلفها في علم المعاني(*) التي تناول فيها البلاغيون بعده أحوال المسند والمسند إليه خاصة في باب التقديم والتأخير المتعلق بقضية الرتبة.

هذه الفروق الناتجة عن الاستخدام بسبب ما يقصد إليه وما يهتم به المتكلم تساعد على تحديد العلاقات القائمة بين الألفاظ حسب المقام، كالوظيفة التي أخذها المخاطب عند التوحيدي في ضمير «الكاف» «فاستمع الآن - **يرحمك الله**- فقد حملت على نفسي لك اعترافا بفضلك وقضاءً لحقك... » بعد التركيز عليه في الكلام ليحتل موقع المحور، بعد تقديمه عن الفاعل وهو اسم الجلالة «اللّه». ليتوسط في التركيب، فالمهم في الجملة هو المخاطب، فعليه يقع الحدث وهو المقصود في المقام. ليكون الفرق بينه وبين الوظائف الأخرى، في الاستعمال، فرقا تداوليا، الذي يتحدد بالنّظر إلى الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطَب.

من هنا، نلاحظ أنّ المناهج قد قصرت في حق التراكيب، كونها لم توجه اهتماما كافيا إلى أثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، أي أنّها لم تهتم بالمقام. فالمنهج البنيوي مثلا، اهتم باللّغة كبناء مكتف بذاته دون اعتبار للبعد الخارجي للظّاهرة، من مواقف وسياقات سواء كانت متعلقة بالمتكلم أو

---

* – علم المعاني: العلم الذي يهتم بدراسة العلاقة بين تراكيب الكلام ومقتضى الحال، إذ لكل مقال مقام. فكل حال يكون فيه المتكلم، يحتاج إلى تركيب يتشكل في أنواع متعددة، وفقا للمقام والمقصد و ظروف الكلام.

المخاطَب، ولم تعط أهمية لسبب حدوث التغيرات في الجملة، كونها أساس وقاعدة التحليل، في مرحلة نتاجها، ولا سيما الجانب التداولي منها.

فالجملة الاعتراضية وسيلة للتواصل في مقام معين، موجّهة أساسا للمخاطَب قصد خلق **علاقة تخاطبية**، وهذا ما قام به التوحيدي حين جعل لنفسه مخاطَبا يوجه له الكلام، وهذه العلاقة لها أشكال دلالية متنوعة، تخضع لاختيارات لغوية في مكوناتها تناسب سياق التلفظ بها. فكل تركيب يركز على جانب معين من الحدث، لإبلاغه للمتلقي عن قصد ودون إبهام، لتؤدي وظيفة الإبلاغ وهدف التواصل.

نستخلص مما سبق قوله عن مكونات القول الاعتراضي والأغراض التي يأتي عليها لتحقيق هدف التواصل في المدونة ما يلي:

- إذا كان النحو يضع قواعد اللّغة ويصنفها، فإنّ التداولية تدرس اللّغة بالنظر إلى مدى امتثالها لمتطلبات السياق، وأسباب العدول عن الأصل ونتائجه، التي تكون موافقة للمقاصد. فهي لا تكتسب دلالتها إلاّ بعلاقتها بالمتكلم والمخاطَب في وضع تخاطبي مشترك، أين يمكن تأويلها والذي يبرز الأهداف والمقاصد. ولقد رأينا في الإشارات أنّ التوحيدي في نصوصه لم يخرج عن الإطار التقعيدي للاستعمال الاعتراضي في بنيته وموقعه الذي يأتي فيه للفصل بين عنصرين لهما الحق في الاتصال. فكان تفكيك بنية الجملة الاعتراضية قائما على فهم الغرض منها في قطع الكلام فيكون إمّا للدعاء أو النداء أو التخصيص أو القسم وغيرها من الأغراض البلاغية، تتحدد إجراءاتها ضمن قواعد راسخة، ويتم من خلالها التواصل مع النّص في ظل قواعد صارمة تحكمه. إلاّ أنّ هذه البنية لها أثرها ودورها الدلالي الذي تؤديه والذي يخرج عن تلك الدلالات الثابتة والمحددة التي وضعت له من طرف الدارسين. فالاعتراض يأتي لتحقيق دلالات مختلفة وتوضيحها يعتمد على السياق أو الظرف التخاطبي الذي يعتبر العامل الأساسي في بيانها.

- تؤدي وسائل الربط اللّغوية في ربط الجملة الاعتراضية بالسياق الخارجي لتعيين أهدافها، كما تقوي تماسكها وتؤكد وحدتها في سياقها الداخلي. وهذا باقترانها بواو الابتداء لتتحرك بشكل يوافق معنى البنية المحورية للجملة المعترض فيها أو تخالفها، ومن هنا تبرز قيمة بنية الاعتراض الدلالية.

- الوظائف التداولية التي تحملها المكونات في الخطاب، تتخذ أهمية تحديد مواقعها من استجابتها للسياق. أهمها بؤرة الجديد كونها مسندة إلى المكون الحامل للمعلومة التي يجهلها المرسل إليه، أي التي لا تدخل في القاسم الاخباري المشترك بين طرفي الخطاب. وهذا عندما يعتبر المرسل أن المرسل إليه يجهل المعلومة التي يقصد أن يعطيه إياها.

- الوظائف تكون ممثلة تارة بمكون من مكونات الجملة كما لاحظناه في البنية الداخلية للاعتراض. وتارة بالجملة برمتها كما رأيناه في وظيفة الذيل والمنادى. ولكي تتحدد هذه العناصر أو المكونات، لا بد من اعتبار النسق الذي تأتي عليه الجملة بنية ودلالة، باعتبار محمولها، وباعتبار المقام التخاطبي المنجزة فيه. فما تتميز به الوظائف التداولية أنّها «مرتبطة بالمقام، أي أنّ تحديدها لا يمكن أن يتم إلاّ انطلاقا من الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب، في طبقة مقامية معينة»[1]. فالمحور يدل على محور التركيز في الجملة، أما البؤرة فهي المعلومة الجديدة المهمة فيها. وبالعودة إلى البنية الحملية التي رأيناها نلاحظ بأنّ المسند إليه هو الذي يشكل موضوع الجملة، يقدمه المتكلم ليوصل محدثا عنه إلى المتكلم وبإضافة متممات أو فضلات، على حد تعبير النحاة القدامى، كالظرف مثلا سوف نبرز معلومة هامة وجديدة يجهلها المخاطَب تسمى البؤرة، أمّا المسند فيكون قد علم به في المقام الذي استعمل فيه. فالتركيز سيكون على موضوعات المحمول، إذا كانت داخل أو خارج الجملة، سواء كانت ذات محمول فعلي أو ذات محمول غير فعلي.

---

1 – أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص116.

- كانت الجملة الاعتراضية في القديم واضحة لدى المتلقي لأنّها كانت محفوظة في الذاكرة تحمل أغراضا في مقامات متعددة، يستعملها للتواصل وشدّ انتباه المتلقي وربطه دائما بالواقع، فهي جزء من تكوينه وثقافته وتربيته الدينية التي نشأ عليها خاصة في الجمل المستخدمة لغرض الدعاء الذي نراه غالباً في الإشارات. حتى أنّ تلقيها جاء على مسار واحد:

متكلم ← مخاطَب

- الجملة الاعتراضية ليست مجرد عرض لمقاصد، إنّما هي كيفية في التواصل مع الواقع والمخاطب ولذلك أكثر من استخدامها التوحيدي مما يجعلها مهمة أثناء التخاطب لما لها من قوة تأثيرية أثناء الاستعمال، خاصة في مقام الدعاء والقسم.

- بهذا، تحقق نصية الخطاب الأدبي، لأنّها تتيح لنا دراسة بنية النّص والعلاقات بين مكوناته والوظائف التي تحملها بربطها بسياق داخلي وخارجي، الهدف منها إعطاء معلومات للمخاطب وتوضيحها. فالبحث في المعنى هو كشف عن العلاقات الداخلية والخصائص اللّغوية، التي نستطيع التعرف عليها في موقف اجتماعي معين يحدده لنا السياق التخاطبي من ظروف وعلاقات وملابسات.

الفصل الثاني

مقولات بناء النص الاعتراضي

- **تمهيد.**

المبحث الأول: صيغ تحقيق التماسك الدلالي والمرجع:

1- الضمائر والشخوص وتكوين الاعتراض.

2- الزمان.

3- الأقيسة المكانية.

المبحث الثاني: أثر الموروث الحكائي في مدلولات الاعتراض:

1- البناء الخرافي/ الشعبي.

2- خصائص الاعتراض في السرد الشعبي:

أ- التكرار.

ب- الإسناد والإخبار.

تمهيد:

لقد رأينا بأنّ الجملة الاعتراضية في المكونات والوظائف التي تحملها أنّها موجّهة أساسا للمخاطَب أو المتلقي، وهذا ما أكدته المدونتان خاصة في وظيفتي المحور والمنادى التي هيمنت في الإشارات ووظيفة الذيل التي طغت في الرواية. لذا يمكن اعتبارها أصغر وحدة تخاطبية تحمل معنى تاما، في سياق اجتماعي، سواء كان ذلك شفاهة أو كتابة يتبادلها المشاركون في الاتصال (المتكلم/المخاطَب. الكاتب/القارئ). ولقد سعينا فيما سبق، إلى دراسة بنيتها، أي الشكل الداخلي لها، بتحديد مكونات الجملة الاعتراضية في مستوياتها الثلاث. ورأينا بأنّ كلّ مكون له وظائفه التركيبية والدلالية والتداولية. أمّا الآن فسنحاول فحصها من حيث كونها وحدة دلالية أي نصاً تعترض بين أجزاء الخطاب وتحمل مضمونا فكريا وتداوليا مرتبطا بالمقام وسياق الاستعمال في علاقتها مع المخاطَب/ القارئ.

وكما رأينا سابقا في النحو الوظيفي، في إسناد الوظائف، فإنّ الدلالة تتشكل في العلاقة الدلالية القائمة بين المحمول والموضوع، أو بما يتمثل تركيبيا بعلاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه. فالجملة كما نعلم، تتشكل بوحدات وظيفية تركيبيا. أمّا دلاليا فيجب التمييز بين وظيفتين إخباريتين لهما أهمية دلالية، تتمثلان في: تلك التي يخبر عنه الموضوع (المسند إليه thème)، والتي تخبر عن الموضوع وهي المحمول (المسند rheme) والعلاقة بينهما «وتشمل العلاقة الإسنادية في العلاقة التركيبية بين مسند ومسند إليه، وهي التي تربط بين عناصر الجملة ولا تتشكل جملة بدونها. وكذلك العلاقة الدلالية هي تركيب دلالي بين موضوع ومحمول.» [1] لتتكون لدينا جملة دلالية تشكل لنا نصاً متماسكاً بعلاقتها مع الجمل الدلالية الأخرى.

---

1 – محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف، ط1، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص218.

وتنظر نظرية النّص إلى النّص بوصفه وحدة كلامية تامة، يحققها المتكلم بهدف معين وفي إطار ظروف مكانية وزمنية محددة[1]. لتختلف النصوص عن متوالية الجمل من خلال ظاهرة التماسك الدلالي، فهو تتابع متماسك من الجمل. ليفهم تتابع الجمل على أنّه نص مترابط من خلال تسلسل ضميري متصل لوحدات لغوية، قائم على مبدأ إعادة الصياغة أو الإبدال والرّبط الذي يحقق التناسق في بنيته العميقة، والتي تدعم الجوانب التالية:

1- التماسك الدلالي للنصوص: الذي يعد ظاهرة تركيبية عميقة.

2- إمكانية تذكر «مضمون» نص وربطه بنص آخر.

3- إمكانية الانتقال من موضوع إلى موضوع، مع ضمان التناسق في الخطاب السردي.

4- إمكانية اختصار نص في ملخص أو فقرة أو في حكاية مضمنة.

وما يغلب على النص الاعتراضي- التخاطبي هو الإحالة، أي أنّه نص إحالي. إذ من مميزاته الأساسية أنّه يغلب في الأحاديث اليومية المتبادلة لتحقيق الوظيفة التواصلية في إطار اجتماعي، للإحالة إلى جوانب معرفية مشتركة. وبانتقاله إلى نص المكتوب فإنّه يمتلك الذوات ويستطيع أن يقرأها كل واحد يعرف القراءة للوصول إلى الإطار التخاطبي، فهي نصوص تؤكد حدوثها. فإذا كان النص الشفوي ملكاً لمنشئه في أغراضه ومقاصده التي يسعى لتحقيقيها، فالنص المكتوب ملك لقارئه؛ لذلك فهي ملك للمخاطب في كلّ أحوالها، وموجهة إليه.

ومن أجل الكشف عن العلاقات الموجودة بين الوحدات الدلالية في النص الأدبي سوف نرى ما يحقق التماسك الدلالي والانسجام، بدراسة صيغ تحقيق الرّبط والمرجع. وهذا في المدونتين، سواء مع أبي حيان التوحيدي في الإشارات

---

1 – زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترجمه وعلق عليه، سعيد حسن بحيري ط1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص53.

الإلهية أو مع عبد الملك مرتاض في مرايا متشظية، ثم أهم ما يميز بناءها السردي/ الخرافي في الرواية بما يحمل من رموز ودلالات، تجعل من قراءتها إيهامًا بالواقع وتخييلا له.

المبحث الأوّل

صيغ تحقيق التماسك والمرجع

تتكون الجملة باعتبارها نصا من مجموعة من الوحدات اللّغوية، منتظمة في علاقات بعضها ببعض في اتجاه يولد كل منها الأخرى، في سياق لغوي واحد، يتشكل لنا سطحيا. وكان الاهتمام فيما سبق بالوظائف التي تؤديها مكوناتها سواء من جانب نحوي أو دلالي أو تداولي، بدراسة رتبة أو موقع كل منها. ورأينا بأنّ الوحدة التركيبية للجملة تتأسس على أساس المعنى الذي تدل عليه في شروط تحكمها أساليب وظروف والتي تتحدد بواسطة قيود وضوابط مرتبطة في انتظامها بالدلالة والدور الذي تؤديه أثناء الاستعمال في عبارة فيها حضور للمتكلم والمخاطَب، في مقام معين.

ولقد اعتبرت الجملة الاعتراضية من ضمن شواهد تداول الجملة وتفرعها وتوسعها، لها نفس البنية التركيبية للجمل التي لها محل من الإعراب، فهي في كليتها مستقلة وقائمة بذاتها، إلاّ أنّها لا تحمل وظيفة نحوية، أي ليس لها محل من الإعراب وإنّما توجد لها وظيفة أخرى، هي **وظيفة تخاطبية/ تداوليّة** متعلقة باستعمالها في مقام معين، خاصة في وظيفة الذيل والمنادى لأنّهما مرتبطتان بالجملة برمتها لا بمكون من مكوناتها، ومتعلقة بأثرها وبوقعها على المستمع، لأنّها موجهة أساسًا له أثناء الحديث استخدمت شفاهة أكثر مما استخدمت كتابة. حددنا فيها فيما سبق، ترتب الصناعة والدلالة ومطابقة مقتضى الحال تركيبيا لمحتواها بتحديد مكوناتها، أما الآن فسنتبين تخاطبيتها وإحالتها. فما سيهمنا هنا هو دراسة ما يساهم في بنائها كنص والإحالة والمرجع، لنتحدث بذلك عن المكونات الأساسية للنص من شخوص ومن زمان ومكان.

وفي وصف الإحالة والمرجعية، لمنحها للنص، سوف نجد أنفسنا أمام ظواهر وإجراءات نصية من قبيل: الإحالة والضمائر والظروف، اهتم بها كل من هاليداي ورقية حسن –Halliday et R.Hassan- باعتبارها المقوم الأساسي للترابط، ولا يمكن التحليل دونها، فهي التي تحقق الاتساق Cohésion والانسجام Cohérence، في البنية التشكيلية والدلالية. لأنّها مجموع القواعد التي تربط بين العناصر، لتستمر في خط واتجاه واحد تصاعدي، وهي التي تضمن استمراريتها وتداولها الخطّي والدلالي في مجموعة من القواعد الموضعية، تحكمها معايير لغوية اقتضاها مقام ومحيط خارجي. والتي تقرر ما إذا كانت الوحدة التخاطبية، تدخل في دراستها ما يسمى «مفهوم التخابر وموضع التحاور»[1] الذي يأخذ معيارا تداوليا لأنّه مرتبط بالمقام وبالوضع التخابري بين المتكلم والمخاطَب. وسنرى بأنّ لها دورا يقترن بتحديد المرجع والتعبير عن الذاتية وتوزيع المعلومات الدلالية ونوعها، وفق مبادئ تحددها وتقدمها داخل الجملة في ترتيبها وطريقة تلفظها، فالمتكلم يعبر عن أغراضه في جمل مترابطة الأجزاء، يعبر عن هذا الترابط بواسطة إجراءات تحدث تماسكا وربطا معنويا ولفظيا بين العناصر يحقق ما يسمى بوحدة المحور والموضوع المحدث عنه، الذي نجده متعددا صوفيا في الإشارات، وموضوعا تخييليا خرافيا يتسم بالوحدة في مرايا متشظية.

1- الضمائر والشخوص وتكوين الاعتراض:

يعرف الاسم في اللّغة العربية على أنّه «الكلمة الدالة على معنى في نفسها غير مقترنة... وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي حرف» [2] لذا نجد نوعين أو صنفين من الأسماء: منها ما هو صريح، يقوم بنفسه دون إحالة

---

1 – فان ديك: النص والسياق، ص28.

– موضع التحاور: مجموعة من القضايا يعرفها المتكلمون والمخاطبون. والموضوع يتحقّق في التحاور.

2 – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 113.

أو إنابة. ومنها ما هو غير صريح كالضمائر وأسماء الإشارة، فهي لا تشير إلى ما تدل عليه إلاّ بالإحالة، كما لا تدل على مسمى. وإذا أريد لها أن تدل عليه «فتنقلب دلالتها من وظيفية إلى معجمية، كان ذلك بواسطة المرجع، فدلالتها على مسمى لا تأتي إلاّ بمعونة الاسم »[1]، لتؤدي دورا في علاقة الربط، ضميرا كان أو إشارة، بعودة إلى مرجع لتغني عن تكرار لفظ ما رجعت إليه، مما يؤدي إلى تماسك أطراف القول، ليجعله واضح الوظيفة غير معرض للبس والإبهام.

وقد يدل الضمير على شخص يتحدث عن نفسه ويعبر عن ذاته، ليكون بهذا موضوع التلفظ، كما قد يدل على شخص يتحدث مع غيره أثناء الحديث. ليتحقق بذلك وجود ثنائية التواصل من باث ومتلق أو من مرسل ومرسل إليه، الذي يتشكل الحديث بهما ويكون تبادل الخطاب، إذ بمجرد أن يكون هناك الضمير (أنا) حيث يعلن المتكلم عن موقعه، فإنّه سيوضع في المقابل الضمير «أنت» ليدل على الآخر، أي المتكلم في مقابل المتلقي أو المستمع (مفردا أو جمعا). فبين أنا وأنت يكون الخطاب. واستعمال الضمائر يعني « تحويل اللّغة إلى الخطاب»[2]، بحيث تصبح من ضمن إمكانات وقدرات المتكلم ليوجهها إلى شخص يقابله، لذا سميت بضمائر الخطاب، لها دور في اختصار « مرحلة من مراحل العلاقة بين الدال والمدلول »[3] لأنّها تحيل إلى الذات العاقلة مباشرة دون إحالة إلى لفظ معين. ليتحقق التواصل الذي هو أساس كلّ خطاب بحيث يكون لكل عنصر وظيفة، تسمح له بالدخول في علاقة تفاعل باستخدامها، فهناك دائما:

مرسل(1)..... سياق أو مرجع(3)..... مرسل إليه(2)

---

1 – تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،، ص 110.

2 – D.Maingueneau : Approche de L Enonciation En Linguistique Française, Hachette, Paris, 1981, p34.

3 – سمير شريف أستيتيه: اللسانيات، ص197.

والأول وظيفته تعبيرية، متعلقة بالمتكلم وقد تسمى انفعالية. والثاني وظيفته ندائية يتعلق بما يتلقاه الشخص الذي يوجّه إليه الخطاب قصدا أو عن غير قصد. والثالث يمتلك الوظيفة المرجعية أو الإخبارية. وتعتبر هذه الوظائف الثلاث من أبرز ما يعتمد عليه في إدراك لعبة الضمائر والتعامل مع حوارات الشخوص[1]:

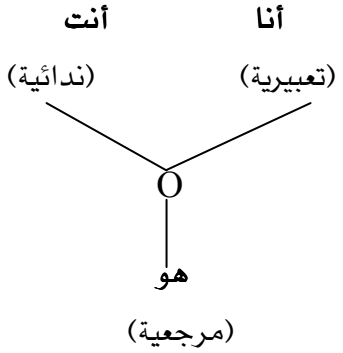

إذن، فأنا وأنت ضمائر تدل على ذات دون إحالة، فهما « لا يضمران مفهوما ولا شخصا ولكنهما يسمحان للمتكلم من احتلال منزلة الفاعل في الخطاب، مع علاقة تتوفر بينه وبين المرسل إليه.»[2] فهما يعبران عن القدرة الذاتية للمتكلم في فرض نفسه كفاعل. أمّا الضمير "هو"، فإنه يحيل إلى شخص آخر غائب، لكنّه معين في الخطاب (أو الملفوظ). لذا فضل سمير شريف أستيتيه تسميته بضمير الالتفات « فإنّ ما سموه ضمير غيبة، هو في حقيقته عدول أو التفات عن الخطاب بقسميه المتكلم والمخاطب. ويؤيد هذا الفهم أنّك تستعمل الضمائر (هو، هي، هما، هم، هن) في سياق الحديث عمن كان

1 – عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 89.

2 – ك. فوك، ب. لوفوفيك: مبادئ في قضايا السانيات المعاصرة، تقديم: المنصف عاشور، د.م.ج، الجزائر، 1984، ص 134.

حاضرا من غير أن يكون خطابك موجّها إليه.» [1] فهي إذن تقوم بوظيفة الإنابة أي أنّها تنوب مناب الموضوع المحدث عنه، ولا تأخذ وظيفة الرابطة. وهذا ما يدعم قول أركيوني «إنّ التصريح القائل أنّ الضمير (هو) تكمن وظيفته في التعبير عن اللاّشخص غير صحيح، إنّما يكون ذلك في بعض الأساليب التي يرغب المتكلم تحديد طبيعتها.»[2] بحيث لا يظهر إلاّ إذا أراد المتكلم. كما أنّ المتكلم ليس حاضراً دائما بالضّرورة، إذ يمكن أن يكون مفترضا خاصة في الخطاب الشفوي الذي يكون بالنيابة المتواترة أو المسلسلة، كما في قول الرسول (ص): «فليبلغ الشاهد الغائب» فكل مرسل إليه من الغائبين اللاحقين، يعتبر اليوم حاضرا في حجة الوداع[3].

واستخدام الضمائر مفردة يجعلها تفتقر إلى المرجع والحضور والوصل، فهي لا تتخذ معنى إلاّ في حال الحديث، لذا صنفت من المبهمات Diectique، فهي أشكال فارغة من النّاحية المرجعية، ولكن ليس من النّاحية الدلالية « إذ يمكن للضمير أن لا يكون له موضوع، ولكنّه من غير الممكن ألاّ يكون له مفهوم.»[4]. ولتحديد دلالتها في الخطاب وجب تحديد المرجعية التي تحققها، لأنّها لا تحيل إلى شيء ثابت في العالم. وتتوافر الضمائر في جميع اللّغات كخاصية في التلفظ، كونها تحيل إلى علاقة بين ما نتلفظ به وما تشير إليه أي المرجع، لهذا جعلها بنفنيست E.Benveniste من مشكلة اللّغة[5]. ولكي تحيل على معين

---

1 – سمير شريف أستيتيه: اللسانيات، ص 115. والضمائر المذكورة هي ضمائر شخصية، أما التي تدل على الغيبة نجد: الذي، التي، من، ما، اللائي... انظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 910.

2 – C. K. Orrekioni : L'Enonciation de la Subjectivité dans le langage, Armand Colin éditeur, Paris, 1980, p 34.

3 – عبد الجليل مرتاض: اللغة والتواصل، ص87.

4 – C.K.Orrekioni : L'Enonciation de la subjectivité dans le langage, p37.

5 – Emile Benveniste: Problème de Linguistique Générale, T1, Ed Gallimard, Paris, 1966, p 251.

فوجود قرينتي index الحضور والمرجع أمر ضروري «فضمائر المتكلم والمخاطَب والإشارة قرينتها الحضور. وأمّا ضمير الغائب فقرينته المرجع المتقدم، إمّا لفظا أو رتبة، أو هما معا.» [1]. ليكون المرجع في هذه الحالة، هو القرينة التي تدل على المقصود بضمير الغائب، فيدل بذلك على الدلالة دلالة الضمير على معين بتقدمه لفظًا أو رتبة.

يغلب الشخص المتكلم والمخاطب في النصوص الحوارية أو الثنائية أين يكون هناك تبادل في الحديث، أمّا الشخص المتكلم فيغلب عادة في المونولوج أو ما يسمى بالحوار الذّاتي للتعبير عن حاجة. إلاّ أنّ ما نلاحظه في الجمل الاعتراضية أنّها تسند في كليتها إلى أقطاب التواصل، أي إلى:

- الشخص المتكلم – أنا.
- الشخص المخاطَب – أنت.
- الشخص الثالث – هو.

ولذلك نجد جملا اعتراضية، خاصة بالمتكلم والمخاطَب. وجملا خاصة بالغائب وهو لا يتعلق أساسا بالمشارك في الموقف، فقد يعود على شيء أو أحوال، لذا فهو يختلف عن الشخصين الأولين:

- الشخص الأوّل: المتكلم.
- الشخص الثّاني: السامع.
- العالم المتبقي: الشخص الثّالث [2].

ولا يمكن معرفة مرجع الضمير قبل استعماله، كما أنّه يختلف باختلاف شروط الحديث التي يخضع لها المتكلم في نشاطه، سواء كان شفاهة أو كتابة. وبما أنّ الضمائر نوع من الكلم، فإنّها أيضا تتغير بتغير المقام في زمان ومكان ما بين المتخاطبين، أي أنّها خاضعة لعوامل تداولية، مرتبطة بالاستعمال أثناء الأداء

---

1 – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 110.

2 – زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص، ص96.

الفعلي في مقام معين، له من العلاقات ما يجعلها معينة ولها دلالة، سواء داخل الخطاب أو خارجه.

فنجد في الإشارات الضمير الدال على الكاتب في الاعتراض، أي المتكلم، في قول التوحيدي «... لأنّك مع الجهد المبذول ترجع إلى حد مرذول ...وهكذا عليك عنه لأن الآثار فيها بيّنة والأخبار عنك متظاهرة – **أعني بالآثار ما أنت به خالق، وأعني بالأخبار ما أنت به رب** - فالْحظ الآن هذه الأسرار بعين لم تخلق من لحم...»[1]، ولقد سمي ضمير المتكلم ضمير حضور، لأنّه صاحبه، فلا بد أن يكون حاضرا وقت النطق به [2].

وهناك تفاد لاستخدام ضمير المتكلم في الجملة المعترضة « ونسألك – **إلهنا** - أن تجعلنا في كنف من ضمانك »[3] وفي « لكنك - **يا ربنا**- طويت عنّا إرادتك بنا » « لكنّا- **يا ربنا**- لا نستطيع أن نحفظ أنفسنا على طرائق أمرك ونهيك إلاّ ببوادي صنعك ولطفك »، وهذا لما في استعمال (الأنا) من إيحاء بالفردية في مقام تنبغي فيه المشاركة، ولما في (نحن) من تعظيم « لذا يفضل أن يعدل عن استخدام ضمير المخاطبين إلى ضمير المتكلمين.»[4]لما فيها من مواجهة ولما يقوم به المتخاطبون من أدوار لغايات محددة. ويمكن أن تعد الجمل التي تحوي على المخاطب والمرسل ذاته أي من: أنا + أنت أو نحن: «مخاطبة ضمنية»[5]، فبها يتم استحضار الطرف الآخر، حتى لو كان غائبا عن العين.

كما نجد (في الإشارات) استخداما لـ"الأنت"، وهذا للانتقال إلى محدث عنه آخر في الخطاب أو بما سمي بالمحور، الذي ارتبط كثيرا كما رأينا

---

1 – الإشارات، ص 63.

2 – عباس حسن: النحو الوافي، ج1، ط4، دار المعارف، القاهرة، ص218.

3 – الإشارات، ص 180.

4 – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 361.

5 – محمد خطابي: لسانيات النص، ص 185 .

بالمخاطَب، الذي يحيل إلى خارج النّص، أو ما يسمى بـ"الإحالة السياقية"، والذي اتسم التواصل معه في مقامات الدعاء والمناجاة، التي جاءت كاعتراض بمسار خطي واحد، سواء من:

أنا ⟵ أنت (اللّه)

«اللّهم: إنّا نفتتح كلامنا بذكرك ودعائك استعطافا لك، ليكون نصيبنا منك بحسب تفضلك لا بحسب استحقاقنا؛ ونختم أيضا كلامنا بما بدأنا به رغبةً في رحمتك لنا وتجاوزك عنا ورفقك بنا وإهدائك ما لا ندريه ولا نتمناه إلينا. ونسألك – **إلهنا** - أن تجعلنا في كَنَف من ضمانك...»[1]، « اللّهم: إنّا نذلُّ لك بنا، ونعزّ ُمعك بك، وندعوك لنا، ونسلِّمُ إليك منك، لأنَّا إذا أحسَسْنا نِسْبَتنا من عبوديتنا لك، بدتْ علينا علامة الخشوع والخضوع... فرَقّنا – **اللّهم** - من مقامات نقصنا بك، إلى درجات كمالنا بك...»[2] « اللّهم: لولا إغضاؤك عنّا في وصفك، ولولا سترك علينا في ذكرك، ولولا رفقك بنا في الدّعاء لك، لكنا هالكين... فنسألك – **بفضلك ورحمتك** - أن تسمح لنا وتسامحنا حتّى ننتهي على رضوانك وإلى غفرانك...»[3].

أو من: أنا ⟵ اللّه ⟵ أنت

« أما بعد – **أطال اللّه بقاءك مُحَسَّدا،ً وأدام عزَّك حميداً مؤيّداً، وأنعمَ عليك مرفّهاً مُسدداً** - فقد علمتَ بصادق تجربتك وثاقب فطنتك، وبممرِّ الأحداثِ بك... أن الجهدَ فَضْلٌ محروم والفاضل حرٌّ مظلوم...»[4]، « فما تقول –

---

1 – الإشارات، ص 180.

2 – نفسه، ص409.

3 – م.ن، ص57.

4 – م.ن، ص388.

أبقاك اللّه - فيمن يُقْنِعه منك اعتراف بتقصير إن كان، أو إحسان بيسير إن وجدت إليه الإمكان؟...»[1].

كما يشير في بعض المواقع إلى أنّه هو المخاطَب، ليكون الخطاب ذاتيا بعد أن كان غيريا، والذي جاء في مقام السؤال، في الرسالة الثالثة[2]، التي جاءت في وصف حاله، وهذا في قوله: « وصل كتابك - **وصلك اللّه بالخير وجعلك من أهله** – تسألني فيه عن حالي، وتستنطقني به عن ظاهري وباطني...وفي الجملة عن جميع أموري وأسبابي... فاستمع الآن - **يرحمك اللّه**- ...فأمّا حالي فسيئة كيفما قلبتها، لأنّ الدنيا لم تؤاتني لأكون من الخائضين فيها، والآخرة لم تغلب عليَّ فأكون من العاملين لها...» [3] ويقول في ذيل الكلام (شعرا) عن نفسه ووصف معاناته في القسم الثاني من الكتاب، في "الكأس الدهاق من الإشارات الإلهية": «أتدري لم هذا كلّه؟ أقول لك، وإن كان قولي عليّ، ووصفي فاضحي: هذا لأني أركب الخلاف مجاهراً، ثم أطلب الاستعطاف مساتراً... وأظنُّ أنّي قد ملكت القُرْب، وأنا في غاية البعد... وأُعجبُ باسمي وكنيتي وأصول بإنّيتي وأُبوّتي وأبيِّضُ وجهي بما يسودّ به غدا وجهي... فكيف الحيلة فيّ؟ وبأيّ دواءٍ أداوي ما بي؟ وما أخوفني أنّي كما قال اللّه سبحانه: (ومن لم يجعلِ اللّه له نوراً فما له من نور) (النور: 4).

إذا كنتُ أشكو فلا يُسْمَعُ وإنّي لما بي فلا يَنْفَعُ

أطلُب صبْراً، ولا صبر لي فكيفَ احتيالي وما أصنعُ »[4]

وهذا للتعبير عن حاجته إلى "اللّه"، ليكون المتكلم هو المخاطَب نفسه، مما أكسب النّص إخبارا وتأثيرا، لما وصل إليه من درجة في التفاعل والاندماج

---

1 – الإشارات، ص 76–77.

2 – نفسه، ص 17.

3 – م.ن، ص17–19.

4 – م.ن، ص455.

معه أثناء الاتصال، والمرتبط أساسا بتجربته الصوفية والمعلومات التي يقدمها في الإخبار؛ كما أنَّ المتصوف يكتب ليقول ذاته.

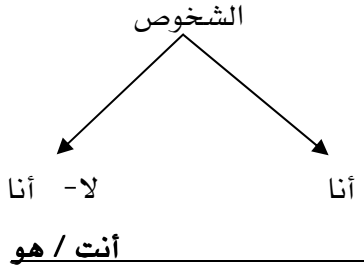

ولقد رأينا فيما سبق، من جانب تداولي في تحديد مجال الخطاب، أنّ هناك ضميراً يعود على المبتدأ (فحينما ينقل من موقع داخلي إلى موقع خارجي، يترك مكانه أثراً ضميرياً)، ليدل عليه وليفتح مجالا للتوسع والانفتاح لتوليد ملفوظات أخرى، لها علاقة به. وهذا ما نجده عند التوحيدي في الجملة الاعتراضية « ومع ضرب الأمثال وتصريف وتصريف المقال، بيني وبينك أحوال - اللسان لا يصنفها والعبارة لا تصرفها، والوصف لا يأتي عليها والإشارة لا تصل إليها، كل ذلك للطافة ورقة ونحافة ودقة- من فضلك الذي أظلتني غمامته، ومطرت علي سحابته...» [1] فـ(الهاء) التي هي ضمير متصل تدل على غائب، قد أنابت عن موضوع محدث عنه وبلغتنا إياه وكأنّها شاهدة عليه. وهذا الموضوع هو المحور في الجملة المعترض فيها لتبين أكثر وتشرح وتلفت إلى موضوع لم يذكر في الجملة الاعتراضية، الموجّهة أساسا إلى المخاطَب. ليكون بذلك، هذا الموضوع حاضرا في الخطاب وغائبا في الجملة، وهو موضوع « الأحوال « الموجودة بين المتكلم والمخاطَب. ففي لحظة المواجهة، وفي لحظة الخطاب، لم يعد ذكر لكلمة "الأحوال" بل أشير إليها واستحضرت من غير أن تكون

1 – الإشارات، ص 388.

الموضوع المحدث عنه. لنصطدم بها على نحو غير مباشر بذكر من ينوب عنها، ولتتغير بذلك وظيفتها بتغير المقام.

فبعد أن كانت "مبتدأ" (تداوليا) في الجملة المعترض فيها، أي مجال الخطاب أصبحت تتمة وهي هنا "بؤرة"، لأنّها هي التي تحمل المعلومة المراد إبلاغها لكي لا يحدث هناك لبس وغموض في الإبلاغ والفهم. وهذا ما يسمى نحويا بالمراقبة الإحالية فبها تفسر وجود الجملة الجديدة التي لا محل لها من الإعراب. فالضمير الغائب (الهاء) هنا يدل على موضوع وينوب منابه، ولا يأخذ دور الرابطة، لأنّه وقع في جملة تفيد التخاطب والاستحضار. وحينما نقول: لا يأخذ دور الرابطة، فهذا يعني في الجملة وليس في الخطاب لأنّها فيه تأخذ « دور الضمير الذي يربط بين جمل النص.» [1] لذا، نرى هنا بأنّ هذه الجملة لا تؤلف قضية كاملة، لأنّ موضوع القضية (الخطاب) المحدث عنه أسند إلى رابطة «الهاء». فوجب العودة إلى ما هو خارج عنها تركيبا ودلالة لفهمها.

إنّ تعيين المرجع أمر ضروري لاستكشاف الدلالة، فالضمير الغائب يحتاج إلى «محتوى مرجعي يحدد التحديدات المصاحبة للنّص، التي قد يستغني عنها "أنا" و"أنت"» [2]. فهو لا يعين شيئاً ولا شخصاً إذا لم يستعمل في السياق اللّغوي، الذي يلعب دوراً في جعل وظيفته إما رابطة أو موضوعا مناب. وكأنّ المتكلم يتعمد ذكر الموضوع أولا، ثم يبلغ عنه بـ(هاء) شاهدة عليه لتعيينه واختصاره، وهي (هاء) ظاهرة. كما يمكن أيضا، أن يكون الضمير الغائب مستترا. ليكون اللاشخص الثالث شخصاً أساسياً (مضمرا) (مفردا أو جمعا) يشكل «الدعامة الأساسية للإسناد Prédication .» [3]. ففي الجملة الاعتراضية «وقد قال عيسى

---

1 – صلاح الدين حسنين: الروابط في النص الشعري، ص 73.

2 – Emile Benveniste : Problème de linguistique générale, p 233.

3 – جان سيرفوني: الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 30.

بن مريم، عليه السلام - **وهو روح الله** – للحواريين: إنّكم لن تدركوا ملكوت السموات إلاّ بعد أن تتركوا نساءكم أيامى وأولادكم يتامى.» [1]. فالمبتدأ الذي يعتبر مسنداً إليه في البنية الأساسية للجملة، والمحدث عنه ليس ظاهرا، فلقد أشير إليه نحويا، لتحديد موقعه بالإضمار. أي أنّ الضمير (هو) يعود على "المحور" أو المحدث عنه في الجملة المعترض فيها. ليعبر عن الموضوع استنادا إلى المجال المعرفي الخاص به، فيكون بذلك مرتبطاً بمرجع باعتباره مسنداً إليه ضمنيا، راجعا إلى زمان ومكان معين مخصوص، متوهما أو واقعيا. فتلعب بذلك الضمائر دور الرابطة بين متواليات الجمل التي تكوّن النّص، والتي يتعين فيها عناصر أخرى يظهرها الاستعمال.

أمّا في رواية "مرايا متشظية" فإنّ الضمائر النحوية فيها تمثل أشخاصا، وهم أطراف التواصل من متكلم ومتلق. وحين نحاول وصف الشخوص في الرواية، سوف نحصل على ما يلي:

- أنا = الشخص المتكلم وهو الراوي.
- أنت / أنتم = الشخص المخاطَب والأشخاص المستمعون.

وهما يمثلان عاملي التواصل، وهما السارد والمسرود عليه.

ولعلّ الهدف من الاستعمال الواضح لضمير المخاطب الدال على الجمع هو ادماج المخاطب بطريقة أو بأخرى ليكون فاعلا في الخطاب. فمنذ الصفحات الأولى للرواية نجد الراوي يخاطب المسرود عليهم، ويقول: «اسمعوا يا "حضّار"، يا أصحاب الحلقة الأبرار، اسمعوا ما سأحكيه لكم من عجائب الأخبار، وبدائع الأسفار، وما رويته عن الأسلاف الأخيار، وما سمعته من الأشياخ الكبار، منذ غابر الأعصار...» [2] وهنا نلاحظ بأنّه سماهم بـ"الحضّار" وهذا

---

1 – الإشارات، ص 175.

2 – الرواية، ص 03.

يعني أنّهم متواجدون في المقام التخاطبي، ويمكن أن يكونوا متعددين، لا يعرفهم.

ثم يعرض لنا صورة عن الذين يحدثهم فيها نوع من الغموض والاضطراب في **ذيل الكلام**، إذ يسألهم: «يا بني من لا أدري من أنتم؟... فهلاّ أخبرتموني أنتم بشأنكم كما أخبركم أنا بما سمعت من راوي الأخبار، وناقل الآثار، وصلّوا على النبي المختار **وأنتم الظّلام الذي يسميكم الظّلام**....» [1]. وهذا يعني أنّه سيكون هناك حديث متبادل إلاّ أنّه يعرض عن ذلك قبل الإخبار بهويتهم باعتراض بين السؤال والجواب في قوله: « ... ولا داعي لتخبروني بذلك. كان أخبرني بذلك من قبلكم راوي الأخبار...»[2] فهو راوي الأخبار، وهو العالم بكل شيء. ويبقى التشويش واضحا حتى في الإجابة، في « أنتم قوم تفتخرون بسفك الدّماء. ترجون ثواباً على ذلك. تحبون شرب دماء الناس في الرّوابي السبع... وترجون الثواب والغفران على ذلك. كما أخبرني بذلك راوي الأخبار، في جبل قاف منذ غابر الأعصار. يا بني من لا أدري من أنتم؟...»[3]. أمّا عن الحضّار وتبادل الكلام بينهم وبين الراوي فسنجده في: « نحن، **قل لشيخنا مع حفظ اللّقب**، لا نلطخ أيدينا إلاّ بدماء الأطفال والعذارى. ذاك ما علّموه لنا. يقال هذا الكلام لغيرنا... ولماذا سمانا الظّلام الظّلام...» [4].

وكما قلنا سابقا، فالجملة الاعتراضية، هي متعلقة أساسا بالمخاطَب، لذا فإنّ السّمة الحاسمة المتعلقة به هي غلبة الشخص المخاطَب، أين يشار معه إلى الشخص المتكلم كمتلفظ للكلام. وهذا ما نلاحظه فيما سبق ذكره باستخدام الضمير الدال على المتكلم (الياء) واستخدام الضمير (نحن) الدال

---

1 – الرواية، ص 08.

2 – نفسه، ص.ن

3 – م.ن، ص ن.

4 – الرواية، ص23.

على الجمع. ونجد الراوي يخصص المخاطَب بعد ذلك بجملة مستقلة اعترض بينها وبين ماورد ذكره وهذا في:

«...وها أنت ذا...

وهل تدري حقا، من أنت؟..»[1].

ثم يقدم بعد ذلك إجابة تؤيد رأي بارت في أنّ الشخوص التي يقدمها السرد، هي: «كائنات ورقية» [2]، وأنّ هذه الرواية فعلا خيالية، في «... أنت وأصحابك كائنات من ورق... ربما أنتم فعلا كائنات من ورق حقير، أصفر بال يصوركم القلم عليه. يشكلكم الخيال فيه. تعبث بكم اللّغة في كلّ وادٍ...»[3]، وفي « أنت كائن ورقي ضئيل. لاقيمة لك. كائن صنعه الخيال الشارد. بنَته اللّغة المفتونة بنفسها. لا أنت كافر، ولا أنت مؤمن. ولا أنت إنسان، ولا أنت حيوان. ولا أنت شيء من الأشياء. إلاّ أن تكون ألفاظا من لغة...» [4] فيجب النّظر إليها في إطار الرواية وبنائها وفقط، وأنّها لا تحيل إلى الواقع، لتصبح مجرد أداة اصطنعها.

إلاّ أنّ ما يميز الرواية، أنّها سرد لأحداث مضت، ويدل عليه الجملة التي افتتحت به « كان في قديم الزمان، وسالف العصر والأوان...»[5] التي تعتبر بداية نص خرافي، تبدو فيه غلبة الشخص الثالث من خلال الضمير (هاء)، الذي يعتبر إعادة لمذكور سابق ليستطيع بذلك الاعتراض أن يشكل موضوعه بالإحالة، أي من خلال عملية الإحالة إلى السابق، ويفهم تحت تشكيل الموضوع إعادة ذكر

---

1 – الرواية، ص09–10.

2 – رولان بارت: التحليل البنيوي للقصص،ترجمة منذر عياشي، ط 2، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، 2002 ص72.

3 – الرواية، ص12.

4 – نفسه، ص15.

5 – م.ن، ص05.

معلومات وردت في النص القبلي، ويكون أساس تشكيل الموضوع « تطابق الإحالة »[1]، فنجد أنواعا للإحالة نذكر منها:

- **الإحالة الضميرية: (النّصية)** وهي إعادة نصية لاسم من خلال الضمير ويمكن أن ينظر أساسا إلى ضمائر الشخص الثالث.وهو الموضوع المحدث عنه سابقا. والمحيلات المعروفة هي: هو/ هي/ هم، وهي عناصر إشارية في النص. تقوم بإعادة تعبير مختصر ومحيل:- تتضمن إعادة ذكر اسم بإضماره، إذ إنّ الاسم لا يضمر إلاّ «بعد أن تقدم ذكره ومعرفة المخاطب على من يعود ومن يعني.»[2]. ونجد ذلك في مقامات الدعاء، وهذا في «انهضوا يا عوام للعمل...يقول لكم شيخكم الأغرّ الأبرّ **حفظه الله**...»[3]. وفي نفس الغرض، نجد «...نسيت أن أخبركم في هذه المناداة المسائية...أنّ الشّيخ الأغرّ الأبرّ، **حفظه الله ورعاه وأكرم مثواه**، أقرّ عليكم رحمة وعطفا عليكم...أن من خرج منكم من بيته... دفع ضريبة أطلق عليها الشّيخ الأغرّ الأبرّ **حفظه الله وأكرم مثواه** ضريبة الخروج إلى تنفس الهواء في الفضاء.»[4] وكما نجد عناصر إشارية أخرى في «**ذاك** قول ضعيف ومردود، يا عوام الرّبوة. اتبعوا ما يدبر لكم شيخكم الأغرّ الأبرّ، **حفظه الله**...»[5] فهنا نجد إشارة إلى المنادي المسائي الذي يتحدث باسم الشّيخ الأغرّ الأبرّ شيخ قبيلة بني خضران، وإشارة إلى الموضوع المذكور سابقا في (ذاك) وهو أنّ عالية بنت منصور تقيم وحدها في القصر، وإشارة ضميرية في ذيل الكلام إلى جملة سابقة، في مقام الدعاء. وهنا تدخل من طرف المنادي ليجيب على سؤال أهل الربوة الخضراء ليعود فيما بعد إلى نقل كلام الشّيخ.

---

1 – زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص، ص 76. وص 124وما بعدها.

2 – موفق الدين بن يعيش: شرح المفصل، ج3، عالم الكتب، بيروت، ص56.

3 – الرواية، ص22.

4 – نفسه، ص158.

5 – م.ن، ص25.

- **الإحالة الترادفية:** وهي صيغ بديلة عن مذكور سابق، تكون مناسبة بالنسبة للنص المحدد الذي أحيل له. نجدها خاصة في جمل النداء، كما في «يقول لكم شيخكم الأغرّ الأبرّ دعونا من النّساء. **يا همج يارعاع، ويا غوغاء، ويا عامة ويا سوقة..ولا أنتم تحزنون**..أمر النّساء نرجئه إلى حين من الدّهر.» [1]. فجملة النداء، ترادف مذكورا حدد من قبل في النص، وهم أهالي الرّبوة الخضراء. وفي « يا أهل الرّبوة الخضراء، **سادتها وغوغاءها** يابني خضران... لقد اغتيل أحد أشياخكم الأفاضل.»[2]. فهنا نجد إعادة صياغة المخاطَب وتخصيصه، لإفادته بمعلومة، و(الهاء) تحيل إلى الرّبوة الخضراء وتطابقها في الإحالة، كما هو واضح. كما نجد جملا أخرى يعاد صياغتها من خلال تخصيص موضوع الإحالة ففي «اسمعوا يا غوغاء يا سوقة يا دهماء. **يا من لا تعقلون إذا خوطبتم. ويا من لا تفهمون إذا نوديتم**... ألم نقل لكم ما قلنا لكم...» [3]. فالجملة التي تحتها خط بديلة للجملة السابقة عنها. جاءت في غرض التخصيص والوصف لتقريب الصورة أكثر. ونجدها أيضا في مخاطبة الشّيخ لعالية بنت منصور، في قوله: « يا بهيّة يا حييّة. يا سمية يا نقيّة. **يا صاحبة الحسن والجمال. يا ذات الغنج والدّلال. يا طاهرة يا ساحرة. يا صاحبة القصر العظيم. والشّأن المجيد. يا عليّة**... جئتك حافيا ماشيا. مستعطفا مسترحماً. فهل تقبلين قربي؟» فالصيّغ البديلة الواصفة التي ذكرها عن عالية، جاءت تمهيدا لطلبه الذي ظلَّ يتعلق به ويتطلع إليه طول الدّهر، وهو طلب القربِ منها.

وهذه الإحالات تحقق الرّبط بالتجاور، والعلاقة بين أزواج الجمل في النص، أي العلاقات بين الجمل السابقة والجمل اللاحقة لها. إذ تتضمن جمل النّص على عناصر موضوعية (موضوعات) تعيد المذكور في جمل متقدمة (في

---

1 – الرواية، ص25.

2 – نفسه، ص107.

3 – م.ن، ص 107.

النص السابق). لتمتلك تبعا لذلك قيمة معلوماتية ضئيلة بالنسبة للمتلقي كما نراه في النّص الاعتراضي الذي جاء في قوله: «والظّلام هو الذي يسميكم الظّلام. والنّور الذي يسمّيكم الظّلام. وكلّ الكائنات تسميكم الظّلام... وربما كنتم تدرون، وأنتم لا تدرون، أنّكم تدرون... ما النور ولا الظّلام؟...

وذلك الظّلام الذي غمركم في هذا الطّوفان من الدّماء. والدّماء التي بتُّم تتعشقون نَكْهتها. تستعذبون طعْمها... والظّلام الذي يسمّيكم الدّماء... والدّماء التي تسمّيكم الظّلام. والرّيح التي تسمّيكم الظّلام. وكلّ شيء يسمّيكم الظّلام...

...

والرّيح والدّماء والظّلام...

وأنتم. لعلّكم أنتم... كأنّكم أنتم... هذا الظّلام. والظّلام الذي يغرقكم في بحار هذا الدّم. في هذه الرّوابي القاحلة. في هذا الطّوفان الذي تتحدث عنه الأخبار الصحيحة أنّه داهمكم...» [1]. فهذا النّص له دلالة ضمنية ومختصرة لما يريد الكاتب التحدث عنه لاحقا، وهي اختصار وتكثيف مجازي، له علاقة بالتعبيرات السابق ذكرها، قبل الانتقال إلى نص آخر. وعلى النقيض من ذلك تقدم الأخبار تلك التعبيرات اللّغوية التي تربط ما هو جديد في النّص اللاحق بما ذكر في النّص السابق، والتي نجدها مترابطة بالجملة الاعتراضية التي تحتها سطر «القصر الذي يقول أحد الرّواة - **وخلافا لما تقدم** - بأنَّ الذين بنوه أخيارٌ وصالحون. في الجهة التي لا تحدّها أيّ جهة أخرى. من حدائق جبل قاف...» [2].

كما يمكن أن يكون «المحيل إليه» أي موضوع الإحالة شيئا حسياً أو مجرداً، أو شخصاً، كما في «... وتخاطب الشّمس في يأس، وبلغة لا تفهمها الشَّمس:

---

1 - الرواية، ص03-04.

2 - نفسه، ص19.

- يا شمس، يا غزالة، يا جميلة، يا رائعة، يا مصدر الضّياء والطّاقة في هذا الكون: بحقّ تعلّقي بك؛ ... توقّفي لا تغربي. إنّي أناديك يا شمسُ، يا رائعة. فهل تسمعينني الآن؟ وهل تفهمين هذه اللّغة التي أُخاطبكِ بها؟ إنّي أُناديك. أم أنت لا تسمعين ولا تفهمين أيَّة لغةٍ ممَّا يتكلمون؟...

يا شمسُ، يا حسناءُ، يا مضيئة على غيرنا: أنا أناديك فاسمعيني وافهميني. لا تغرُبي عنّي. ظلّي متوهجة على الرّوابي السّبع. ظلّي كما أنت في غابر الأزمان، فيما حدثنا به حكاة الأخبار..ظلّي متوهجة مشرقة. غروبك نهايتي. يا حسناء يا رائعة...

وأنت... لا تزال تتأمل هذا الأفق الغربيّ...» [1]. فهنا شخصية "أنت" التي أُسند إليها الكلام تخاطب الشمس، كما أنّها تحيل إلى معنى وحدث سابق، وهو أنّ هذه الشمس كما جاء عند حكاة الأخبار دائما مشرقة، وإلى حدث لاحق وهو أنّ هذه الشمس على وشك الغروب، ولهذا سيكون الظّلام. فكل جملة في النّص بوصفها شيئا قد قيل تشكل الأساس لعناصر المعلومات الجديدة في الجمل التالية. لذا يمكن أن نفرّق بين:

1- محيل إلى مذكور سابق.

2- محيل إلى مذكور لاحق.

فبعد تعيين الموضوع والحدث الذي يرد في نص سابق، فإنّه يشار إليه في نصوص أخرى بالضمير الذي ينوب منابه ويعود عليه، كما لاحظنا ذلك سابقا في الإشارات. لذا فإنّ للضمائر والجمل البديلة دوراً في تشكيل **النّص التخاطبي الاعتراضي**، بإنابتها أو إحالتها محل تعبير لغوي أو موضوع ذكر في نص سابق عنها. توجد بينهما مطابقة إحالية، وذكر لمعلومات جديدة، تساعد القارئ على الفهم وتشكيل الحدث، في زمان ومكان.

---

1 – الرواية، ص13.

2- الزمان:

لم يفرق العرب بين ما يقرره النظام بقوانينه وقواعده، وبين مايتطلبه السياق من وظائف لذا كانت نظرتهم إلى الزمن نظرة صرفية، فيه تكمن وظيفة الصيغة منعزلة ليقسموا الأفعال بحسبها إلى ماض ومضارع وأمر(*).

غير أنّه أثناء التطبيق نجد لها معاني أخرى يتطلبها السياق، لذا فما يهمنا هنا ليس الزمن الصرفي بل الزمن النحوي الذي يعني "المتغير الزمني"، الذي يعيد النّظر في نظام الزمن في ضوء مطالب السياق، هذه المطالب التي سمّاها تمام حسان بـ"الظواهر الموقعية" [1]. إذ يجب النظر في السياق لنكشف عنه، لأنّه لا يوصف إلاّ داخله، وهو جزء من معنى الفعل، فهو مخصص المحمول. لذلك فهو يكتسب درجة عالية من الأهمية في الدراسة، حين يمارس وظائفه داخل التراكيب المتعددة، ذلك أنّ «عمليات التحليل الإجرائية يجب أن تلفت إلى هذا الزمن لأنّه حيّ، يتميز بالدقة ويمكن أن يخضع لدرجة عالية من القياس والتبويب والضبط.» [2]. والسياق اللّغوي النحوي هو الذي يتمسك أكثر بهذا الزمن. فللزمن النحوي إذن، وظيفة يقدمها في السياق، يضم أفعالا وأدوات وأسماء، وكل القرائن السياقية المنتجة للتراكيب في أنواعه، يؤدّيها «الفعل وغيره من أقسام الكلم التي تنقل إلى معناه.» [3] إذ يمكن أن يؤدي هذه الوظيفة الفعل أو الصفة، أو ما نقل إلى الفعل من الأقسام كالمصادر والخوالف. لتكون هناك تفرقة بينه وبين زمن الاقتران(*) بـ(إذا وإذ ولما وأيان ومتى) الذي يكون بين حدثين. وبين زمان الأوقات المستفاد من الأسماء، التي تنقل إلى معنى الظروف

---

* – صيغة الأفعال في الزمن الصرفي قاطعة في دلالتها على معنى الزمن الذي تحمله.

1 – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 241.

2 – عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 472.

3 – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 241.

* – ومعناه معنى وظيفي كالزمن النحوي. ولكن الفرق بينهما هو إفادة الاقتران وعدمها.

وتستعمل استعمالها كالأسماء المبهمة الدالة على أوقات وما أضيف إليها كأسماء (كم الساعة؟)، وبعض أسماء الأزمنة، كأمس ومساء وصباح والبارحة وغيرها(**).

وما دام للزمن النحوي وظيفة في السياق، يؤديها الفعل والصفة وغيرهما، لأنّه مرتبط ارتباطا وثيقا بالحدث، فهو زمن وقوع الحدث والزمان أثناء الحديث حاضرا كان أو ماضيا أو مستقبلا، فإنّه يتجلى لنا في مبنى الجملة، تحدده قرائن حالية ومقالية، لها دور في تكوينه تتمثل خاصة في الأدوات والظروف، والتي تسمى بمبهمات الزمن. والبحث عنها يندرج ضمن «علاقة المتكلم المرجعية بالسياق الذي يجري فيه الكلام.» [1]. فللزمن ظرف تتجلى مرجعيته في السياق اللّغوي انطلاقا من خطاب المتكلم في لحظة التلفظ أي زمن الحديث كما سماه بنفنيست.

والزمن الذي يتحدث فيه المتكلم، هو الذي ينظم هذه المبهمات التي اقترحتها أركيوني في[2]:

1- المبهمات التزامنية: مقترنة في استعمالها بالحاضر- الآن- .

2- المبهمات القبلية: دالة على زمن منقضي- البارحة- .

3- المبهمات البعدية: دالة على زمن الحديث غير المنقضي، أي في المستقبل- غدا- .

4- المبهمات الحيادية: مختلفة عن سواها من المبهمات المحددة- هذه الصائفة اليوم- .

وتكون المبهمات الحيادية Neutres خالية من الأزمنة المبهمة التي ذكرت: من قبلية مضت وانقضت، ومن تزامنية دالة على الحاضر، وبعدية دالة على

** - زمان الأوقات، معانيه معاني معجميّة.

1 - عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003، ص 80.

2 - C.K.Orecchioni : L'Enonciation de la Subjectivité dans le langage, p 47.

المستقبل ولم ينقض زمنها بعد. فتقرأ دلالتها على أساس زمان الحاضر، لأنّه مرتبط أكثر بزمن الحديث وتأويلات الفهم والسياق الذي يشكل مرجعيته. وهذا ما يؤيد ويؤكد صحة ما جاء به بنفينيست، في قوله أنّ زمن الحاضر هو منبع الأزمنة وأنّ الزمن الماضي وزمن المستقبل متعلقان به. لتكون بهذا وظيفتها في محور العدمية، كون أنّنا لا نعرف بالضبط زمن وقوع الحدث ولا عن فترة جريانه، فهو غير محدد، إذ يمكن لمستخدمها أن يوظف الأزمنة الثلاث؛ وهي عادة تأتي لإعطاء تحديدات إضافية للواقعة، وللدلالة على موقف المتكلم.

أمّا الأدوات، فإذا بحثنا عنها في السياقات التي ترد فيها، فإنّنا سنجد أنفسنا أمام أنواع مباني الجملة. من خبرية تفيد النفي والإثبات والتوكيد، ومن إنشائية في شرط وإفصاح وطلب وغيرها.

ولقد قسّم العرب الأفعال بحسب الزمن الصرفي إلى فعل ماض ومضارع وأمر ببيان صيغة الفعل داخل التركيب النحوي للجملة. فنسب الماضي مثلا إلى صيغة «فعل» وقبيلها وهذه الصيغة يجوز تطبيقها على الجملة الخبرية المثبتة. ولكن في الجملة المنفية سوف نجد بأنّ المضارع المنفي يدل على الزمن الماضي. وفي الجملة الانشائية تكون صيغة الماضي «فعل» دالة على الاستقبال في أغراض التحضيض والشرط والدعاء، كما نلاحظ ذلك في بعض الجمل الاعتراضية التي تفيد الدعاء والشرط، كما في: « ... وقيل والله أعلم: بل الذي كان يناديكم إنّما هو مناديه المسائيّ... يخبركم مناديه المسائيّ بما جرى في الكوكب الأرضيّ. وبما سيقع في الكون غدا. وبما فَرَض عليكم شيخكم الأغرّ الأبرّ من الضرائب الجديدة. وبما أدخل منكم السّجون. وبما سيعاقبكم به غداً، **إن شاء الله**... إن سوّلت لكم أنفسكم أن ترفضوا تأدية الإتاوات، والضّرائب، والمُكوس، والهبات، والصّدقات، والزَّكوات، والعَطِيّات الأساسيّة، والإضافيّة، والتّضامنية؛ كما سيأتي الكلام عن ذلك في مكانه،

إن شاء الله تعالى...» [1]، ونفس الدعاء يتكرر في التعقيب على ما سيحدث بالقضاء والقدر «... نقتحم على عالية بنت منصور؟ أم نرجئ الأمر إلى حين يُقيّضُ الله وقوعها تحت العصمة **إن شاء الله؟**...»[2]، «... يا بني من لا أدري من أنتم؟ وما كان لي لأدري وأنا لا أدري شيئاً منذ كنت. وسأموت **إن شاء الله تعالى** وأنا لا أدري شيئاً. كما أخبرتني بذلك الحكماء قبل زمن الاغتيال...» [3].

لذا وجب النظر في نظام الزمن في ضوء مطالب السياق والمقام « فالزمن المضارع يصلح أن يتحرك في دوائر زمنية أخرى.»[4]. وهذا يتوقف على السياق الذي يرد فيه، والأدوات التي تدخل في التركيب والبناء القواعدي للخطاب أو الحديث يقول التوحيدي:

مكانك من قلبي هو القلبُ كلُّه فليس لشيءٍ فيه غيرك موضع

وذِكْرُك روحي بين جلدي وأعظُمِي فكيف تراني، إن نَسيتُك، أصنع[5]

وكما يرى بعض النحاة أيضا، فالزمن الذي يدل على التزامن وهو (الأمر) صيغته خالية منه لأنّه موجه إلى المخاطَب في لحظة المخاطبة، على محور واحد. إلاّ أنّ هناك «فاصلا زمنيا بين زمن التلفظ (الأمر)، وبين حدوث الفعل على وجه الحقيقة.» [6]. وهذا ما يفصل فيه السياق، الذي يحتضن هذا الزمن اللّغوي في صيغه المختلفة. ليكون الزمن بذلك مختلفا في مرجعياته التي يدل عليها أثناء الحديث. فهناك الصرفي المتأثر بالسياق اللّغوي في قواعده والزمن النحوي المرتبط بالسياق المقامي الذي يجري فيه الكلام في علاقته بمرجعيات المتكلم.

---

1 – الرواية، ص20–21.

2 – نفسه، ص29.

3 – م.ن، ص79.

4 – عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 483.

5 – الإشارات، ص 262.

6 – عبد القادر عبد الجليل: علم اللسانيات الحديثة، ص 486.

وفي الجملة الاعتراضية، في موقعها وأغراضها التي تؤثر فيها والتي تدل عليها في الخطاب واجهتنا مشكلة دراسة هذا الزمن اللّغوي، وهذا في محاولة الوقوف على العلاقة بين الحدث في علاقته بالجملة المعترض فيها، وزمن الحدوث والمحدث. لنرى مثلا، بأنّ الزمن يتقدم على الحدث في «**حينئذ**» ومتقدم عن محدثه، إذا نظرنا إلى الجملة المعترض فيها، والتي جاءت في غرض التخصيص. ليكون الزمن، زمنا ذا طابع آني كون أنّ الفعل الذي اعترضت فيه فعل أمر كقول التوحيدي «... ولا يبسط لك البساط حتى تصحب كونك بفراق كونك...حتى تبقى (أنت) منسلخا عنك ...فإذا بلغت هذا الحد لم يبق بيني وبينك ضد ولا ند، فرِد- **حينئذ** – بحره الطامي ظامئا ورُد روضه الناضر ناضرا...»[1]. فالتخصيص هنا في الزمن، وتحديده أمر مطلوب لأنّ الحدث إمّا أن يكون قريبا وإمّا أن يكون بعيدا. وتقييده جاء لحاجة دلالية أرادها المتكلم للمخاطَب وهي تحديد الزمن عند بلوغ درجة من درجات التصوف، إذا ما وصل إلى حد لم يبق فيه وقت لوقوع حدث آخر، في لحظة الحديث والتكلم. أين تدل صيغته على الحاضر والتزامن بين الحديث والحدث « فكلما استعمل المتكلم الصيغة النحوية الدالة على الحاضر، جعل الحديث مزامناً لحال الخطاب .»[2]، أي زمن الفعل اللّغوي. وهذا عكس ما نراه عند مرتاض الذي استخدمه للدلالة على الزمن الماضي في الحديث عن رحلة شيخ بني بيضان إلى قصر عالية بنت منصور، وحدَث وصوله «أنت هنا أمامها. سحرتْك وأسرتْك. جعلتك تغامر بحياتك الغالية من أجلها. تقطع الشّعاب الوعرة. تسلك الطّرقات الملتوية... وجئت مشياً على الأقدام... وتمزّق لباسك... وحين عرض لك أسد ولم تنْجُ منه إلاّ بأعجوبة. كان الأسد جائعاً يبحث عن فريسة يفترسها. طاردك في الغابة. لم تُفلت منه إلاّ بتسلقك شجرة عظيمة. بات الأسد تحتك يرقبك. مكثت على ذلك

---

1 – الإشارات، ص112.

2 – E.Benveniste : Problème de linguistique générale, p 73.

زمناً حتى يئس. قصد وجهاً آخرَ من الغابة بحثاً عمَّا يأكل... تسللت **حينئذ** بين الأوعار والأشجار. إلى أن شاهدت من جديد قصرها. إلى أن وصلت إليها الآن...»[1].

والعلاقة بين الفعل والزمن علاقة مركبة، فالماضي قد يدل على الحال والاستقبال، أي أنّ له دلالة على الحاضر ودلالة على المستقبل، كما المضارع. وهذا ما نجده في الجمل الاعتراضية التي غرضها الدعاء « جفَّ – **أنار الله صدرك**- القلم وفني القرطاس، وحصر اللسان، وما في النفس من طيب محادثتك يتدفق كالعين الفوَّارة والسحائب الموّارة.» [2]. فالفعل "أنار" يدل على وقت التحدث وهو أثناء توجيه الكلام إلى المخاطَب يدل على الحاضر. كما نلتمس وقوعه في المستقبل الذي يبدأ بعد الانتهاء من التلفظ بالدعاء. فمن المعروف لدينا أنّ الدعاء والطلب والرجاء والتمني، باعتبارها قد تحدث وقد تفيد التخصيص والاستقبال في لحظة الطلب، فإنّها ستدل على الحاضر. ولكن إذا اعتبرنا وقت الحدوث أو وقت الاستجابة لها، فإنّ ذلك إنّما يقع في المستقبل لأنّ النتائج المرجوة تقع فيما بعد « فاستمع الآن - **يرحمك الله**- فقد حملتُ على نفسي لك اعترافا بفضلك، وقضاءً لحقك...» [3]. ففي هذا المثال مثلا، نجد أنّ الفعل يدل على المستقبل – وهو فعل مضارع – وفعل الرحمة هي النتيجة المنتظرة منه. وفي المثال الأوّل، فالدعاء نتيجته المنتظرة هي الإنارة (إنارة الصدر).

كما يدل المضارع على زمن الماضي ويتحرك في دائرته، إذا دخلت عليه أداة نفي كقوله «...اللسان لا يصنفها، والعبارة لا تصرفها، والوصف لا يأتي عليها والإشارة لا تصل إليها...» [4]. كما أنّه قد يستمر أثناء الحديث، ليكون

---

1 – الرواية، ص56–57.

2 – الإشارات، ص128.

3 – نفسه، ص 18.

4 – الإشارات، ص 388.

بين الماضي والحاضر وحتى المستقبل. فقد ينصرف للدلالة على المستقبل إذا اقترن بظرف، وهذا مع الفعل "كان" الذي يدل على الكينونة، يقول التوحيدي «... فإذا كان ذلك - **وعن قريب يكون ذلك، وتشاهد ما هنالك**- فيا لك من روح لا كرب بعده.» [1]. والذي يدل أيضا على المراقبة، يدعمه في ذلك إلحاقه بالفعل "تشاهد"، وهو فعل مرتبط بزمن المستقبل، لأنّه إذا كان هناك شيء في المستقبل سوف تشاهده فيه.

كما قد يدل على الحاضر بسبب دلالته على الماضي « وهكذا عليك عنه لأن الآثار فيه بينه، والأخبار عنك متظاهرة – **أعني بالآثار ما أنت به خَلْق، وأعني بالأخبار ما أنت به رب**- .»[2]. فالفعل "أعني" يدل على الحاضر نتيجة وقوعه في الماضي، فلقد عنى ما يقول ويعنيه أثناء لحظة التكلم فهو عارف ما يقول للمخاطَب وما يريد أن يشرحه بوضوح أكثر في هذه الجملة الاعتراضية. فهذه الأزمنة المستخدمة هي أزمنة تابعة للحظة الكلام، أي أنّ الأحوال حدثت وهي حادثة.

يتحدث سعيد يقطين عن "زمن النص" الذي يقترن لديه بزمن قراءة النّص أي بإنتاج النّص في محيط اجتماعي لساني محدد، وهو يحتوي على زمن الكتابة (الكاتب) وزمن القراءة (القارئ) [3]. ليقودنا بذلك إلى زمنين: زمن داخلي وزمن خارجي، يمكن تسميتها بالزمن المنكسر (داخلي) والزمن الخطي (خارجي). وبالتعالق الثنائي بين الكاتب والقارئ، سوف نواجه دائرة زمنية يمكن تصوّرها كالتالي [4]:

---

1 – الإشارات، ص08.

2 – نفسه، ص63.

3 – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ط2، المركز الثقافي العربي، لبنان، 2001، ص42.

4 – سلمان كاصد: الموضوع والسرد، مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص265.

زمن خطي ——— زمن متكسر ———زمن خطي

خارجي (كاتب) داخلي (قاص) خارجي (قارئ)

- الزمن الخطي: كما هو حاصل في الواقع، مرتبط بالقارئ.
- الزمن المتكسر: مرتبط بالقص، يحدث بتداخل الأفعال.

وإذا كانت الرواية قد أخذت مرحلة بعينها من تاريخ الجزائر وهي فترة التسعينات، كزمن واقعي فإنّ ذلك لم يكن إلا لبناء الحدث، فالأساس هي الشخصية والذات، التي عبّر عنها في زمن منكسر، مما أكسب الرواية بعدا جماليا ودلاليا. لتتداخل الأبعاد الثلاثة (الماضي- الحاضر- المستقبل) أثناء السرد، وأثناء تبادل الأدوار في الحكي عمّا يحدث وعمّا هو آت.

ولقد تلاعب عبد الملك مرتاض في الرواية بالزمن والحدث، من حيث التقديم والتأخير والتقطيع فيهما، وذلك سعيا منه لإيجاد نوع من التأثير الفني المباشر على القراء والمستمعين، وخلق جو من التشويق، مبني على قهر فهم القارئ في الوصول إلى مآل الأحداث المتصارعة أمامه[1]. لنجد أنفسنا أمام أحداث تمر بسرعة وتتوالد واحدة تلو الأخرى ومتشابكة، ونحس بأنّها تمر في آن واحد. فقط نعلم أنّها حدثت في زمن بعيد وخيالي. وكأنّ الكاتب يهرب من ذكر الزمن والتذكير به واكتفى بسرد ما جرى في عصر الظلمات الذي كان سائدا. فالأساس في هذه الرواية هو التواصل الذي رآه مستحيلا، في عالم تنتشر فيه الأنانية على العقول والقلوب، والذي يكون مع الآخر لأنّه هو الأبقى.

إنّ زمن التخيل غير مطابق للواقع، يجعل من صيغتي الحاضر والماضي في حالة تداخل وتقاطع. إذ أنّ زمن السرد ليس زمن الكتابة، أي أنّ الكاتب الذي يكتب الرواية ليس هو الراوي الذي يحكي القصة، يقول جينيت G.Genette « إنّ وضعية السرد لحكاية خيالية لا يمكن إرجاعها أبدا إلى وضعية الكتابة.»[2]. فزمن السرد

1 – سلمان كاصد: الموضوع والسرد، مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، ص262.

2 – Gerard Genette : Figure III , Ed. Seuil. Coll. Poetique, Paris, p 227.

Le temps narratif هو حاضر فعل قول الراوي. وهو الذي يخصصه النّص لكل حدث خيالي، وهو يتعارض مع زمن الأحداث الذي يتجه نحو الماضي، والذي يخلق وهمية الواقع. وبدء الراوي بالحكي، لا يعني عودته إلى الوراء، فالرواية مفتتحة بخطاب موجّه إلى مستمعين أو مستقبلين Narrataires « اسمعوا، يا أهل الحلقة الأبرار...كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان...»[1]، بل يعتبر "زمن المرجع" الذي يمكن من حساب الأزمنة الأخرى التي وقعت فيها الأحداث في أثناء الحكي. نجده في الاعتراض الذي يقع بعد سرد حدث يتحدث عن فترة العيش التي عاشها الناس في الأرض العجيبة آمنين، قبل أن يداهمهم العفريت الجان جرجريس في «ظل الناس على ذلك زمنا طويلا...**ظلوا على ذلك آلاف القرون**...إلى أن جاءهم عفريت من الجن...» [2]. ونجده أيضا في مدة بناء القصر «...كان ذلك القصر مما تفنن في بنائه الصالحون والملائكة...منذ بداية الزمن...**وتذهب بعض الروايات الضعيفة أنّ بناءه تم في قرن واحد مما يعدون**. إلى أن أصبح غاية في الجمال والعجب...»[3] ويحدده أيضا في حديث شيخ بني بيضان لعالية، يقول «ظللت طول الدهر، ومنذ عهد آدم إلى يومنا هذا، أتطلع إليك...» [4] «...وشباب هذا الزمان شباب قبل الأوان» [5].

وهذا ما يدعم قول جينيت « إنّ تحديد زمن مقام السرد هو ببداهة موقعه النسبي من التاريخ.» [6]. وعن سبب شرب أصحاب الربوة الخضراء للدماء، يقول «...ولا تفعلون شيئاً غير النوم الذي تنتظرون أن تروا فيه الرؤى الصالحة التي تتيح لكم أن تستمطروا السماء ذهباً وفضة. بعد أن شحت عليكم بالغيث. **منذ دهور**

---

1 – الرواية، ص05.

2 – نفسه، ص06.

3 – م.ن،ص 07.

4 – م.ن، ص 57.

5 – م.ن، ص 59.

6 – G. Genette: Figure III, p 228.

طويلة. حتى أصبحتم تشربون من الدماء التي تسفكونها كل يوم...» [1]. فالزمن غير محدد ونسبي فهم يتربصون ويترصدون للاغتيال «... **منذ الدهور المتطاولة**.» [2].

نرى مما سبق، أنّ قضية الزمن في الخطاب أو الجملة، ليس مجرد تقسيم إلى زمن صرفي فقط في صيغ مختلفة، إنّما القضية تكمن في الدلالات التي يحملها الفعل (المحمول ومخصصه. وزمن فعل الرواية أو زمن الحكاية) على زمن بعينه في السياق اللّغوي- التخاطبي. فهو ليس قاصر فقط على معنى الصيغة بل يخرج إلى العلاقات السياقية التي تحددها القرائن والحالات. وهذا ما يدعم قول سيبويه «الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن ولم ينقطع.» [3]. لنجد أنفسنا أمام زمن سرد آني وزمن سرد لاحق وزمن سرد سابق مرتبطة بالتحوّلات الدلالية والمقاصد المراد إبلاغها. فالفعل حدث والحدث في زمن والزمن متحرك ومتحوّل ومختلف و"الفعل ما كان مختلفا". والزمان هو المسؤول عن حركة الثابت الذي هو "المكان"، وفيه يحصل التعبير الخطابي والحدث.

---

1 – الرواية، ص24.

2 – نفسه، ص59.

3 – سيبويه: الكتاب، ج1، ص 12.

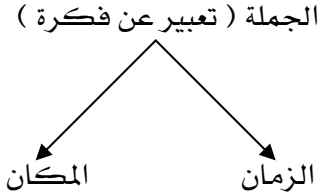

ولا نجد وضوحا للزمن في اللّغة، إلاّ في الواقعة التي تحمل عناصر توجيهية تدل عليه لتكسبها وجودا في مكان مأخوذ من الحدث. وهذا بتحديد المواقع إمّا بالتسمية أو بالوصف والإشارة.

3- الأقيسة المكانية:

إنّ التعبير عن الزمن يتم من خلال أقيسة مكانية، وتتأسس المقولتان – مكان وزمان – أساسا من اللحظة أو الوضع أو الجهة التي يتكلم فيها الشخص أثناء تلفظه بتعبيره الخطابي «إذ إنّ دلالته المرجعية لا تتحدد إلاّ من خلال تلك النقطة في الفضاء التي يتحقق فيه الكلام.» [1]، أي النقطة أو الموضع، الذي يقف فيه المتكلم لحظة التلفظ بالجملة أو الخطاب.

فلكل ملفوظات لحظات وأماكن تلفظ خاصة، تقوم على خاصية أساسية من التشكل الخطابي، في مبهمات تتحدد من «وضعيات المتكلم: وضعيته الجسدية position phisique، إضافة إلى إشاراته Les Gestes» [2]. ليتحدد مكان الأشياء بالنسبة إلى المتكلم في وضعيته الخاصة وإشاراته والتي تتمثل لنا غالبا في البنى التركيبية في أسماء الإشارة المصاحبة لإشارات المتحدث كهذا وهؤلاء وهنا، التي تحدد القرب والبعد انطلاقا من وضعية المتكلم في لحظة الحديث، من تعديل وتوجيه للجسم في حركات تحمل قيماً إشارية تساعد على الفهم، والتي تتحدد وفقها وضعية الأشياء المشار إليها أو المتحدث عنها في سياق معين.

---

1 – عمر بلخير: تحليل الخطاب المسرحي، ص 88.

2 – D.Maingueneau : Nouvelles Tendances en Analyses du discours, 1er ed, Hachette, Paris, 1987, p 21.

تذهب أركيوني إلى أنّه يمكن النظر إلى الإطار المكاني في عملية التخاطب، وهذا بالنّظر إلى «كيف يتم التخاطب وجها لوجه، جنبا لجنب، والمسافة الفاصلة بينهما.» [1].فتحديد مكان الخطاب أثناء عملية التلفظ مرتبط بمظاهر فيزيائية، فهو واقع وجها لوجه وجنبا لجنب، فلا وجود لثنائية التخاطب، متكلما ومتلقيا، إلاّ حين تتموقع في وضعية تتضح لنا من خلال المبهمات الإشارية والظرفية المكانية، إلى جانب عنصر أساسي وهو "المسافة" الفاصلة بينهما، أي بين المتكلم والخطاب وبين المتخاطبين.

فالمسافة تؤدي دوراً هاماً في تحديد المبهمات الظرفية المكانية، وهذا بأخذ الاعتبار أوّل الأمر الوضعية الخاصة بالمتكلم، وما يتم مراعاته أثناء الحديث من وقوف وجلوس مع غيره، وما لا يتم مراعاته حين الحديث مع بعض الأشخاص من المسافة[2]، ثم وضعيته التي تتأتى من خلال مسافة يقيمها بينه وبين خطابه، فالحديث حسب مانغونو D.Maingueneau يعني أيضا « التموقع بالنسبة لأقوالنا الخاصة.» [3].في زمان ومكان محدد، يظهر لنا أثناء التلفظ، يساعد على تحديد معاني المبهمات إشارية أو ظرفية.

والإشارات الإلهية كرسائل هي إنتاج من شخص لآخر، فهي موجهة إلى مخاطب أو عدة مخاطبين، كما نجدها أيضا في الحديث الذاتي (مناجاة النفس). يظهر فيها المخاطب في علاقة واضحة مع منشئها، في المسافة التي يراعيها أحيانا ويتجاوزها أحيانا أخرى. والرجاء والدعاء والطلب هي العنصر المشترك بين الرسائل في الإشارات، والذي تتحقق فيه. والاعتراض الذي جاء في هذه الاستعمالات، هو جزء مما تقتضيه. وفيها نجد إحالة إلى المنادى، إذ نرى

---

1 – C.K. Orrechioni: Les instances verbales, T1, Armand Collin, Paris, 1990, p 68.

2 – محمود سليمان ياقوت: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر و التوزيع الاسكندرية، 2002، ص336.

3 – D. Maingueneau : Genèses du Discours, Pierre Margada éditeur, Bruxelle, 1984, p 108.

التوحيدي ينادي مخاطبه في معظم الأحيان "يا سيدي" وبأخرى "أيّها السيد" أو "أيها الشيخ". والتي تتفاوت بتفاوت المقامات فنجده يناديه بـ: يا هذا، يا أخي، وفي مقام المودة بـ "حبيبي"، وفي مقام العطف: يا مسكين ، وفي موقف الملامة والذم « وهل يجوز لك - **أيّها العاكف على الجهالة**- أن تحتجَّ بما لا حجّة لك فيه ولا مقالة؟...».[1]، وهذا للتأثير عليه لحمله على ترك الدنيا والإعراض عنها. فهي في كليتها موجهة للإنسان الذي يريد منه أن يسلك طريق التصوف الذي هو طريق الهداية أين ينال فيه رضا اللّه. وهي تدل على المشار إليه بمسافة قريبة في الوضع التخاطبي. كما نجد المشار إليه بمسافة البعيد في «فإذا كان ذلك - **وعن قريب يكون ذلك وتشاهد ماهناك** - فيا لك من رَوْحٍ لا كرب بعده، ويا لك من صَفْوٍ لا كَدر معه...» [2]. وفهمها وإدراك مرجعها مرتبط بسياق يحضر فيه أطراف الخطاب.

ففي عملية التواصل، هناك عدة عمليات ووسائل غير لسانية تتصل بالجسم، يمكن دراستها بالنّظر إلى المسافة يمكن اعتبارها ظواهر تؤدي دورا في الدلالة، بتحديد معاني المفردات والجمل المتلفظ بها. وهذا باعتبار المقام والسياق، لأنّ حركات الجسم وإشاراته وايماءاته، تختلف باختلاف الوضع الاجتماعي للمتكلم، لتتميز بمميزات خاصة، في شتى الاختيارات. يقول الجاحظ: « فأمّا الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب إذا تباعد الشخصان... وقد يتهتدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك... وعيدا وتحذيرا... والإشارة واللفظ شريكان...» [3]، فهي تصاحب الكلام الذي يدل على معنى يقصده المتكلم، لتوضحه وتؤكده وتتمه، لكي يتمكن المخاطب من إدراكه.

---

1 – الإشارات، ص33.

2 – نفسه، ص08.

3 – أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ص89.

وللإشارة مقدرة على أن تغطي مسافة أو مساحة بين المتكلم والمخاطب خصوصا في الخطاب الشفوي، لا يقدر عليها الصوت، لذلك « مبلغها أبعد من مبلغ الصوت والدليل على ذلك أنّ الإنسان يلجأ إلى استعمال الإشارة حين يعجز عن التوصيل بالصوت لبعد المسافة.» [1]. كما يحدث خاصة، في حالة النداء « يا هذا: أتدّعي أنّك مُحِبٌّ لمولاك، وأنت نتلطخ ببلواك؟... بادر – **يا هذا** - وكذّب نفسَك بنفسك من قبل أن يُكذِّبك من لا قِبَل لم بتكذيبه...»[2]. فاسم الإشارة "هذا" مبهم ومرجعيته مرتبط بالسياق الذي استعمل فيه نداءً للفت الانتباه، وهو الشخص المخاطَب «إنّ أسماء الإشارة كلّها مبهمات، المتكلمون هم الذين يحددون مرجعيتها»[3]. إضافة إلى التنغيم وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح، مما يعتبر من القرائن الحالية.

إنّ المفهوم التداولي، يفضل التعبير عن اللحظات التلفظية Les Instances d'énonciation بكلمة "أمكنة"، لتدل على الوجود المسبق للذوات المتكلمة، التي تأتي لتسجل مفهوم "المكان" بحيث أنّ كل واحد يصل إلى هويته انطلاقا وداخل نظام من الأمكنة[4]، بتحديد الوضعية التي يمكن أن يحتاجها كل فرد ليكون هو الفاعل أثناء التلفظ، لنميز بين: فاعل (متلفظ) ⟵ منفعل (متلق)

واللحظات التلفظية أو ما يسمى أيضا بمقام التعبير، يأتي بعد بدء الراوي بالحكي لتتحدد مرجعيتها، والتي تجعل القارئ (الأنت والأنتم في الرواية) يتوهمها. والرواية بما يكونها، يضع لها الكاتب جغرافية، في حالات وأماكن عالية، تأتي عامة في ذيل الكلام، باعتباره اعتراضا، للتوضيح والشرح الذي يسوده بعض الغموض أحيانا وكأنّها اللاّمكان في اللاّزمان «... وتصوّري يا ذات

---

1 – محمود سليمان الياقوت: معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص 341.

2 – الإشارات، ص178.

3 – D. Maingueneau : Eléments de linguistique pour le texte littéraire, Bordas, Paris, 1987, p 15.

4 – Ibid , p15.

الشّأن العالي، والقدر السّامي... القبائل تتناحر من حول الرّوابي. الشّيوخ السّبعة هم الآمرون. هم المُتآمرون. أو بصمت منهم. من أجلك أنت يا بهيّة يا نقية. **يا آسرة القلوب. يا أنس النفوس. ويا وردة الزمان عبر اللاّزمان. في هذا اللاّمكان...**» [1].

كما يجعل من هذا اللاّمكان في صفحة أخرى من الرواية، موجودا ولا موجودا، ويشبهه بحدائق بابل المعلقة، يقول: «طاروا بالقصر إلى هذا السهل الشاسع. تراه تحتك ممتدا على مدى البصر... ممتدا نحو الشمال والجنوب والشرق والغرب. ونحو اللاّمكان في المكان الكائن خارج الكينونة. يمتد المكان في اللاّمكان على مدى البصر الذي لا يُبصر... **كان معلقا بين السماء والأرض... كانت تقطنه عالية بنت منصور وحدها دون صباياها وخدمها**.» [2].

لتتضح العلاقة بين سكان الربى السبع والشيخ الأغرّ الأبرّ وبينه وبين عالية بنت منصور. مما يعطي لها بعدا جماليا بخرافيتها، تجعلنا نتساءل كما تساءل نجيب محفوظ في حضرة المحترم «الهدف من الحياة هو الطريق المقدس، تحقيق المجد أو تحقيق الألوهية على الأرض... يتوقف ليسأل نفسه: أيّهما الغاية وأيّهما الوسيلة: المرأة أم الدرجة؟»، لتتحقق مقولة الإنسان والمكان المفقود.

كما نجده يؤطّر المكان في حدود الحكي، ليتزامن معه، باستعماله ظرفي الزمان والمكان "هنا والآن" Ici et Maintenant، في ذيل الحكي كاعتراض في قوله «...أنتم قوم تفتخرون بسفك الدماء... تسبحون في مستنقعها الأحمر الذي أراكم تتخبطون فيه. **الآن وهنا..وأنتم تتخبطون**.»[3]، وفي: «...الآن تجتمعون في كهف الظلمات...لأوّل مرة تتواجهون...» [4]. وهذا في محاولة لتشويش الأنت والأنتم، اللّذين يشكلان القارئ والمستمعين الذين قدمهم كما رأينا،

---

1 – الرواية، ص57.

2 – نفسه، ص19.

3 – م.ن، ص08.

4 – نفسه، ص198.

كشخصيات ورقية؛ فهم لا يدركون تماما وضعية الراوي بالنسبة لهم فلا الزمن واضح ولا المكان.

نلاحظ أنّ الأماكن تتخذ أبعادا أسطورية، فهي تثير الغرابة والدهشة نراها واضحة في الأوصاف الأولى التي أوردها في «...أرض شاسعة واسعة...كان فيها كل الحيوانات العجيبة. الدناصير. الفيلة...التنين. التماسيح العملاقة. كان فيها الغيلان الظلال كالظلمات...الحدائق كالغابات...كان الإنسان والحيوان صديقين متآلفين...كانت الأشياء نفسها تعي وتفهم...الطوب كان يعي ويتكلم...» [1]. وهذا كلّه في صفحة كاملة وهذا لإثارة الدهشة والغرابة في نفس المتلقي (القارئ والحضّار). وليجعل القارئ يتوهمها في أيّ مكان يريد تصويرها فيها. أوصاف تتفاوت بين إعطاء الرغبة في العيش فيها وعدمها، وهي رمز للواقع المعاش والوضعية النفسية اليائسة، فهي كالجحيم في الروابي السبع، في مقابل ما نجده من جنات النعيم في أوصاف القصر والحياة فيه. تجعل القارئ يتخيل هذا القصر الذي بناه العفريت جرجريس والذي يقع في مكان عال من جبل قاف ليبقى منفتحا على تصورات عدة ببنائه الخرافي، ليعكس حياة داخلية صامتة لا يصل إليها الإنسان إلاّ في آماله وأحلامه. والأوصاف التي وضعها الكاتب للأمكنة المخيَّلة هي علامات صورية لمجتمع واقعي وآخر يريد خلقه، وإذا كانت غير مبهمة في معظمها فالسبب هو أنّها تعتمد أكثر على الخيال، ومصدره هو الحكي والمتكلم يجب أن يكون واضحا في تحديد المكان لكي يضمن التواصل مع المخاطَب، الذي يستخلصها في علاقات الاختلاف والتقابل بين الثنائيات (مكان/ لامكان، زمان/ لازمان، موت/ حياة، إنساني/ لاإنساني).

---

1 – الرواية، ص05.

المبحث الثاني

أثر الموروث الحكائي في مدلولات الاعتراض

لم يختلف الدارسون حول نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، التي جاءت للوقوف عند سرّ الإعجاز القرآني، في طريقة نظمه أو في كيفية تأليفه وتشكيله في لغته، والتي سميت فيما بعد بالشعرية. إذ بها يكون الكلام كلا منسجما، يترتب على حسب ترتب المعاني في النفس، حيث تتناسق الدلالات وتتلاقى في أدوات وعناصر فنية وجمالية، تؤدي إلى التماسك والتناسق.

وتماسك الكلام وانسجامه، يعبر عن طبيعته ويعين لنا تشكيلاته الخاصة، في بنياته وتركيباته المختلفة. ولقد تم تحليل الكلام عامة، شفاهة أو كتابة، بتحليل معطياته لما فيه من تعابير مجازية وأساليب تتخذ كوسيلة للإقناع والتأثير. لتخرج لنا الأعمال اللّغوية، بوصفها وقائع تفيد في سياقها الإخبار، إلى سياق آخر فعله يكون في ذات المتلقي، لنأخذ بعين الاعتبار، **الوظيفة التأثيرية** والجمالية التي تولد أثرا فيه، فتمكننا من الإجابة على السؤال: كيف يتمثل معنى ما يتلفظ به المتكلم في ذهن المتلقي، وما هي طرقه في ذلك؟.

وفي الخطاب الأدبي سواء كان شفويا أو مكتوبا، نجد علامات بنائية تسمح لنا بالتعرف على الطبيعة الغالبة فيها. فكل عنصر سائد تكون البنية في خدمته، كما هو حال السرد Narration الذي غلب على رواية «مرايا متشظية». والذي يعرف على أنّه كفاءة قولية Competence Illocutoire يحقق الاتصال بين المتخاطبين، بوجود حوار متبادل بينهما، ويفرض تحولا في الأدوار فالسرد «دلالة واتصال بين متخاطبين يكون أحدهما مرسلا والآخر مرسلا إليه، وقد

يتبادلان الأدوار في نفس سياق الخطاب فيصبح المرسل إليه مرسلا والمرسل مرسلا إليه.»[1].

ولقد انتشر فن القصص عموما، بطباعة الموروث القصصي. وهذه الطباعة أدت إلى نقل تقاليد السرد المعروفة شفويا إلى الكتابة، أي أنّنا نجد تقنيات شفوية انتقلت إلى تقنيات كتابية [2]. لتحل بهذا القصة المكتوبة محل القصة الشفوية، ووضع كاتب القصة بمفهومه الذي نعرفه حاليا محل الراوي الشعبي بمفهومه القديم. كما نجد نقاط اتصال أخرى تتواصل بها تقاليد السرد القديم، سواء بأساليبه المسجوعة، أو إثارة المواقف العجائبية أو الأسطورية، كما هو الحال في الرواية التي نجد فيها صلة بالتراث السردي. وبالتشكل الأسطوري الذي يحدث تشويشا في ذهن القارئ، في محاولة للإيهام بالواقع وتصويره في بيئة خرافية، كما أنّها نتاج لغوي يحتفظ بآثار استعمالات سابقة ومتداولة شفاهة لها علاقة بالمتخاطبين في موقف التخاطب. وأهم هذه الاستعمالات، والذي يهمنا بالدرس، هو الاستعمال الاعتراضي.

فلقد مضى عبد الملك مرتاض في استلهام الموروث الحكائي الشعبي، لتجديد السرد الروائي الحديث مستعينا بتقنيات ملائمة. فالرواية وكأنّها "حديث خرافة" [*] تعكس جدل رفض الواقع والسعي للقبض عليه. فمن الجرح والشرارة تنطلق، ليعيد الراوي سرد حكايا مدفونة تحت الركام. تتميز بعدم

---

1 – جمال كديك: السيميائية والسردية، مجلة: السيميائية والنص الأدبي، عنابة، ماي 1995، ص 279.

2 – جابر عصفور: الترجمة ونشأة الرواية العربية، مجلة العربي، ع 48، ماي 2000، ص 78.

* – يضرب به المثل في كلام العرب، وهذا إذا سمعوا حديثا عجيبا أو غريبا لا أصل له ولا حجة ولا برهان. ذلك أن رجلا يدعى خرافة، وهو رجل من بني عذرة، استهوته الجن وأسرته، فمكث معهم دهرا. فلما تركته، رجع إلى أهله، فكان يحدث الناس بالأعاجيب من أحاديث الجن وما شاهده من غرائب في عالمهم، حتى أن شاعرا ضرب مثلا في الكفر بالبعث حين قال:
حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

الاستقرار في القراءات التي تتوسلها، فهي مليئة بإيحاءات متراكمة أسهمت في زيادة عدد أسطرها وتوالدها. تولدت عن إدماج عدد من الأساليب التقليدية للسرد الشفوي، الموجودة سابقا، فيها. أو بما سماه باختين «أسلبة الحكي المباشر.»[1]، منها استخدام الجملة الاعتراضية التي شغلت علاقات بين كاتب وراو ومتلق. وأهم ما يميزها، في أساليبها المتعددة، والتي تجمع بين المتباعدات والمتناقضات ما يلي:

1) البناء الشعبي/ الخرافي:

ويعني وضع الاعتراض كنص خارجي، داخل مجموع النصوص الأخرى المشكلة للرواية لتتفاعل معها وتتداخل لتتوسع دلالتها ومعناها بحرية أكبر. فحسب بارت فإنّه في حالة السرد فالكاتب قادر على التوسع والتمدد في استعمال اللّغة، لأنّ السرد يتميز كما يقول: «بالقدرة على إدراج توسعات غير منتظرة ضمن امتدادات اللّغة.»[2]. وهذا لتوسيع المجال الدلالي، وتحقيق الاتصال مع القارئ، بجذبه وتشويقه باستخدام الخيال والخرافة، ولعلّ هذا يعود لاهتمام الكاتب بالأدب الشفوي/ الشعبي.

وبناء الرواية يبدأ بالإعلان عن بداية الحكي عن شخصيات حاضرة لا يعرف عنها القارئ أيّ شيء. والقراءة الأولى لها تحيل على دور الفكر الخرافي والشعبي، نجد ما يمثل ذلك فيما يلي:

- **<u>فكرة الخلود والتعبير عن القدر</u>**: ومقاومة الزمن. فعالية بنت منصور اكتسبت الخلود، وهذا ما نجده في قول السارد: «... ولقد أصبح لحم الأطفال غالياً جدّاً بعد أن شاع في الرّوابي السّبع أنّ من أكل لحم صبيّ غُفر له ما تقدّم من الذنب وما تأخّر. وأنّه ربما بات من الخالدين في الحياة الدّنيا. **بعد أن كان الخلود موقوفا على من يشربون من أنهار جبل قاف. أو عين وبار. أو عين الحياة**

---

1 – Mikhaïl Bakhtine : Esthétique et théorie du Roman, Gallimard, 1978, p 87.

2 – رولان بارت: التحليل البنيوي للقصص، ص30.

في قصر عالية بنت منصور. وهي العين التي يأتيها ماؤها من أحد أنهار جبل قاف بإذن الله تعالى.»[1]. كما نجد التعبير عن القدر في ذيل الكلام، في الحديث عن أصل أهل الرّبوة البيضاء باعتراض فيه نقل لكلام «... فقد جاء في بعض الكتب المسطورة والأخبار المذكورة أنّ رجلا كان مسافرا في بيداء قاحلة فدفع إلى شِعب سمع فيه أصواتا منكرة فخاف على نفسه... وإنّه لكذلك وإذا فتاةٌ كفلقة القمر تمثُل أمامه تخاطبه باللّغة التي يفهمها...

- **مرحبا بك بيننا أيّها الشّيخ الجليل. أنت ما دفعت إلى هذا الوجه من الأرض الذي لا يدفع إليه إنسي إلاّ بالأمر المقدر الذي كتب علي أن أتزوجك... فمرحبا بك في شِعبنا، مع شَعبنا...**

- قال الرّاوي:

- ثمّ تعرت له، وتعطرت. فوثب عليها فافتضّها. ثم أولدها سبعة صبيان ماتوا جميعاً إلاّ الشّيخ الأغرّ الأبرّ الذي يحكم اللّيلة...» [2]. ونجدها أيضا في الحوار الذي جرى بين عالية وشيخ بني بيضان، والذي قطع به الراوي حكايتها على لسانها للحديث عن الشيخ الوضيء:

«كنت أتجوّل. لأستمتع بجمال الله في طبيعته العجيبة. وأتأمّل كائناته البديعة. رآني الشّيخ الوضيء فسألني...

- من أنت؟ وما اسمك؟ وما دينك؟ وما كتابك؟ وما قبلتك؟ فأجبته...

- اسمي...

وفجأة غاب عنّي اسمي. ومن عسى أن أكون أنا؟... سارع الشيخ مبادراً بالقول...

- **أنت لا تعرفين اسمك. ذاك أمرٌ مقدّرٌ عليك الآن... ولكنّي أنا أعرفك. وسؤالي عن اسمك من باب سؤال العارف... أعرفك منذ الأزل. أنت مكتوبة في**

---

1 – الرواية، ص 167.

2 – نفسه، ص96.

اللّوح المحفوظ. اسمك مشهور. أنت صاحبةُ السّبعة القصور. أنت... عالية بنت منصور. أجمل امرأة على وجه الدّهور والعصور...

منذ ذلك اليوم فقدتُ ذلك الشيخ الوضيء... علمتُ فيما بعد أنّ الشّيخ طُرد من جبل قاف من أجلي. إلى صحراء قاحلة لا موقع لها من الأرض التي يسكنها الإنسان المذنب. المذنب هو أنت يا شيخ بني بيضان... »[1].

- **النسناس**: أو الأنسنة، نجده في وصف قوم عين وبار: «...كما ورد في الأخبار الصحيحة والروايات الموثوقة... ومن أجل ذلك سماكم الظّلام، الظّلام...

« قال اللّيث: وبار، أرض كانت من محال عاد بين رمال ييرين واليمن... فكثرت بها القبائل حتّى شُحِنت بها أرضُهم... وكانوا قوما جبابرةً ذوي أجسام فلم يعرفوا... **فبدّل الله خلقهم. وجعلهم نسناسا للرجل والمرأة منهم نصف رأس، ونصف وجه، وعين واحدة، ورجل واحدة**...».

... وجاء في بعض الرّوايات أنّ الصبية التي تزوجها منذ الأمس شيخ بني خضران بعد الفتح الذي وقع له في تلك اللّيلة التي دُفع فيها إلى عين وبار ازْدفَّتْها إليه الجن. بأمر من ملكهم...» [2].

والملامح الخرافية تبدو واضحة من خلال الأماكن والزمان وبعض الشخصيات التي تعمل على إدهاش القارئ بالخوارق التي قام بها العفريت جرجريس وشيخ بني بيضان. وتسمية القرى السّبع بالألوان وشيوخهم بها، وعدم ذكر الاسم والكفاية بدال عليه وهو "الصوت" الذي جاء نكرة لتعدد مصادره، والذي قد يكون في الخرافة الهاتف الخفي والمستتر، ليبقى مصدره مجهولا ليعبر به عن اللاّوعي في: «...صوت تسمعون كلام صاحبه ولا تشاهدون شخصه. يبدو أنّ صاحبه... مندس في اللاّمكان... كان لهذا الصوت ارتجاج شديد. لا

---

1 - الرواية، ص70.

2 - نفسه، ص114.

أحد منكم يشعر بغيره، لارتفاع دوي هذا الصوت البعيد القريب...» [1]، فهذا الصوت هو الطاغي على الأصوات الأخرى:

«ولعلّ هذا الصوت الأبحَّ المدوّي. اللّهث الرَّافث... لأن يُمطر عليكم السّماء ذهباً وفضّةً...أن يُصبح مصدر رزق كريم، وربح وفير...

...

والصوت لا يزال يناديكم يا بني من لا يدري أحد من أنتم، أو ممن أنتم؟...

- يا أهل الربوة الخضراء، سارعوا إلى مصدر الصّوت...»[2]. هذا الصوت الداخلي الذي يدعو إلى العمل للنهوض واليقظة والوعي، إلاَّ أنّه لا يجدي نفعا، لكون أصوات الحضور الفعلية أقوى منه، بما يقرره الواقع، والتي تقمعه وتغطيه « وتتعالى أصواتكم في الفضاء. ضاجة حانقة. غاضبة ساخطة.» [3]. ليتم بعد ذلك التركيز على الحكي وسرد ما جرى وما يجري من أحداث.

ونجد الرموز الأسطورية متمثلة في الاعتراض فيما يلي:

- **رحلة** شيخ بني بيضان إلى القصر، وتميزه عن الشيوخ الآخرين وهذا ما نجد فيه تشبيها بقصة موسى:

«لا تزال رائحة النتونة التي كنت تجدها في أنفك وأنت تنهب الطّريق إلى عالية بنت منصور. سيّدة نساء الوجود. **وأنت تتكئ على عصاك التي قيل لك إنّها ربما ستصل في آخر الزمان إلى أحد الأنبياء المرسلين فيهش بها على غنمه. ويباري بها عصابات السحرة المكرة على ضفة الوادي..فيغلبهم ويدحض حججهم ويفضح افتراءاتهم...**

---

1 – الرواية، ص22.

2 – نفسه، ص23.

3 – م.ن، ص46.

وأنت تنهب الطّريق. وذلك كان حين تنهبه. أو قيل: إنّه كان حين تنوي أن تنهبه في آخر الزّمان زمان الأنبياء والحكماء الذين بعثهم الله في آخر الزمان الذي أنت في أوّله...» [1].

كما أنّ وصف كهف الظلمات كان رمزيا، من وجهة نظر شيخ بني بيضان، يقول السارد: «...على حين كان شيخ الربوة البيضاء يتمثل كهف الظلمات مكانا رمزيا لا حقيقيا. فكان لا يزال يرمي رواة الأخبار بالغباء والتخلف الذهني. والتزيد في الرواية. إذ كانوا يفسرون كل الأسماء والمسميات على ظاهرها. على حين كان الأمر يتطلب شيئاً من التفكير العقلي للاهتداء إلى تأويل الأشياء.» [2].

- **<u>وتكرار الرقم سبعة</u>**: ونجد هذا الرقم مرتبط كثيرا بالفكر الشعبي /الخرافي والمرتبط بالفكر الديني القديم وهو أنّ الله خلق الكون في سبعة أيام. فنجد الوحش ذا السبعة رؤوس الذي يقال بأنّه يغتال، الذي تقول فيه عالية بنت منصور للحضّار في ذيل الكلام عن الاغتيالات لتضيف معلومة لم تكن لديهم، وأين تبادلت الحوار معهم:

«...

- ومن يا سيدة النّساء كان يذبح؟...
- الوحش ذو سبعة رؤوس. يهبط من الغابة كل ليلة فيغتال. هكذا يقال.
- وهل يوجد على الأرض وحش غير الإنسان؟
- الوحش يفترس عَنوة، لكنّه لا يغتال.

..... » [3].

---

1 – الرواية، ص128.

2 – نفسه، ص194.

3 – م.ن، ص73.

ونصادفه في عدد الربى وعدد البحور، وفي توضيح عمليات الشعوذة التي تتم في بني حمران «حتى أنّ الرجل من بني حمران كان إذا أراد أن يتزوج امرأة جميلة قدم لها قنينة دم منتقى من دماء سبعة أطفال أعمارهم أقلُّ من عاميْن اثنيْن. يذبحهم في ليلة واحدة. وإلاّ فلا يحلّ له ذلك الزّواج... فلا شرطَ غيرُ ذلك. فمن أراد أن يتزوّج كلّ ليلة فتاة جميلة عذراء فليس عليه إلاّ هذه المؤونة الخفيفة... **ذبح سبعة رضّع في ليلة واحدة**...» [1].

- **اللّون:** يساهم في تشكيل البنية الدلالية/ الشعبية وبالتالي الخرافة وهي موجودة منذ القديم. فالأبيض للسلام ولا يُعاب عليه« ...فهَلُمَّ اللّون البيض النّاصعَ البياض. **والذي هو لون الصفاء والوفاء. والمحبة والإخاء. والسلام والوئام**. هو لون كأنّه غير موجود وهو اللّون المشترك بين الرجال والنساء اللّواتي يعاب عليهنّ ارتداء اللّون الأزرق. **في حين أنّ اللّون الأبيض لا**. والرجال يعاب عليهم اللّون الأحمر القاني. في حين أنّ اللّون الأبيض لا. ...» [2]. أما الأزرق « ... وتجنّبوا ارتداء الملابس الزّرقاء التي ليست من ألوان الجمال... ولكنّه لونُ مجوسِ ذلك الوجه من الأرض... **فاللّون الأزرق من الشيطان ... فهو لون المجوس والقردة والخنازير وعبَدة الطاغوت**...»[3]. كما نجد الأصفر للمجد والأحمر للسعادة والفرح، والأسود للحزن والموت والحداد. لكن مقتضى الحال يوظفها لغير ذلك وينزاح ويعدل عنها، ليعطى لها دلالات أخرى. ليستخدم الأسود والأحمر والأبيض للحذر من المستقبل والكشف عن تجارب وحياة غامضة، والأخضر لسذاجة الرؤية وعاميّة التفكير.

فالأبيض والأحمر والأخضر هي الألوان القاعدية للعلم الجزائري والتي تمثل واقعه، وهي ألوان مؤسّسة على السلم والازدهار والسلام ليأتي اللّون الأسود

---

1 – الرواية، ص 148.

2 – نفسه، ص98–99.

3 – م.ن، ص98.

ليفرض نفسه وهو دال على الاغتيالات والقهر والموت، ليلوّث ويغتال الألوان الأخرى التي رمز بها إلى سكان الربى السبع. فالصراع قائم: «... والسواد هو لون الموت والعذاب والفناء والدّموع والأحزان والآلام والفتن والمحن... وهو، يقول لكم شيخكم الأغرّ الأبرّ، لون الظّلام الذي سماكم الظّلام...

... **الأسود لون عارض ترتديه السيدة حين وفاة قريب لها. أو عزيز عليها. ثم تلقي به في الجحيم بمجرد انتهاء المدة العرفية لارتداء ذلك اللّون الظّلاميّ...**»[1].

لنرى أنّ مفهوم الروابى السبع قائم على الألوان وليس على المكان، لأنّ الصراع موجود بين قبيلة بني خضران التي تسعى للوصول إلى القمة بالقتل والفتن وقبيلة بني بيضان التي تريد أن تحكم بالعدل بقتل الطاغوت وعبدة النار. هذه النار التي تأخذ اللّون الأحمر، وتتخذ أداةً لإحراق الوجود وسفك الدماء. لذا فإنّ تمثيلها غير مرتبط في الرواية في حدّ ذاتها كألوان إنّما هي مرتبطة بإدراك سياق استعمالها وتوظيفها، فاللّون الأحمر بقدر ما يحمل من حب ومودة في الأزهار والورود، ولطالما تغزل الناس بجمال المرأة بخدودها الحمراء في القديم؛ فإنّه وفي الحديث، ومع عبد الملك مرتاض يحمل الخطر والموت والبشاعة بتقزز النفس من رؤية الدم الأحمر ويؤطر بها بيئة رابية بني حمران ليعبر عن شيء كامن في نفوس أهلها، فيكون بذلك جماله مؤذياً بعد أن كانت النفوس تتلذذ به مع كل غروب للشمس، لتنشأ علاقة قائمة على الضديّة والتناقض، فكلّ لون بدلالته يفرض وجود دلالة تقابله.

- **النّار:** التي تعتبر موضوع قبيلة بني خضران: وهو واقع مجسد بطلب إضرام النار الفعلية، لكن في نفس الوقت يدخل البعد الرمزي لتأويلها وإعطائها دلالات أخرى. إذ قد تكون رمزاً للديانة المجوسية التي يعبد أتباعها النار، أو لنار

---

1 - الرواية، ص 99.

جهنّم للعقاب في الإسلام، وقد تكون نار الغضب ونار الحقد ونار الغيرة، « ومع ذلك لا يعنيكم ذلك كثيرا. **ولذلك لا تفتأون توقدون النار**...»[1].

فتعدد الدلالات راجع إلى دور السياق الاجتماعي والثقافي، لتبقى مفتوحة على معتقدات يحددها الواقع وطريقة التفكير السائدة، يقول مصطفى ناصف: «ربما لا يكون الشيء الغامض في الرمز هو الفكرة التي تقع من خلفه، ولكنّه مساق الدلالات الضمنية التي تسكن هذه الفكرة.» [2]. لتؤسس بذلك دلالة جديدة قابلة للتأويل في سياق معرفي له دور في تكثيف تفسيرات الواقع. والنار التي كانت طاقة للتدفئة والإنارة في القديم جعلها مرتاض صورة في معظمها للقتل، ورمزا لصراعات تحدث في الظّلام.

2 - خصائص الاعتراض في السرد الشعبي/ الخرافي:

يقوم السرد الشعبي في الرواية على خصائص متعددة أهمها التكرار، والإخبار والإسناد أو ما يسمى أيضا بالنقل والعنعنة والرواية، وهذا لاحتمالية وقوعها لما فيها من غرائب تفوق قدرات الانسان الطبيعية. كما أشار الكاتب إلى تعدد المنقول عنهم لحكاية يوردها شيخ مسن تداولها الرواة، اعتمادا على الذاكرة. كما نراه يشير إلى الراوي وتعليقاته في «قال الراوي» إلى عملية النقل الاخبارية ليستخدم بذلك طريقة السرد التقليدية حيث يجعل نفسه ساردا (خارج حكائي) بعيدا عن الشخصيات مما يساعد على إضفاء جو من الواقعية، وكأنّها موجودة قبل أن ينقلها كتابة، ولقد استخدمها كاعتراض للدلالة على تقنيات السرد الشعبي، وأهم ما يميزه ما يلي:

أ- التكرار:

لقد رأينا سابقا، بأنّ الاعتراض يعتبر من شواهد توالد النص وتوسعه، بدخوله المفاجئ بين جزأين لهما الحق في الاتصال، ليزداد به النص كماً. ونجده

---

1 – الرواية، ص93.

2 – مصطفى ناصف: دراسة الأدب العربي، دار الأندلس، ط3، بيروت، ص132.

بكثرة في النصوص الشفوية والكتابية حيث يؤدي وظيفة خارجية، ويقع جملة نداء أو في أخذه موقع الذيل، ليلعب دورا في المستوى الدلالي. ولقد أضفى وجوده على النص نظما أسلوبيا متميزا، وهذا تبعا لما يقصّه الرّاوي وما يقوله الشيخ الجليل، الذي يحتاج إلى تكرار بعضها ليؤكد حضورها، بتحديد نوعية الدور الذي تقوم به بين مجموع الوحدات الأخرى. للفت انتباه السامع والقارئ إليه، لئلا يغيب عنه.

وأسلوب التكرار، أداة أجاد العرب استخدامها، خاصة في الشعر، لأنّ فيها مضاعفة للنّغم وتقوية للمعنى. اكتسب جلالا، حين تعامل معه القرآن في «سورة الرحمن». وهو تكرير وإعادة أو إعادة صياغة لفكرة باللفظ أو المعنى، وقد يكون بحرف أو كلمة أو تركيب أو أسلوب معين[1]. فهو بمثابة وقفات في النص، يكسبه أسلوبا بإبراز أهمية ما تكرر في السياق المستعمل فيه. ولقد تنبه له ابن رشيق في الشعر[2]، لأنّه يكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ويكسوه رونقا وديباجة ويزيده مائية وطلاوة.

والرّاوي يكرر الأعاجيب في سرد أحداثه، قصد الافصاح عن الأفكار والمعاني في تعابير مجازية وأساليب فنية بغرض تدعيم الدلالة وتكثيفها. ونجد خاصة تكرار أسلوب الاعتراض الذي جاء في غرض الدعاء لشيخ بني بيضان، لتتبين منزلته «ليخص شيئاً باهتمام السامع أو القارئ، ليقع موقعا ثابتا.» [3]. وذلك من أجل تأدية الوظيفة التأثيرية في المتلقي وإقناعه بتكرار الدعاء مرات عدة كي يتحقق استحقاقه له،كونه الشّيخ الأغرّ الأبرّ، وعليه أن يصل إلى

---

1 – صلاح يوسف عبد القادر: في العروض والإيقاع الشعري، دراسة تحليلية تطبيقية، (د–ط)، الأيام للطباعة والنشر، 1997، ص131.

2 – ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: النبوي عبد الواحد الشعلان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000، ص697.

3 – ريمون الطحان: الألسنيّة العربية، ص 89.

الدرجات العليا «... ومن مات منكم أو اغتاله أحد أو ذبحه أحد فعلى أهله أن يدفعوا عنه ضريبة أطلق الشّيخ الأغرّ الأبرّ **حفظه اللّٰه وأكرم مثواه** عليها ضريبة القبر في رواية أخرى... ومن دُفن في مقبرة فلا يدفن فيها حتّى يدفع عنه أهله ضريبة الدّفن. وذلك سعياً من الشّيخ الأغرّ الأبرّ **حفظه اللّٰه ورعاه** في ترقية وسائل الدّفن بعد أن عزّ الحفّارون. وضاقت أراضي الرّابية الخضراء بما وسِعَتْ فلم تعد قادرةً على العثور على أفْضِيَةٍ فسيحة لاتّخاذها مقابر لكم.» [1]، «... فقد وازى الشّيخ الأغرّ الأبرّ **حفظه اللّٰه ورعاه وأكرم مثواه** بين ما لأهل الرّبوة الزّرقاء ومالكم أنتم فأقرّ **حفظه اللّٰه** ما أقرّ عليكم...» [2]، «... أوقدوا ويلكم النّار. وقوموا بكلّ طقوس الحقد والكره... على النّحو الذي يريد لكم شيخكم الجديد **حفظه اللّٰه لكم**. وحتّى يرتسم الغضب على وجوهكم... يا بني خضران، يقول لكم شيخكم الجديد الأغرّ الأبرّ **حفظه اللّٰه لكم من مكر الماكرين**. من رأيناه منكم يُبدي أسنانه اقتلعناه له. وعاقبناه بأكثر من ذلك...» [3]. وهذا في جمل فعلية مكررة تؤكد الزّمن والحدث. وايحاؤها يكون بحسب « تركيبها ووظيفتها والعوامل اللّغوية المساعدة على نقل الإحساس الذي تضمنته، فالجملة المكررة ليست زائدة عن الحاجة لأنّها ليست هي الجملة الأولى نفسها.» [4]. فرغم تكرارها، إلاّ أنّه في كلّ مرة نجد لها مقاما مخالفا تستعمل فيه، أثناء الدعاء وذكر الشيخ الأغرّ الأبرّ الذي ارتبطت به. وغالبا ما كان ذلك في بؤرة الحديث والمخاطبة، مما يجعل دلالتها صادرة من التواصل،

---

1 – الرواية، ص 158–159.

2 – نفسه، ص161.

3 – م.ن، ص215.

4 – نور الدين السد: تحليل الخطاب الشعري، رثاء صخر أنموذجا، مجلة اللغة والآداب، العدد: 08، 1996، ص 108.

لتكون بذلك محور التخاطب المشترك سواء كان مع المخاطب أو مع غيره. وكلما استمر التكرار، استمر التواصل معه.

كما يكرر قصة عصا شيخ بني بيضان، في قوله: «... لقد ورد في بعض كتب حكماء الربوة أنّ هذه العصا عصاك هي التي سيرثها بعض الأنبياء في آخر الزمان...» [1]، لكن هذه المرة ليس لمباراة السحرة بل ليرعى بها الغنم ليقدمه مهرا للفتاة التي سيتزوج بها. والتي أعاد ذكرها عدة مرات، مما أكسبها دورا في صناعة الحدث، فهي التي أكسبته قوة ليدافع بها، وبقيت تحت تصرفة لينال بها مكانة عالية/ خرافية وسط الجن، الذين زوجوه بالأميرة "دناتنا".

ب- الإسناد والإخبار:

يرتبط الإسناد بالدين، لأنّ السند في ظل المشافهة كان السبيل الوحيد للتثبت من صحة الحدث وحجة التأكيد عليه، لأنّه حامله. فكان أن وجب النّظر فيمن يؤخذ منهم كما أنّ الشعر وصلنا مسندا. ومعناه لغة: أن ننسب شيئا إلى شيء آخر، أمّا اصطلاحا فهو تعليق خبر بمخبر عنه. والخبر: النّبأ، واحد الأخبار، من خبرت الأمر أخبره: إذا عرفته على حقيقته. والاستخبار والتخبر: السؤال عن الخبر ليعرفه. أمّا قوله تعالى: (يومئذ تحدّث أخبارَها) يوم تزلزل تخبر عما عمل بها. فهو كل قول أفدت به المستمع إذ إن طبيعة الخبر تكون مجهولة بالنسبة للمخاطب، وهذا ما جعل الخبر في النحو نكرة لا معرفة. أمّا بلاغياً فهو « كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته دون النّظر إلى اعتبار خارجي.» [2].

وبما أنّ القضايا تحمل الإخبار Information، الذي يتجلى فيه المستوى التداولي كونها تحمل عناصر التخاطب:

---

1 – الرواية، ص128.

2 – عبد الفتاح عثمان: دراسات في المعاني والبديع، مكتبة الشباب، القاهرة، ص 45.

إخبار

مخبر ←——— مستخبر أو مخبَر له

فهي تحيل على ما يمكن معرفته واعتقاده وعلى ما يمكن أن يكون موضع شك واستغراب ووصفه بالصدق والكذب. وأوّل الأشياء التي اعتمد فيها لإثبات صدقها كان إسنادها. ولقد أشار ابن خلدون، إلى أهمية الخبر عندما يجهله المتلقي، وأشار أيضا إلى أنّ أغلب الأغراض إنمّا هو كذب وهذا لأمور نفسية كولوع النفس بالغرائب والثقة بالناقل والذهول عن المقاصد، والتشييعات للآراء والمذاهب[1].

والجمل الاعتراضية التي استعملت في الإسناد، معلومة يقدمها المتكلم للمخاطب ليضعه في موضع شك أو يقين. لكنّها تعتبر بالنسبة للأحداث التي يرويها ويخبر عنها المعلومة المروم إعطاؤها. وهذا لإثبات حكمه على ما جاء من أخبار وأحداث، يقول: «والدم الذي تلطخون به ثيابكم تلونون به أجسامكم. يتوضّأ به بعض سادتكم، **كما وردت في الرّوايات الصّحيحة**، حتى يبيت ما حول الروابي السبع أحمر قانيا.»[2]، وفي «ألم تكن الشمس في قديم الزمان، **كما جاء في الأخبار الصحيحة**، تشرق على هذه الرّوابي دون أن تغيب عنها؟ ثمّ لحكمة أنتم لا تُدركونها أصبحت الظّلمات هي التي تغمركم. دون أن تَرَوْا الشّمس...

كذلك زعم لكم شيخكم الأغرّ الأبرّ... فيما أخبره به رواة الأخبار...»[3]. ويؤكدها مرة أخرى في قوله: «ياشمس...ظلّي متوهجة كما كنت

1 – ابن خلدون: المقدمة، ط1، دار صادر، بيروت، 2000، ص472.

2 – الرواية، ص 3– 4.

3 – نفسه، ص 12.

في غابر الأزمان. **فيما_حدّثنا به حُكَاةُ الأخبار**... ظَلّي متوهجةً مشرقة .» [1].

ويمكن التمثيل لذلك في المخطط التالي:

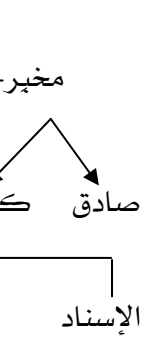

لتكون بذلك الأخبار التي يقدمها ويسندها في موضع الشك واحتمال التكذيب والتصديق، لأنّها لا تحمل معلومات محددة وكأنّه يتهرب من التحديد، ليظلّل معه المتلقي الذي سوف يتخيلها في أي نقطة من فضائه.

ومن جهة تقسيم الكلام، باعتبار صاحبه، فهو قسمين: إمّا قول يضطلع به متكلم، أو إخبار يقوم به راو[2]. فأمّا ما يخص القسم الأوّل فإنّنا نجدها في تدخل الكاتب، ليخبر القارئ عن المتكلم في الرواية في "قال الراوي". أمّا القسم الثّاني، فالرواية تقدم لنا أخبارا يرويها لنا راو، هو مخبر Donneur يمدنا بأخبار عن قبائل الروابي السبع، والتناحر القائم بينها وبين شيوخها من أجل عالية بن منصور التي اختطفها جرجريس العفريت الجان. في أسلوب عجائبي، قائم على تناقضات عدة، يقول في ذيل الكلام عن اللّون الأسود: «... لون الظّلام الذي سمّاكم الظّلام... **يقول لكم شيخكم: نعلّمكم لعلّكم تتعلّمون**...»[3]. ولتأكيد صحة ما يذهب إليه، يسند ما يرويه إلى الرواة والنقلة والأخبار الصحيحة، وهذا في جمل

---

1 – الرواية، ص 13.

2 – سعيد يقطين: الكلام والخبر مقدّمة للسرد العربي، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1997، ص 206.

3 – الرواية، ص99.

اعتراضية يوجهها للمستمعين له للوثوق به وعدم الشك فيما يقوله، ولتبرئة نفسه بما سيقوم من حكي ومن نقل للرواية، لنجد أنفسنا أمام جملة «اسمعوا يا أهل الحلقة الأبرار...حدثنا الراوي الموثوق عن رواة موثوقين أنّه ثبت لديهم بالقطع واليقين أنّ هذه الحكاية التي سأحكيها لكم كانت متوارثة متواترة....» [1]. وفي « ظلّ الناس على ذلك زمانا طويلا طويلا جدا، **يقول بعض رواة الأخبار: ظلّوا على ذلك آلاف القرون. لا يعرفون الشقاء، ولا الموت ولا المرض ولا سفك الدماء ولا الأحقاد ولا الضغائن، ولا العداوة ولا البغضاء**، إلى أن جاءهم عفريت من الجن.»[2]. وفي« كان ذلك القصر مما تفنن في بنائه الصالحون والملائكة والعفاريت... دام بناؤه قرونا طويلة، **هكذا جاء في الروايات الصحيحة، وتذهب بعض الروايات الضعيفة أنّ بناءه تم في قرن واحد مما يعدون**، إلى أن أصبح غاية في الجمال والعجب.» [3]. فكل ما يروى إذن ينسب إلى رواة آخرين موثوق بهم لا إليه هو « ... ومع ذلك فإنّنا حاولنا أن نتطوّر في قيمنا ومبادئنا. فقضينا بتحريم أكْل لحوم البشر. بعد أن كان آباؤنا وأجدادنا... لا يتورّعون في أكل لحوم الأطفال. كانوا رحمهم الله يجدون لها **فيما رواه شيوخُنا في أخبارهم الصّحيحة وحكاياتهم الموثوقة** لذّةً عجيبةً.» [4].

فما هو إلاّ راوٍ ينقل ما سمعه من أحاديث وأعاجيب من رواة آخرين هم مجهولون بالنسبة إلينا كقراء وقد تكون صحيحة أو كاذبة «... وهم الذين كانوا يقطنون الرّبوة السّوداء. وهم الذين لا يفعلون شيئاً غير البكاء على عظيمهم الذي كان يوماً يتعبّد في ذروة جبل عظيم. مكسوّةٍ قمّتُه بالأشجار الباسقة التي تتفجّر من تحتها العيون التي كان بعضها ماءً. وبعضها عسلاً. وبعضها بصلاً. وبعضها لبناً.

---

1 – الرواية، ص 05.

2 – نفسه، ص 06.

3 – م.ن، 07.

4 – م.ن، ص211.

(وقيل إنّ البصل كان لما يوجد. فذكره هنا مشكوك فيه. والله أعلم بالحقيقة). فكان يعيش هنالك متعبّداً.» [1]. ليكون إسنادها غير دقيق ومجهول، كونها مؤسسة على الغريب والخيال. فما وقع من العجائب في الرواية، هو أعجب ما وقع في الإسراء والمعراج، وما وقع لسبأ.

وهذه الجمل الاعتراضية، هي موجّهة للقراء لإثارة متعة الحكي، وإفادة المشاركين له في الأحداث وهم المستمعون، كمستخبرين، ولها علاقة بالموضوع وليست خارجة عنه. ويمكن أن نستنتج من خلالها ما يتناسب والاعتقاد بصحة ما يقوله أو الشك فيه وليس تكذيبه، لأنّ المتكلم عادة يتجنب الكذب في تصويره للواقع، ويتوخى نقله كما هو للمخاطب، لذا استخدم الإسناد. والمقصود باستعمالها إفادة المخاطب بمضمون جديد يجهله ليزيد به فهمه ويضيفه إلى فكره، لعلّ الرواية ستنتقل إليه. وهذا ما يسمى بلاغيا بـ"فائدة الخبر" للإيهام بصحة وحقيقة ما يرويه «وآخر الفانين هو الذي سيكون مِلِكاً على مملكة **العدم... بهذا جاءت الأخبار الصحيحة والتواريخ الموثوقة ... فلا تُراعُوا**...» [2].

ومن خلال ما سبق، يمكن استخلاص ما يلي:

- إنّ الضمائر والمبهمات الزمانية والمكانية، التي تمثلها الأدوات: الأنا- الهُنا- الآن، يتحدد مرجعها بالسياق التداولي للخطاب، باعتبارها خالية من المعنى في استعمالها مفردة، لذا فهي مرتبطة بمرجع يحدد دلالتها واستعمالها. وهي من عوامل تكوين الاعتراض كبنية تامة لقيامها بدور نحوي ودلالي وتداولي، وذلك بالإحالة إلى معلومات سبق ذكرها، لتصبح بذلك جزءا من المعلومات المشتركة.

- إنّ استخدام الأزمنة الثلاث في الاعتراض وتحديدها لا يتم إلاّ في السياق التخاطبي الذي يبرر تحولاتها ووسائل تحقيق ذلك، أثناء الاستعمال ليتخذ كمرجع يحيل عليه.

---

1 – الرواية، ص 88.

2 – نفسه، ص 243.

- إنّ الموضوع يمكن التعبير عنه بأية صيغة أو عبارة تساهم في الإحالة عليه، يحدده المتلقي من خلال السياق، والإحالة في الاعتراض بوصفها علاقة توجّه إلى أشخاص أو أشياء أو زمان ومكان يمكن تقسيمها إلى:

- إحالة شخصية: وتنقسم إلى إحالة سياقية ونصية.
- إحالة زمنية.
- إحالة مكانية.

ولقد استعملها التوحيدي، للإحالة على المخاطب سواء كان موجّهاً إلى الأنا أو إلى الغير بمراعاة المسافة أثناء الوضع التخاطبي. وفي الرواية نجد فيها ما يثير الغموض والتشويش لدى القارئ أو المتلقي، لأنّها قائمة على الإيهام والتخييل والضديّة التي تشترك في محور التواصل/ اللاتواصل الجامعة للثنائيات: (موت/حياة تقابلها عدم/ وجود، إنساني/ لاإنساني تقابلها خرافي/ لاخرافي).

- وجد عبد الملك مرتاض في الاعتراض سبيلا لتجديد السرد الروائي باستعانته بخصائص السرد الشعبي، الذي تميز بخاصيتين هما التكرار والإسناد والاحتمال في التأويل، ولذا لم يكشف فيه بشكل دقيق عن الزمن. وظّف فيها الرموز توظيفا مثلثا يعبر فيها عمّا في القلوب ومكان العيش الذي فيه الخطر والموت.

- تتميز عملية البناء السردي عند مرتاض القائمة على هذه الخصائص، بتحويل السرد إلى الشخصيات، والانقطاع في إعطاء الوصف والتعليقات للإيهام بواقعية الرواية ومحاكاتها له، بالإشارة إلى مواقع أخرى بما يؤكد عملية الاختصار والبدائل الدلالية، إذ إنّه يمكن أن توجه إلى مواقع نصية أثناء سرد الأحداث، يقوم على أساس تداولي نستنتجه من الاستعمالات والعلاقات الدلالية المرتبطة بمحور ومرجع الخطاب والحدث الذي يشكله، وهذا ما سنتعرض له فيما يلي.

الفصل الثالث

الحدث والقول الاعتراضي

تمهيد

المبحث الأوّل: الحدث وتغير المسار السردي

1- الوظيفة الميتانصيّة.

- الاعتراض كميتانص

2- الوظيفة التناصيّة.

- الاعتراض كتناص

المبحث الثاني: الفعل الكلامي والقول الاعتراضي

- متضمنات القول الاعتراضي

تمهيد:

كلّ نص هو عبارة عن عدد ما من الوحدات الدلالية التي يسميها تزفيتان تودوروف T. Todorov "المتتاليات"[1] تقوم بينها علاقات دلالية، تساهم في بناء وحدة النص. فالدلالة النصية، بنية كبرى Macro-Structure تسهم في بنائها العديد من الجمل الدلالية. ويعطي سعيد يقطين تعريفا واضحا للبنية النصية أو للبنية الدلالية الكبرى، أي للدلالة الشاملة للنص، في قوله: «إن النص كبنية دلالية كبرى هي جماع بنيات داخلية يتكون منها (صرفية/نحوية) يتم إنتاجها ضمن بنية نصية كبرى تتعدد فيها النصوص وتتقاطع وتتداخل وتتعارض. وعلاقة النص بهذه البنية النصية الكبرى هي علاقة صراعية، أو لنقل جدلية تقوم على أساس التفاعل الذي يأخذ طابع الهدم والبناء.»[2]. فيها حذف وإضافة، اختصار وتوسيع، تكرار وإسناد، وغيرها، مما يصبح طريقة لتأسيس العمل على قاعدة المحاكاة والتحويل. كما أننا نلاحظ من خلال هذا التعريف، أنه فضلا عن وجود التماسك الدلالي الذي تشير إلى الوحدة، فإن بروز البنية شرط أساسي لتكوين النص، يقول لوتمان: « إن النص لا يمثل مجرد متوالية Séquence من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين. فالتنظيم الداخلي الذي يحيله إلى مستوى متراكب أفقيا في كل بنيوي موحد لازم للنص.» [3] لنتمكن من بناء "النص" كالتالي:

---

1 – تزفيتان تودوروف: الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط 1، توبقال للنشر، الدار البيضاء 1987، ص58.

2 – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان، 2001، ص33.

3 – سعيد حسن بحيري: علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ص117.

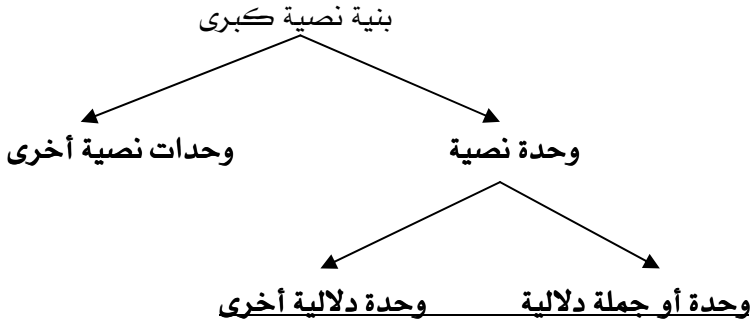

(علاقات دلالية)

وكما يطلق مصطلح الأبنية الكبرى على الوحدات البنيوية الشاملة للنص، فإن صلاح فضل يقترح إطلاق مصطلح الأبنية الصغرى Micro-Structure على «أبنية المتتاليات والأجزاء للتمييز بينها وبين الأبنية النصية الكبرى.» [1]، فنستطيع أن نصف بهذا الجملة الاعتراضية بالنصية لوجود نظام من العلاقات يحكم ترابط مكوناتها فتشكل لنا كلا متحدا، وتكون وحدة دلالية لها معنى ووظيفة في سياق، وباعتبارها نتاج متكلم أو كاتب. تتفاعل وتتداخل مع وحدات نصية أخرى، بوضعها داخل مجموع النصوص الأخرى، لتشكيل الحدث الذي له دور في بناء الخطاب ووحدته. وهذا ما يؤيد قول جينيت بأن البحث عن الأدبية هو بحث في هذه النصوص في كليتها فموضوع الشعرية عنده ليس النص إنما هو جامع النصية[2]، الذي تتحدد به أنواع أخرى من النصوص، لها وظائف تؤديها لتعميق الدلالة والتأثير على القارئ وتقريبها أكثر منه، ويحدد أفق قراءاته. ويأخذ فيه الاعتراض طابع الميتانصية بالشرح والتفسير والوصف، كما يحيل فيها إلى نصوص أخرى يؤدي بها وظيفة التناص، التي تستند فيها على القواعد الشكلية والخصائص البنيوية لنصوص سابقة لها غاية

1 – صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط1، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1992، ص255.

2 – Gérard Genette : Palimpsestes, La littérature au second degrée, Ed. Du Seuil, Paris, 1982, p 07.

في الأداء إضافة إلى المقام والمعرفة الثقافية المشتركة. والتي تساعد في الوصول إلى الدلالة وفهم تحولاتها.

وترتبط الدلالة بالتواصل، الذي يقتضي وجود عناصر التخاطب من متكلم ومخاطب والحدث اللغوي، بأبعادها التي تستمدها من الموقف التواصلي أو المقام. وكما رأينا فالمتكلم له اختيارات متعددة في إنشاء وصياغة الجمل، تتبع منه قصدا للإخبار وفق معايير وقواعد قائمة أساسا على علاقة الإسناد، التي تربط بين المسند والمسند إليه نحويا، وعلاقة دلالية تربط بين المحمول والموضوع منطقيا، وعلاقات أخرى مرتبطة بالمقام. وهذا بغية توصيل مقاصده إلى المتلقي ليستوعبها في عملية التبليغ« إنّ نحوية الجملة تعني من منظور البراغماتية العالمية، أنها تكون حين يتلفظ بها المتكلم مستوعبة من طرف كل المستمعين الذين يتحكمون في قواعد هذه اللغة.»[1]، فيقتسم المخاطب مع المتكلم المعرفة والقصد. وباعتبار أنها مكتفية ومستقلة بنفسها، وأنها تأتي لفائدة فينبغي النظر إليها من وجهة «الفعل التام الإنجاز، المؤدي إلى إنتاج تلك العبارة.» [2]، فيصير تركيبها الداخلي والمعنى والغرض أو الهدف المحدد لها مناسبا لمقتضى الحال بالنظر إلى السياق التواصلي.

1 – عزي عبد الرحمن: التحليل النقدي والبنية المؤسستية في المجتمع العربي، حوليات جامعة الجزائر، ع09، ج01، أفريل 1995، ص29.

2 – فان ديك: النصّ والسياق، ص 18.

المبحث الأوّل

الحدث وتحول المسار السردي

يعرف كل من رقية حسن وهاليداي النص بأنه أي مقطع منطوق أو مكتوب يشكل كلا متحدا حيث يؤدي في تماسكه النحوي والدلالي والتداولي إلى تحقيق النصية أي ما يصير به الملفوظ نصا[1]. ويعتبران أنه، إذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع أو مجرد مجموع جمل أو جملة كبرى، وإنما هو وحدة من نوع مختلف، وحدة دلالية Semantic unit الوحدة التي لها معنى meaning في سياق context .

ولقد أوليا للربط النحوي وللتماسك الدلالي أهمية كبيرة، باعتبارهما من معايير النصية وتحقيقها. ولقد رأينا فيما سبق، الربط النحوي الذي يحقق التضام بالاعتماد على فهم مكونات النص في علاقاته الدلالية وتماسكه الذي يتم في البنية العميقة أي فيما يشكل عالم النص، من أحداث وحالات وتحولات.

تبدو الإشارات الإلهية للتوحيدي نصا واحدا متماسكا مكونًا من عدة نصوص على الرغم من أنها جاءت في رسائل متفرقة بفقرات متناثرة، إلا أنها جميعا تشكلت ضمن موضوع التصوف. والنص الاعتراضي نجده الميزة المشتركة بينها، كونه حاضرا في جميع الرسائل، فأبو حيان التوحيدي لم يستغن عنها حينما يوجّه خطابه للمتلقي، قصد إشراكه في كلامه وتوكيده على حضوره، لأغراض عدة. وبوجود المخاطب في رسائله، استطاع أن يحدث نوعا من الربط بينها وعلاقة مع الآخر وتكوين الوحدة الدلالية لها، فيربط بينها في توجيهها إلى نفس المخاطب الذي يريد سلوك طريق التصوف بالتعرف على بعض الأمور، فيكون المحور في النص الاعتراضي في الإشارات هو المخاطَب.

أمّا في الرواية، فإنّ من عوامل تماسك النص هو وحدة الموضوع ووحدة الحدث. والحدث هو مضمون النص، أي ما يرويه عبد الملك مرتاض عن الشيخ

---

1 – محمد خطابي: لسانيات النص، ص13.

الأغر الأبر وعلاقته بعالية بنت منصور وأهالي الربى السبع، الذين تضمّنهم النص الاعتراضي بالإحالة للحديث عنهم في قطع فيه شرح ووصف وتعليق ما يرويه، وهذا ما يسميه بارت بـ"**التكسير التركيبي**" [1] في السرد، بين المقاطع السردية القائم على مبدأ الاتصال والانفصال ويشكل معلومات على محور النص المقطوع الذي جاءت فيه (وكما رأينا فالمحور وظيفة تداولية تسند إلى العنصر الدال على ما يشكل محطّ الحديث) باعتبارها شخصيات تدور حولها أحداث الرواية.

وللحديث عن الموضوع، تجدر الإشارة إلى أن هذا المصطلح استعملناه سابقا في وصف الجملة تداوليا أو ما يسمى بوظيفة المبتدأ، التي تدل على مجال الخطاب والذي يتجلى لنا في العنوان:"مرايا متشظية" حيث نجح الكاتب بتوجيه القارئ إلى خطابه، إذ يعتبر نقطة لتأويل النص. وهذا ما يتجلى في الرواية فهي نصوص متشظية، تعكس لنا أحداثا على مرايا متشظية في نصوص متداخلة ونصوص مستقلة بذاتها بما يتناسب الحدث، وهو امتلاك قصر عالية بنت منصور وتسابق الروابى السبع للحصول عليها. على أن حبكة الرواية الرئيسية، لا تتعدى رواية حدث تاريخي لا تكاد تمتد لسنوات عديدة، بقالب روائي كان بالإمكان اختصاره في الرواية. لكن الكاتب شتتها في كل مكان، تاركا للقارئ المجال لاستخلاصها وفهمها؛ فهي عوالم متشابكة وفهمها لا يتأتى إلا في القراءة المسترسلة، والاستغراق بوحدة الحدث، ففيها كل الناس، نماذج بشرية متنوعة، كلها تعيش في العالم واللاعالم. وأثناء ذلك نجد تعليقات وشروحا تقوم بقطع الحدث والمسار السردي فتؤدي وظائف تحقق التفاعل النصي، كما تؤكد طبيعة الاعتراض في النص:

---

1 – رولان بارت: التحليل البنيوي للقصص، ص30.

1 - الوظيفة الميتانصية:

تعرف الجملة الاعتراضية عند الغرب بما يسمى إعادة الصياغة La Reformulation «أي علاقة بين ملفوظين، يكون أحدهما إعادة صياغة للآخر...تستلزم ربطا دلاليا بينهما.» [1]، أي إعادة معنى كلمة ما أو تعبير ما من خلال كلمة أخرى أو استعمال آخر في اللغة ذاتها، أو ما يسمى أيضا بالبدائل الدلالية التي تساهم في عملية التعليق والتفسير. وهذا يعني وجود نص سابق يكون بؤرة لبناء نص لاحق يربطه دون استدعائه، أو ما يسمى بالميتانص Metatexte والذي يحدث نوعا من القطع ويعيق استرسال السرد والقراءة. ويعرفه جينات بقوله: «هو العلاقة بين نص وآخر يتحدث عنه دون الاستشهاد به أو استحضاره، بل يمكن أن يصل الأمر إلى عدم ذكره.» [2] أي يتم استدعاء النص السابق Hypotexte في اللاحق Hypertexte بطريقة تلميحية، تشبه العلاقة النقدية، فقد يكون تعليقا أو شرحا أو تكرارا لأفكار يجدها القارئ في الإشارات، في رده عن سؤال وجه له عن الغريب والغربة في قوله: «يا هذا: الغريب من نطق وصفُه بالمحنة بعد المحنة ودلَّ عنوانه على الفتنة عقيب الفتنة، وبانت حقيقته فيه في الفينة حد الفينة. الغريب من إن حضر كان غائبا، وإن غاب كان حاضرا. الغريب من إن رأيته لم تعرفه، وإن لم تره لم تستعرفه. أما سمعت القائل حين قال:

بم التعلُّل لا أهلٌ ولا وطن ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكَنُ

هذا وصف رجل لحقته الغربة، فتمنى أهلا يأنَسُ بهم، ووطنا يأوي إليه، ونديماً يحلُّ عقد سرِّهِ معه وكأساً ينتشي منها، وسكناً يتوادع عنده ... وشتته الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب،- **وفي الجملة: أتت عليه المصائب**

---

1 – Patrick Charaudeau , Dominique Maingueneau : Dictionnaire d Analyse du Discours, Edition du Seuil, Paris, V.1, 2002, p 417.

2 – Gerard Genette : Palimpsestes, p11.

والنوائب، وحطته بأيدي العواتب عن المراتب- فوصف يحفى دونه القلم، ويفنى من ورائه القرطاس...لأنّه وصف الغريب الذي لا اسم له فيذكر، ولا رسم له فيُشْهر...» [1] ، فهنا نجد الاعتراض يتحدث باختصار عن النص الذي سبقه تقوم بينهما علاقة شرح وتعليق حيث بجمع كل ما قاله سابقا، مما فيه مطلع قصيدة للمتنبي، في جملة تعتبر بديلا دلاليا وفي هذه الرسالة الثانية عشر، الموضوع واحد، وهو الغربة. وفي الرسالة التاسعة، نجد تعليقا على النص السابق مباشرة، تعبر عن وجهة نظر التوحيدي «يا هذا: كم تعذبني وتؤذيني، وتحجبني عن مصالح شؤوني، بشرح فتوني وفنوني. والله مايحل لك، ليس هذا من حق الصحبة، ولا من ذمام العشرة، ولا من حسن العهد في الصداقة. أَبْقِ علَيَّ لي، وإلاَّ فأبقني لك. ما هذه المطالبة الشديدة وهذه الهزة المقلقة، وهذه الفظاظة المستعملة، وهذه القسوة المتكلفة. أرسل خِناقي، واطلب مني ما أملك ولا تَشُقَّ عليَّ فلست من حجر ولا من حديد:

كم تحملون على ضعفي فأحتمل » [2]

فجملة «كم تحملون على ضعفي فأحتمل» جاءت كاختصار وكبديل دلالي لموقف طرح، فيها تعليق الكاتب على علاقته بالمخاطب الذي يسعى لملاقاته والتواصل معه بشتى الوسائل «أحبائي على القرْب بالتصافي وعلى البعد بالتوافي: ... لأنّي إذا ذكرتكم ذكرت بكم ما أخلقَ جديدُه وإذا حننت إليكم حننت حنينا ما ترعرع وليدهُ، وإذا وجَدْتُ بكم وجدت وجداً ما لانَ شديدُهُ... وإذا صافحتُ طيفكم صافحت طيفاً لا ينقضي نزوله وصعوده... فما أشدَّ بكائي بَعدَكم على بُعْدِكم، وما أكثر تلفتي نحوكم، وما أبلغ تذكري شجوكم:

---

1 - الإشارات، ص82.

2 - نفسه، ص64.

من أيّ نواحي الأرض أبغي وصالَكُمْ وأنتم ملوكٌ ما لَمَقصدكم نَحْوُ

.... فقولوا لي الآن:

كيف التلاقي والمزار بعيد؟ أم كيف التواصل والرقباء أسود؟... أم كيف التّوجه والطريق مسدود؟...»[1] فالبيت الشعري الذي كتبه الملك بن صالح إلى الرشيد معتذراً يعتبر بديلا دلاليا ومختصراً علّق به التوحيدي على الحالة التي كان يعيشها وهو بعيد عن الأحباب. أمّا في الرواية فنجد الشرح والتعليق في قطع لغوية متفرقة.

يعرف سعيد يقطين الميتانص، على أنّه « نوع من المناصة لكنها تأخذ بعدا نقديا محضا في علاقة بنية طارئة مع بنية نصية أصل. لذلك فإننا في مرحلة قد نحدد "المتفاعل النصي" أولا على أنه "مناص"، وبعد تحديدنا لنوعه وعلاقته بالنص، ننتقل إلى اعتباره "ميتانصا" ثانيا.»[2] يأتي كاملا وبنية قائمة بذاتها. ويقوم على النقد، أي أن الميتانص يأتي نقدا للنص، في تفاعله مع بنية نصية أخرى «ويجيء بنية نصية مستقلة ومتكاملة، سواء جاءت بعد البنية النصية الأصل...، أم عن طريق العرض الذي تتحدث من خلاله شخصية من الشخصيات، أي أنه يأتي متخللا كلام شخصية أخرى.»[3] ليعتبر بذلك إعادة صياغة أو طرح بديل دلالي لفكرة طرحت سابقا.

ونجد في الرواية ذاتين متباينتين الرّاوي والكاتب. والرّاوي يشكل ذاتا من ورق وهو الشيخ، الذي أسندت له عملية السرد، بصوته المتهدج الذي يضطلع بعمليتي رواية الأحداث والوصف. في حين أن الكاتب هو الشخص المؤلف للنص (عبد الملك مرتاض). وهو عالم بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة بين القيل والقال، يضع شخصياته في الموقف ويختار لهم ما يقولون وما يفعلون، ومتى

---

1 – الإشارات، ص25–26.

2 – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص99.

3 – نفسه، ص 120.

يتدخلون، ويكرر ويزيد ما يحلو له. وليس للقارئ إلا أن ينقاد خلفه حتى آخر سطر في الرواية. ويتدخل أيضا ليعلق على الأحداث المروية أو الأماكن الموصوفة أو تصرفات الشخصيات. وحين يعلق الكاتب فإنه يدخل في حوار مع القارئ فيسأله أو يخبره أو يمده بمعلومة. كما أنّه بالانتقال من الراوي إلى الكاتب يتم الانتقال من الخطاب الموضوعي إلى الخطاب الذاتي[1] ويتحقق ذلك فيما يلي:

- **التمهيد للسرد:**

مهّد الكاتب الرواية بالراوي خارج حكائي، الذي أسند لشيخ رواية وسرد أحداث الرواية. بغرض خلق عناصر تجعل من القارئ مشوشا إلى نهاية الرواية، لأن السند مرتبط بشيخ قد ينسى، يحمل فيه وصفا له، يمحي فيها علاقة الرواية بالواقع. فكما أن العنوان يؤثر في النص فالجملة الأولى أيضا، يقول الراوي:« الشيخ يتهدج صوته. تطول لحيته البيضاء. يغمض عينيه. يسترجع أنفاسه. كأنه يحكي لأهل الحلقة منذ دهر طويل. أجهده التعب. يسترسل وكأنّه يهمس:...» [2].

- **الإبلاغ عن المتكلم:**

وهذا بوقف السرد والإعلان عن الراوي الذي يتدخل بطريقة مباشرة، في "قال الراوي" والذي يقدم معلومات حول الشيخ وما يرويه في سرده للحكاية، يقول «قال الراوي الذي كان يحضر المشهد: حين وصل السارد إلى أمر أهل الربوة السوداء اضطرب عليه الأمر. وتوقف عن الكلام...ولم يستطع أن يتم حكايته لنسيانه بعض الأحداث المهمة التي لا يمكن للعمل السردي أن يقوم إلا عليها.»[3]. وهذا كشف واضح لآلية السرد، التي اتبعها عبد الملك مرتاض لتقريب القارئ أكثر إلى فهم اللعبة السردية وتحولاتها. وهذا ما نلاحظه أيضا

---

1 – أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص 142.

2 – الرواية، ص03.

3 – نفسه، ص 87.

في تدخله للكشف عن الراوي الذي ينقل الرواية وبطريقة غير مباشرة، في «وهنا سكت الراوي. الشيخ العجوز. يبدو أن ذاكرته ضعفت فبدأت تخونه.»[1].

كما يقدم المعلومات والروايات المتعددة والغريبة التي ذكرت عن عالية بنت منصور، بقطع السرد (سرد عالية) وتغيير الراوي: «... وهناك وضعني في قصر بديع عجيب...

قال الرّاوي:

شاع في بعض الروايات الضّعيفة أن عالية بنت منصور كانت زُفّت لأمير من أبناء الملوك الكبار. فكان جرجريس يعشقها. لذلك اختطفها ليلة زفافها قبل أن يدخل عليها زوجها... وهذه الرواية مكذوبة ومقطوعة السند...

ويذهب بعض الرواة الذين يتزيدون في أخبار الناس إلى أن عالية بنت منصور كانت تقيم بعين وبار. وكان شمهروش ملك الجان يقيم عليها حراسة مشدّدة... كان شمهروش يضاجع عالية حين كانت تأتي ليلتها. كان لشمهروش ثلاثمائة وخمسٌ وستّون صبيّة. فكان يضاجع كل واحدة منهنَّ ليلة واحدة في العام...

لكن هذه الرواية أيضا أضعف من الأولى...

بل الصحيح أنّ عالية بنت منصور أنقى من ذلك وأطهر. لم تكن بالكائن الذي يفعل به الرّجال ما يفعلون بالنّساء. إذ لا هي امرأة حقيقيّة. ولا هي رجل حقيقيّ. ولا هي حيوان حقيقيّ. ولا هي شيء من الأشياء. ولكنها كائن طاهر رفيع الشأن. يجمع بين كل مواصفات الحياة. ومواصفات الجمال العظيم. دون أن تكون ذكرا أو أنثى. أو جنّيّا أو ملاكا...

أنا عالية بنت منصور... كما تراني الآن... »[2].

---

1 – الرواية، ص95.

2 – نفسه، ص67–68.

وعن الصبيّة النورانيّة « ومع ما يعلم أنّها ليست له. ولم تخلق من أجله. وأنّ أمّها لم يضاجعها رجل من الرجال... كانت أمّها تسبح في العين العطريّة... وإن هي لتلعب بالماء... وإذا رجلٌ تجده على ضفّة العين العطرية... وهو يحدّق ببصره إليها. كأنّه يريد أن يلتهمها... ولكن دون أن يباشرها. ثم اختفى فجأة. فلم تره من بعد ذلك اليوم قطّ. لكنّها أحسّت بعد زمن أنّها ليست طبيعية... وأنّ هناك شيء ما في بطنها... وإلى أن أصبحت تلك الصبيّة النورانيّة العجيبة التي أراد اليومَ شيخُ بني بيضان ان يغافصها بالمضاجعة الْمُباعضة...

قال الرّاوي:

وهذه الرواية المحكيّة عن أصل هذه الصبيّة تنفي الرّواية الأولى التي تذهب على أنّها ابنة عالية بنت منصور وجرجريس... »[1].

أما الرّاوي فإنه يتوقف في سرد الحدث بالتوقف والقطع يمكن له أن يطول أو يقصر في نص اعتراضي تكون وظيفته ما يلي:

- السرد الاستذكاري Analepses، والغرض منه ايراد وقائع سابقة تسهم في شرح أو تعليل الموضوع المحدث عنه أثناء السرد.

- الوصف والتعليق والانتقال من حدث إلى حدث بتغيير الفقرة، حيث تخصص للحدث المنتقل إليه فقرة جديدة. وتتسم هذه القطع الوصفية الفاصلة بالتكرار.

ونمثل لهما كما يلي:

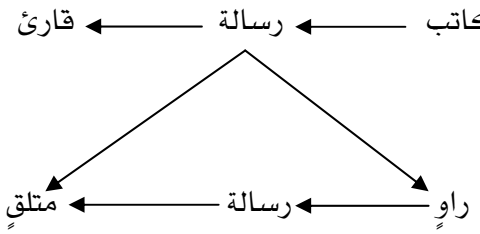

1 - الرواية، ص142-143.

- **الاعتراض كميتانص:**

يمثل الاعتراض باعتباره بنية نصية مستقلة، والتي ترد شرحا وتعليقا ووصفا ميتانصا صريحا. وتأتي على شكل حكايا مضمنة في الرواية. تشكل وجهة نظر الكاتب، وهي ذات بعد حكائي سردي. وهي تمهيد لواقعة وحكاية. ليتفاعل مع النص يقول سعيد يقطين: « الميتانص يتفاعل مع النص من خلال موقفه منه وانتقاده إياه وعبر هذا التفاعل يكون النص، وهو ينتج ذاته ينتج نقيضه أيضا.»[1]. فالرواية تعيد نفسها وتصبح استشهادا للزمن والوقائع التي تشبهها. وهو قريب من المناصة Paratextualite ، إذ تأتي مجاورة للنص الأصلي كشاهد تربط بينهما نقطتا التفسير، أو شغلهما لفضاء واحد في الصفحة عن طريق التجاوز، كأن تنتهي بنية النص الأصل بنقطة ويكون الرجوع إلى السطر، لنجد أنفسنا أمام بنية نصية جديدة لا علاقة لها بالأولى إلا من خلال البحث والتأمل[2]. وتأتي خاصة في ذيل الكلام. وعادة ما يأتي الشرح والتعليق بعد النص المراد تفسيره، إلا أن عبد الملك مرتاض يعكس هذه العملية، في قوله:

«... لم يخبر بذلك إلا عقلاء القبيلة وشيوخها وعلمائها قبل زمن الاغتيال...فكان يخرج كل ليلة إلى جذع الشجرة التي كان انطلق منها بعيره إلى عين وبار وينتظر هناك طويلا لعل ذلك البعير العجيب أن يعود إليه فيذهب به إلى تلك العين المباركة... لكن البعير لم يعد إليه قط...

« قال الليث: وبار، أرض كانت من محال عاد بين رمال يبرين واليمن. فلما هلكت عاد أورث الله ديارهم الجن فلم يبق بها أحد من الناس... وكانت أرض وبار أكثر الأرضين خيرا، وأخصبها ضياعا، وأكثرها مياها وشجرا وتمرا. فكثرت بها القبائل حتى شحنت بها أرضهم. وعظمت أموالهم. فأشروا وبطروا وطغوا. وكانوا قوما جبابرة ذوي أجسام فلم يعرفوا حق نعم الله تعالى.

---

1 – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص 120.

2 – نفسه، ص 111.

فبدل الله خلقهم. وجعلهم نسناسا للرجل والمرأة منهم نصف رأس، ونصف وجه، وعين واحدة، ويد واحدة، ورجل واحدة. فخرجوا على وجوههم يهيمون في تلك الغياض إلى شاطئ البحر يرعون كما ترعى البهائم. وصار في أرضهم كل نملة كالكلب العظيم. تستلب الواحدة منها الفارس عن فرسه فتمزقه. ويقال: إن ذي القرنين وجنوده دخلوا إلى هذه الأرض فاختلس النمل جماعة من أصحابه...

وفي كتاب أخبار العرب أن رجلا من أهل اليمن رأى إبله ذات يوم فحلا كأنه كوكب بياضا وحسنا فأقره فيها حتى ضربها. فلما ألقحها ذهب ولم يره. حتى كان في العام المقبل فإنه جاء وقد نتج الرجل إبله وتحركت أولاده فيها. فلم يزل فيها حتى ألحقها. ثم انصرف. وفعل ذلك ثلاث سنين. فلما كان في الثالثة وأراد الانصراف هدر فأتبعه سائر ولده. ومضى. فتبعه الرجل حتى وصل إلى وبار. وصار إلى عين عظيمة. وصادف حولها إبلا حوشية وحميرا وبقرا وضباء وغير ذلك من الحيوانات التي لا تحصى كثرة. وبعضه آنس ببعض. ورأى نخلا كثيرة حاملا وغير حامل. والتمر ملقى حول النخل قديما وحديثا بعضه على بعض. ولم ير أحدا.

فبينما هو واقف يفكر إذ أتاه رجل من الجن فقال له: ما وقوفك هاهنا؟ فقص عليه قصة الإبل. فقال: لو كنت فعلت ذلك على معرفة لقتلتك، ولكن اذهب وإياك المعاودة فإن هذا جمل من إبلنا عمد إلى أولاده فجاء بها. ثم أعطاه جملا وقال له: انج بنفسك. وهذا الجمل لك. فيقال: إن النجائب المهرية من نسل ذلك الجمل.

ثم جاء الرجل وحدث بعض ملوك كندة بذلك. فسار يطلب الموضع فأقام مدة فلم يقدر عليه. وكانت العين عين وبار.» »[1].

فهذه القصة هي تعليق وشرح على ما ورد لدى الرواة ونقلة الأخبار، بأن ما لشيخ بني خضران من معارف وحكم والتي لا يضاهيها فيه أحد، والتي كان

---

1 - الرواية، ص114- 115.

قد تعلم فيها كل علم في سبع ليال وأن الفتح الذي أصابه بزواجه من الصبية الحسناء، يعود الفضل في ذلك إلى الجن التي علمته في عين وبار العجيبة، حين دفع إليها في أحد الليالي المظلمة، وقد ركب بعيره الذي كان في حقيقته بعيرا عجائبيا- كما ورد في الرواية- ، وأن قصته تشبه ما ورد في معجم البلدان. إذ قام الكاتب بقطع السرد بقصد التعريف بهذا المكان الذي لا يعرفه القارئ، فجاء به كمعلومة جديدة لما سبق إخباره وتصحيحا له «... فمنهم من ذهب إلى أنها أزلية يعود عهدها إلى عصر الدينصور الأول. ومنهم من ذهب إلى أنها هي العين الحمئة التي كان بلغها ذو القرنين ووجد عندها قوما...» [1]، لإزالة بعض الغموض والشك حيث أنه يعتبر أنقاض مدينة عاد التي أورثها الله للجن. وكتمهيد لما سيتم الإخبار عنه، من أعاجيب سببها عين وبار كفرض فترة الاستيقاظ في الليل والنوم في النهار، بسبب أن الزوجة الجنية لو رأت الشمس سوف تطير حالا إلى أهلها ببلاد الجن ولسهولة التعامل بين الروابي عند ممارسة الاغتيالات. والتي يبقى سر الوصول إليها (إلى العين) غامضا، ليحمل بذلك بعدا عجائبيا وأسطوريا.

وفي ذيل الكلام عن شيخ بني خضران، وأعاجيب زوجته. يمهد الراوي للحديث عن أهل الربوة البيضاء، لينتقل بذلك إلى موضوع آخر « الشيخ الأغر الأبر شيخ بني خضران. صاحب الهمة والشأن. في جميع الأزمان. يريد بنو بيضان أن يساووا بينه وبين شيخهم الجاهل الخامل العاجز وهم لا يستحون؟...»[2].

ونفس القطعة نجدها مكررة في الرواية لكن هذه المرة في مقام آخر وعلى لسان الراوي[3] في الحديث عن انتشار الاغتيالات كثقافة والتي نسبت إلى الجني جرجريس والتعليق على ذلك «...ويحكى أن رجلا من أهل اليمن رأى في

---

1 – الرواية، ص113.

2 – نفسه، ص117.

3 – الرواية، ص 151– 152.

إبله... وكانت العين عين وبار...» وجاء في الأخبار الموثوقة تعليقا على هذا الخبر الذي صح عند جميع الشيوخ. إلا شيخ بني زرقان أن الجن ليست هي التي تغتال الناس في الروابي السبع. لأن سلوك هذا الجان مع الرجل الذي دفع إلى عين وبار كان سلوكا عادلا... فهذه الحكاية العجيبة تثبت براءة الجن من الاغتيال. وتثبت التهمة على رجال من شرار الناس...[1].

ونلتقي بقصة أخرى تعتبر انتقالا إلى حكاية أخرى، وتمهيدا وشرحا لها، لما بينهما من مماثلة كبيرة اعتمدها الراوي بادماجها في قص حكاية شيخ بني بيضان وزواجه من الأميرة دناتنا يقول: «...انصرف الهدهاد ملك اليمن يريد عساكره. فسار حتى بلغ إلى شرف العالية...العالية بنت منصور... في يوم قائظ طويل... فنظر الهدهاد إلى أفعوان أسود عظيم هارب. وفي طلبه افعوان رقيق أبيض. فأدركه فاقتتلا حتى تعبا. ثم افترقا. ثم أقبل الأفعوان الأبيض إلى الهدهاد فتشبث مع ذراع ناقته حتى بلغ رأسه إلى كتفه. ففتح فمه كالمستغيث فرد يده الهدهاد إلى سقائه فصب الماء في فمه حتى روي. ثم عطف في طلب الأسود فأدركه فاقتتلا طويلا حتى تعبا فافترقا. وأقبل الأبيض إلى الهدهاد كما فعل أولا كالمستغيث فصب الهدهاد الماء في فمه حتى روي. ثم أقبل على الأسود وأخذخ. فلم يزل الأبيض حتى قتل الأسود. ثم مضى على وجهه حتى غاب عنه...

ومضى الهدهاد على شعب عظيم. فاختفى فيه. فبينما هو مستتر بشجر أراك إذ سمع كلاما فراعه. فسل سيفه. فاقبل إليه نفر من جان حسان الوجوه. عليهم زي حسن فدنوا منه فقالوا:

- عم صباحا ياهدهاد. لا بأس عليك.

وجلسوا وجلس. فقالوا:

- أتدري من نحن؟

---

1 - نفسه، ص152.

- لا.
- نحن من الجن. ولك عندنا يد عظيمة.
- وما هي؟
- هذا الفتى اخونا من أبناء ملوكنا. هرب له غلام أسود فطلبه. فأدركه بين يديك. فكان ما رأيت وفعلت. فنظر الهدهاد على شاب أبيض أكحل في وجهه آثار خداش. فقال له الهدهاد:
- أنت هو؟ قال: نعم. قالوا له: ما جزاؤك عندنا يا هدهاد إلا أخته نزوجها منك. وهي رواحة بنت سكن. وقيل ريحانة بنت السكن.

فزوجوه إياها. وقالوا له: لها عليك شرط لا تسألها عن شيء تفعله مما تستنكر منها. فإن سألتها فهو فراقها...قال نعم...»[1]. وهذا لتمكين القارئ من تفسير ما جرى من عجائب الأحداث.

كما قد يأتي الميتانص على شكل موقف أو كلام يتخلل السرد. ليبين وجهات أو زوايا نظر وآراء الكاتب، على لسان الراوي أو أحد من شخصياته، تشكل موقفا في بدائل دلالية عما ذكر من أحداث. فالرّاوي يعلّق في ذيل الكلام عن أعمال أهالي الربوة الخضراء، التي فسر بها تلقبهم بالظلام « ولأنّ الظّلام يلفّكم بردائه الصّفيق؛ ولأنّه يسمّيكم الظّلام... فأنتم الظّلام والنّور الذي يسميكم الظّلام. وتسمّون أنتم النّور الظّلام... لا تحبّون إلاّ النّوم اللّذيذ. الكسل أحلى ألف مرّة من العمل...

- نحن نعمل؟ نحن نتعب، ونكدّ؟ أي منكر؟ العياذ بالله من العمل. ولا بارك الله إلاّ في الكسل... نحن نحب الرّبح الكثير، بالعمل القليل. والله على كل شيءٍ قدير...

ولعلّ من أجل كل ذلك يسميكم الظّلام، الظّلام...»[2].

---

1 – الرواية، ص180–181.

2 – الرواية، ص 22.

ونجد رأي المنادي المسائي في أهل الربوة الخضراء يقطع السرد في قوله: « يقول لكم الشيخ الأغر الأبر...**أنا لا أقول لكم إلا ما يقول شيخكم عنكم. فالعذر لكم ممايقول عنكم، ويغلظ لكم**... وهو يقول لكم...» [1]، وهذا شرح منه وتعليق على الألقاب التي كان يناديهم بها شيخهم الأغر الأبر، التي يلخصها في جملة قبل أن يبلغهم أقوال الشيخ في بداية فقرة جديدة ومكملة، تعترض بينهما: «**يقول لكم، يا عامة اسمعوا أو لا تسمعوا، ووعوا أو لا تعوا**...»[2]، وأيضا نجده في الحوار الذي دار بينه وبين الحضّار، في قوله:

- يقول لكم شيخكم الأغرّ الأبرّ...
- ماذا يقول، حفظه الله، أو لا حفظه...
- يقول... ماذا عساه أن يقول؟
- ليقل ما يقول. فما قولُه فهو قول.

يقول لكم حفظه الله... أنتم الغوغاء. وأنتم الدهماء. وأنتم السّوقة وسفلة السوقة. والعامة أرقى منكم...» [3].

وتقطعه أيضا عالية بنت منصور، لسرد حكايتها والتعريف بنفسها، أو ما يسمى بالسرد الاستذكاري، في «...فأنا خالدة الشباب، أبدية الفتاء. بفضل شربي من عين الحياة...كنت يومئذ بجبل قاف. أتجول وأتمتع بجمال الكائنات النورانية. والتي تقع عليها عيناي.» [4]. وتقطع وصفها وحالتها بتوجيه الكلام إلى مخاطبها، تقول:

«وحانت منّي التفاتة. فرأيت نهرا آخر. فاشتهيت أن أشرب منه. فأنزلني الطَّائر المركوب. فشربت من عسله المصفى...إلى أن حانت منّي نظرة إلى نهر

---

1 – الرواية، ص25.

2 – م.ن، ص86.

3 – م.ن، ص62– 63.

4 – م.ن، ص65.

بديع. له خرير كالغناء الجميل. أنزلني الطائر. فشربت من خمره اللذيذ حتَّى رويت... اشتهيت البقاء هناك على ضفاف ذلك النَّهر النَّورانيّ العظيم. أتمتَّع بجمال تلك الكائنات. وأسبح اللّه وأقدّسه...

وما كان أسعدني بذلك. يا شيخ بني بيضان...

وبينما أنا كذلك إذ أحسسْت بكائن غريب... كان كائنا عملاقا. مكتنزاً. كأنه جسم مصنوع من قضبان الفولاذ... بدأ يحدِّق إليّ ببصره. ويحدّق...» [1]. لتواصل حكايتها مع ظهور جرجريس ووصف غرابته:

« لم يمهلني جرجريس حتى أفكر...احتملني... حلق بي في أعالي الفضاء السحيقة. في سرعة مذهلة. جعلتني أفقد وعيي في بعض الأطوار. إلى أن كان من أمري ما كان...

وجرجريس بعد كائن طيار سباح...

كان كمَنَ لي لعنه اللّه في بعض الرّياض... طار بي في أعالي السّماء... ثم غاص بي في أعماق الأرض. وهناك وضعني في قصر بديع عجيب...» [2]. ونجدها أيضا تتدخل لتكسر بنية الحدث بالشرح والتعليق على شيخ بني بيضان، لتكون جنبا لجنب مع الراوي، لشرح علاقته بالصبية النورانية في:

«... وأنت لا تفتأ تحاول وتحاول. بعد أن استرجعت نفَسَك قليلاً. تحاول الإمساك بشعرها لتبدّده عن جسدها... لولا وصول عالية بنت منصور في هذه اللحظة الهائلة. كانت كأنَّها أحسَّت بما كنت تريد فعلَه من الأفعال الآثمة. في قصرها فجاءت ليقع ما يقع. ويضيع منك ما يضيع. وربما إلى الأبد... ما أشقاك يا شيخ بني بيضان...

...« **وغريب أمر هذا الرجل العاق. أبرأته من الكَمَه والبَرَص والعَرَج. أعدت له نضارة الشّباب. أمّنتُه على صبيتي. آثرته بها لتطوف به في أرجاء**

---

1 – الرواية، ص67.

2 – م.ن، ص 142.

قصري. آثرته بها إكراماً لتقاليد الضّيافة. وتقديرا لمكانته في قبيلته. في ربته. كان ممكنا أن أكلّف أحد غلماني الأشدّاء بالتّجوال به. خفت أن يؤوّل ذلك تأويلاً سيّئا. يُشيع عنّي بين شيوخ القبائل حين يعود إلى ربوته إن عاد أنّ عالية لم تُكرم ضيافته. لم تُحسن استقباله. لم تحتفِ بمقدمه كما يجب أن يُحتفَى بمقدم الكرام العظام. بعد كلّ ذلك يتحول هذا الشّيخ الضّال إلى فحل شرس شبق. يراود صبيّتي عن نفسها ليفسدها عليّ. أو ليُحْبلها فيُسبّب لي مشكلة لا حلّ لها لديّ...» ...» [1]. وفي « **لولا أنّي وصلت في الوقت المناسب...وإلا لكانت الصبية حبلت من شيخ بني بيضان. فيكون ولدها مختلط الدم. دم مدنس ودم نوراني... وكيف يمكن أن يضاجع فان خالدة وخالدة فان؟**»[2]. وهذا لأن العلاقة بينهما، ليتم التواصل، غير متكافئة، لهذا فهو مستحيل. وهذه المقاطع الاستذكارية هي تقرير وتوضيح لأحداث مضت، فيها معلومات وافية تسد ثغرات الغموض التي يمكن أن يحس بها القارئ، حتى يتمكن من فهم موقعها بالنسبة للحدث الأساسي وهو امتلاك عالية بنت منصور والتناحر القائم بين الروابي السبع، وفي محاولة لدمجه في مسار الحكاية.

وهذه الميتانصات، التي لا تأخذ دلالتها خارج السياق الذي وردت فيه، إنما جاءت لتحقيق الأبعاد التالية:

- **المماثلة:** أو التشبيه وهذا ما نلاحظه في المثال الأول. فما روي عن الشيخ الأغر الأبر تشبه قصة الأعرابي في القصة التي وردت على لسان الليث، وما حدث للهدهاد.

- **المعارضة:** وهذا بنقد ما قيل في القصة ومعارضتها في قبيلة بني زرقان. والإعلان عن اللاتواصل الإنساني في تدخلات عالية بنت منصور، بمحاولة تقليد أساليب القص الخرافي والشعبي.

---

1 - الرواية، ص64 -65.

2 - نفسه، ص144.

- **التجاوز**: بالبحث عن الجمالية، بتعميق الدلالة، باستخدام التشبيه، التي يتم فيها حضور الكاتب إلى جانب الراوي. والإيجاز أو الاختصار، في «والريح والدماء والظلام...» [1] الذي هو تضمين لأبعاد رمزية.

وبإسناد عملية السرد إلى شخصية، والتي تعرف أشياءً وتغيب عنها أشياء، فإنه يستعمل هذه التقنية لخلق تشويش على القارئ وتشويق له.

2- الوظيفة التناصية:

اشتق التناص لغة من الفعل الثلاثي: نصص، وحين نقول نصصت الحديث أنصه، إذا أظهرته، وكل شيء أظهرته فقد نصصته [2].

واصطلاحا، التناص هو الحضور الفعلي لنص في نص آخر، ولقد وضحه جابر عصفور في قوله: « يشير المصطلح إلى الفاعلية المتبادلة بين النصوص فيؤكد مفهوم عدم انغلاق النص على نفسه وانفتاحه على غيره من النصوص وذلك على أساس مؤداه أن كل نص يتضمن وفرة من النصوص مغايرة يتمثلها ويحولها بقدر ما يتحول ويتحدد بها على مستويات مختلفة. وتعد كريستيفا أول من صاغ هذا لمصطلح ومنحه مدلولا هو أبعد ما يكون عن فكرة تأثر الكاتب بغيره من الكتاب أو فكرة مصادر العمل الأدبي بمعناه التقليدي، وأقرب ما يكون على مكونات النسق النصي نفسه، حيث يغدو التناص بمثابة تحول لنسق آخر أو أكثر من أنساق أخرى.» [3].

نفهم من خلال هذا التعريف أن هناك تفاعلا وعلاقة متبادلة بين النصوص، أي أن التناص يستلزم وجود نص سابق ونص لاحق وعلاقة تأثر وتأثير بينهما. فيقوم النص اللاحق بعملية إنتاج وإعادة إنتاج نص سابق بفتح علاقة

---

1 – الرواية، ص04.

2 – لسان العرب، ج07، ص97.

3 – ايديث كريزويل: عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، ط1، دار سعاد صفاء، الكويت، ص277.

وحوار معه، بعدة طرق كالاستشهاد والسرقة والإيحاء، ليتم التداخل بينهما بشكل صريح أو ضمني كما لاحظناه في الميتانص الذي يتحوّل إلى تناص في حديث التوحيدي عن الوصال والغربة بالاستشهاد بالبيتين الشعريين، وفي الرواية في الروايتين المدمجتين عن عين وبار من معجم البلدان وقصة الهدهاد عن كتاب التيجان وملوك الحمير. ليتحول بذلك النص الموضوع إلى نص مفتوح على نصوص ثقافية أخرى متباعدة معه في الزمان والمكان. ويكون بذلك الوسيلة في انتقال نص من ثقافة لأخرى ومن عصر لآخر، حتى لو كان على مستوى كلمة، فكل نص أدبي هو «خلاصة تأليف لعدد من الكلمات والكلمات هذه سابقة للنص في وجودها، كما أنها قابلة للانتقال إلى نص آخر. وهي بذلك تحمل معها تاريخها القديم والمكتسب.»[1]، ليكون المفهوم واحدا والكلمات متعددة ولتتولد لديها دلالات جديدة استكشافها مرتبط بمرجعية القارئ الثقافية التي يجب أن تكون مرتبطة مع مرجعية الكاتب ليتحقق التواصل بينهما.

والتعريف أيضا يشير إلى شرح كيفية التناص، والتي تتمثل أساسا في عملية التحويل La transformation التي تعد إحدى عمليات إنتاج النصوص، التي جاءت بها جوليا كريستيفا على أن التناص تقاطع تحويلي مشترك للوحدات المنتمية إلى نصوص مختلفة [2] ليأتي جينيت ليعرفه في قوله: « كل نص ينحدر من نص سابق عن طريق تحويل بسيط أو تحويل غير مباشر.»[3]، بحيث أن النص اللاحق لا يتحدث عن النص السابق، أي أنه نتج عنه بواسطة هذه العملية، دون أن يذكره أو يصرح به بالضرورة[4]. فتتم عملية التحويل أو إعادة النصوص على مستويين:

---

1 – محمد عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1985، ص55 .

2 – عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص301

3 – G.Genette : Palimpsestes, p16.

4 – Ibid. p 13.

1- **تحويل مباشر:** بعزل النص السابق عن سياقه الأصلي وتضمينه في سياق نصي جديد.

2- **تحويل غير مباشر:** يتمثل في المحاكاة أو التقليد Imitation، في النص اللاحق، والتي تستلزم تمكنا لتقليد النص السابق، بالمحافظة ولو بالقدر القليل من دلالته التي وضعت له في سياقها الأصلي، ومرجعية القارئ هنا ضرورية ليتم التواصل.

وبعملية التحويل، فالاعتراض يمثل شكلا من أشكال التناص، وهذا بكيفيتين:

- تضمين النص السابق في مساحة جديدة.
- إعطاؤه دلالة جديدة، مع الحفاظ على الدلالة القديمة كي يتمكن القارئ من فهمها، بموافقتها مرجعيته الثقافية.

ولقد أورد عبد الملك مرتاض في روايته حكاية "رحلة شيخ بني بيضان إلى قصر عالية بنت منصور" والمصاعب التي واجهته أثناء ذلك فأعطى له أوصافا وأحداثا غريبة، وفي سرده لها أخذ من نص سابق دون أن يصرح به، أي بتضمينه ودمجه في النص، أو ما يسمى بالإيحاء Allusion وهو يعني «ملفوظا يفترض فهمه التام إدراك علاقة بينه وبين ملفوظ آخر تحيل تغيراته عليه بالضرورة، بحيث لا يمكن تلقيه دونها.» [1]. ففي هذه الرحلة يضمن قصة «عصا موسى» المستوحاة من القرآن الكريم، يقول: «لا تزال رائحة النتونة التي كنت تجدها في أنفك وأنت تنهب الطّريق إلى عالية بنت منصور. سيّدة نساء الوجود. وأنت تتّكئ على عصاك **التي قيل لك إنّها ربّما ستصل في آخر الزّمان إلى أحد الأنبياء المرسلين فيهشّ بها على غنمه. ويباري بها عصابات السّحرة المَكرة على ضفّة الوادي... فيغلبهم ويدحض حججهم ويفضح افتراءاتهم... لقد ورد في بعض كتب حكماء الرّبوة أنّ هذه العصا عصاك هي التي سيرثها بعض الأنبياء في**

1 – G.Genette : Palimpsestes, p16.

آخر الزمان... وسيهشّ بها على غنمه حين يرعى الغنم ثمانية أعوام. وقيل عشرة أعوام مهراً لفتاة حييّة طاهرة يتزوّجها بعد أن كان سقى لها الماء من البئر التي كان أهل تلك الرّبوة يضعون عليها حجرا عظيما بعد الاستقاء لا يحرّكه إلاّ أربعون نفراً وأنت حرّكته وحدك فسقيت لها الماء. بعد أن تركها أهل القرية وحدها وأبوها شيخ كبير... فهل هذه العصا هي التي تزعم حكماؤكم أنّها ستؤول إلى الرّجل القويّ الأمين...

وأنت تنهب الطّريق. وذلك كان حين كنت تنهبه. أو قيل: إنّه حين كنت تنوي أن تنهبه في آخر الزّمان زمان الأنبياء والحكماء الذين بعثهم الله في آخر الزّمان الذي أنت الآن في أوّله...

...

... وعصاك التي كنت تتّكئ عليها التي وهبك الله إيّاها منذ الأزل...»[1].

فلقد استعار الكاتب قصة عصا موسى من التصوير القرآني، الذي ذكره في مواضع كثيرة ومتفرقة وغير مطوّلة، حتّى أنّه جعلها العصا التي سيرثها موسى عليه السلام، وهي التي توكّأ عليها وهشّ بها الغنم، ليقدّمه مهرا للفتاة التي سيتزوجها، يقول تعالى في كتابه الحكيم: (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)[2]. ويقول تعالى: (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى

---

1 – الرواية، ص128–130.

2 – سورة طه: الآية 18.

ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ) [1]. وذلك أنّ الرّعاء كانوا إذا فرغوا من وردهم، وضعوا على فم البئر صخرةً عظيمة وكان لا يرفعه إلاّ عشرة، وهنا في الرّواية تضاعف العدد إلى الأربعين، فلمّا كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده. وهي العصا التي بارى بها أيضا السّحرة المكرة بما لديهم من خدع قال تعالى: (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ۞ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ۞ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) [2]

وهذا محاولة منه لأن يكشف عن قلوبهم غشاوة الغفلة والسذاجة، فاليد والعصا هما مقام إظهار الخوارق وإبهار العقول والأبصار، عسى أن تكون هذه الطريقة موصلة إلى المقصود. ليمتزج بذلك الخيال بالواقع، في صورة خرافية تقترب إلى التفكير الشعبي الساذج، خلق بها نصا جديدا في سياق جديد، ينطلق منه القارئ لتشكيل فهمه وتفسيره لأنّها استدعاء للذاكرة والمخزون أو المرجعية الثقافية المشتركة، التي تستعين بالخيال والتوقعات المحتملة.

وعند وقوعنا على الاعتراض في المدونة، نلاحظ أن الكاتبين يستعملان نصوصا مكتوبة قد قيلت من قبل وأعدت ووضعت لمقامات مختلفة، ولها معان موجودة سلفا ومشحونة بدلالات مسبقا. ومن أجل نجاح عملية التواصل، فإنه لا بد من قسط مشترك من التقاليد اللغوية والأدبية بين المتخاطبين[3]، يختاران منها

---

1 – القصص، 23–28.

2 – الأعراف، 117 – 122.

3 – محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992، ص135.

ما يمكن دمجه في بنية الخطاب والدلالة التي تتوزع على مساحته، وما هو موافق للمقاصد والأهداف المراد ابلاغها. فبالانتقال من النص إلى الميتانص فالتناص، فإننا ننتقل من استعمال لآخر ومن زمن لآخر ومن دلالة لأخرى.

- **الاعتراض كتناص:**

تعتبر اللغة أداة تواصل في سياق معين، للتعبير عن معان وتحقيق مقاصد « فإذا قصد النحوي المهتم بالجملة أن يقدم أحكاما بشأن مدى "نحوية" جملة من الجمل، فإنّه يعتمد ضمنيا على اعتبارات ذات علاقة بالسياق.»[1]، أي معرفة الظرف أو السياق الزماني والمكاني للحدث إضافة إلى الموقف أو المقام والإحالة، ما يحقق فهمها بإزالة الابهام في كثير من الكلمات في مواقعها. ومع مراعاة التفاعل بين دور الفرد في الآداء وغاية الآداء، يمكن أن نصل إلى فهم المقام Context of Situation. فإذا تلقينا الجمل الاعتراضية دون معرفة بموقعها ومعناها وغاياتها، فسوف نتلقاها باستفهام استنكاري لذا يجب أن تكون لدينا معلومات كافية عنها، ليتم تكييف الموقف بين ما نتلقاه والمعلومات المشركة والمخزونة.

ويرتبط مفهوم كلمة "تداولية" في الدراسات، بالتمييز بين المعنى المباشر Denotation (الحرفي) والمعنى غير المباشر Connotation (التلميحي) للغة. وهذا ما يدخل في تداولية الدرجة الثانية، التي هي « دراسة للطريقة التي ترتبط بها القضية بالجملة المعبر عنها. إذ على القضية المعبر عنها، في كل الحالات أن تتميز عن الدلالة الحرفية للجملة.» [2].

---

1 – خليل أحمد عمايرة: المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ط1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان 2004، ص 355.

2 – فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص51.

- **الدلالات المقامية:**

يخرج معنى الجملة الاعتراضية إلى دلالات كثيرة، يقتضيها المقام الذي استعملت فيه، كما نلاحظ ذلك في الأغراض والمقاصد التي جاءت فيها، وفي استخدامها في عدة أنظمة، التي تكون دالة على الإخبار أو الإنشاء في معانيها المختلفة. وفي اللغة العربية نجد أن الجمل المستخدمة كاعتراض أثناء التواصل هي **جمل محفوظة أي تناصات**، لها من المزايا ما يجعلها تستعمل في نفس المواقف تقريبا تحمل دلالات متداولة في الاستعمال. أي أنها مرتبطة بالمتكلم والمقاصد من قوله وما يتوقع من آثاره على المخاطب « إن من المقال ما يتصف بصفات معينة... تجعله صالحا للاستحضار في المقامات التي تشبه مقامه الأصلي الذي قيل فيه، فيصبح المقال القديم جزءا من المقام الجديد فيدخل في تحليل هذا المقام الجديد.» [1]. إذ يمكن لكلام متداول قيل في مناسبة ما أن يؤثر في مقام جديد.

ومنها الجمل الاعتراضية التي غرضها الدعاء، فهي تجري على الألسن في مواقف يريد فيها المتكلم الخير أو إبعاد الشر عن المخاطب والتعزية أو إلى ما باعثه ارتياح أو اكتراث. ولكل مقصد وغرض تسميته عند العرب، يقول القرطاجني: «أنّ الأقاويل ... لما كان القصد بها استجلاب المنافع واستدفاع المضار ببسطها النفوس إلى ما يراد من ذلك وقبضها عما يراد بما يخيل لها فيه من خير أوشر، وكانت الأشياء التي يرى أنّها خيرات أو شرور منها ما حصل ومنها ما لم يحصل، وكان حصول ما من شأنه أن يُهرب عنه يسمى أداة أو رزءا، وكفايته في مظنّة الحصول يسمى نجاة: سمي القول في الظفر والنجاة

1 – تمام حسان: اللغة العربيّة معناها ومبناها، ص 340.

تهنئة، وسمي القول بالإخفاق إن قصد استدعاء الجلد على ذلك تعزية، وإن قصد استدعاء الجزع من ذلك سمي تفجيعا....»[1].

ونجد من أمثلة العبارات الشهيرة المتداولة التي جاءت كاعتراض في ذيل الكلام مثل عبارة "صلوا على النبي المختار"، «اسمعوا يا "حضَّار"؛ يا أصحاب الحلقة الأبرار؛ اسمعوا ما سأحكيه لكم من عجائب الأخبار... منذ غابر الأعصار؛ **اسمعوا وعوا، وصلُّوا على النبي المختار (ص)...»** [2] التي تذكر عند بدء الكلام أو عند سرد حكاية والدعوة للسماع، كما هو متمثل في الرواية أو الرجاء. أو التي تقال أيضا في مقامات أخرى، كأن تقال لمن [3]:

- يأخذه الغضب منه مآخذه، فيكون المعنى المراد: اهدأ.

- يريدون استوقافه عن الكلام، فيكون المعنى المراد: كف عن الكلام.

- في مخاطبة من يتسرع في القول أو الفعل، فيكون المعنى: تمهل.

- لمن يستكثر الأشياء أو الخير أو المال أو النعمة عند الناس، فيكون المعنى: لا تحسد على الناس.

- لمن يقع في أعراض الناس أو ينال منهم، فيكون المعنى: لا تقع في أعراض الناس.

- لمن يخاطب الناس بشيء من الجفوة، فيكون المعنى: تلطف.

- لمن يستضعف نفسه أو يتردد عن أداء فعل ما، فيكون المعنى: لا تخف أو لا تتردد.

---

1 - حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص337.

2 - الرواية، ص03.

3 - سمير شريف أستيتيه: اللسانيات، ص289.

وأيضا نجد قبلها، العبارة الشهيرة المتداولة منذ الجاهلية «**اسمعوا وعوا**» التي وردت في خطبة قس بن ساعدة المسجوعة في سوق عكاظ يجمع الناس بأعلى صوته لينذرهم ويوقظهم «أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلٌّ ما هو آت آت». والتي استعملها أيضا الحجاج بن يوسف الثقفي في قوله: «أيها الناس اسمعوا وعوا إني أرى فيكم رؤوسا قد أينعت وحان وقت قطافها» عند ولايته على العراق.

فكما نلاحظ، فبالإمكان أن نوافق بين كلام متداول بين الناس وضع لمقام معين وبين مقام آخر وجد المتكلم نفسه يستخدم نفس العبارة في مواقف مختلفة تحمل فيها معنى مغايرا عن المعنى الأصلي الذي وضعت له، وكل معنى يتوقف على ما يريد المتكلم أن يبلغه للمخاطب، أو أن يحقق به التواصل، ليتناسب المقال والمقام. فهي مبنية على دلالة خاصة يمنحها المقام للعبارة، ولا تدل ألفاظها و لا تراكيبها على ذلك فمضمونها مختلف عن ظاهرها. ليحدث هناك اتساع في الدلالة التي تحملها، لتشمل عدة معان أخرى. وهذا ما يدخل في إطار دراسة التطور الدلالي، وبالتحديد في قضية التضييق والتوسيع الدلالي، والذي يتأتى حسب إبراهيم أنيس من عاملي [1]:

- **الاستعمال**: فالتطور الدلالي، هو نتيجة الاستعمال. فهناك دلالة قديمة، ثم استحدثت لها دلالة جديدة.
- **الحاجة**: إلى التطور الدلالي. بإحياء الدلالة القديمة، مما تدعو الحاجة إليه.

وهذا ما نلاحظه في الجمل الاعتراضية، التي تعتبر غريبة عن السياق الذي اعترضت فيه، في أغراضها المختلفة. إذ استخدمت في غير المعنى الذي وضعت له أصلا قصدا، وهذا نتيجة السياق الذي استعملت فيه. إذ ليس لها نفس المدلولات

1 – إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ط3، مكتبة الأنجلومصرية، 1976، ص 138.

المرجعية التي كانت لها في الواقع قبل الدخول في النص، بل نراه يمتلك معاني أخرى يحددها السياق الداخلي المؤلف من الوحدات الدلالية المغايرة[1]. لنستدعي بذلك:

- الأصل اللغوي.
- السياق المغاير الذي ترد فيه.

فمثلا، إذا بحثنا في المعاني الحرفية وأصل الوضع اللغوي في يا غوغاء، سنجد بأن: (يا) حرف نداء و(غوغاء) هو الجراد حين يخف للطيران، وهو الصوت والجلبة[2] ثم استعير للسفلة من الناس والمتسرعين إلى الشر، وهنا الراوي ينادي قبيلة بني خضران. ولكنها أيضا صالحة لأن تدخل في مقامات أخرى، وفي معاني أخرى يحددها المكان و وضع استعمالها بين المتكلم والمخاطب. فالمعنى الأول مدلول له بصيغة العبارة مباشرة، في حين أن المعنى الثاني يتولد عن الأول وفقا لمقتضيات المقام و الحاجة، ويكتسب في الاستعمال. يتضافر فيه المعنى الوظيفي والمعجمي إضافة إلى المقام في غاياته، كالتعبير أو الإفصاح عن الرضى وعدمه بالدعاء والتمني والترجي وغيرها.

«يقول لكم شيخكم الأغر الأبر... **يا همجُ يا رعاع..ويا غوغاءُ**... أمر النساء نُرْجئه إلى حين من الدهر...» [3] والهمج لغة جمع همجة: وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمر وأعينها، ويقال لرذال الناس: همج

---

1 – حميد لحميداني: القراءة وتوليد الدلالة تغيير عاداتنا في قراءة النصّ الأدبي، د. ط، المركز الثقافي العربي ص 116.

2 – لسان العرب: ص 444.

3 – الرواية، ص 25.

هامج وهم الرعاع من الناس، الهمل الذي لا نظام له[1]. والهمج أيضا هو الجوع: وبه سمي البعوض لأنه إذا جاع عاش وإذا شبع مات، قال الراجز:

قد هلكت جارتنا من الهمج،

وإن تجع تأكل عتودا أو بَذَح [2].

ولقد استخدمها الكاتب ليكنيَّ بها على أهل الروابي، ويشبههم بها ليخبرنا عن حالهم ويصفهم في بدائل دلالية تختصرهم، رغبة منه في تقريب صورتهم في الفكر أكثر، يقول الجرجاني: «الكلام على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده... وضرب آخر لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل.» [3].

فالكلام على ضربين، ضرب يمكن أن نصل إليه ونفهمه بمعنى اللفظ وظاهره وحده دون واسطة. وضرب يكون فيه للمعنى الأول دلالة ثانية نصل بها إلى معنى آخر بالتأويل، وهو الغرض والقصد. يقول: «... إنك لا تفيد غرضك الذي تعني به مجرد اللفظ. ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانيا، هو غرضك.» [4]. أي هناك المعنى ومعنى المعنى « فالمعاني الأول هي التي تفهم من أنفس الألفاظ،

---

1 – لسان العرب، ص392.

2 – نفسه، ص392.

3 – الجرجاني: الدلائل، ص202.

4 – نفسه، ص203.

والمعاني الثواني هي التي يومأ إليها بتلك الألفاظ.» [1]. يحدده المقام الذي أحاط بالصياغة والاستعمال، فيكون وصفا أو تمثيلا لفكرة منسوبة إلى الوضع يترتب عنها معان أخرى في النظم يريدها الكاتب لسبب وغاية.

وهذه الغاية هي التي تحدد معنى العبارات في المقام الذي استعملت فيه، ولعل العرب حين تحدثوا عن"المقام ومقتضى الحال"، كانوا يقصدون به ما أطلق عليه تمام حسان "غاية الأداء" [2] ليكون جزءا من المقام. فغاية الأداء لديه، تمثلها تراكيب معيارية "لكل مقام مقال"، قد تنتقل أو تتحول من غايات محددة إلى غايات أخرى، حسب مطالب الاستعمال ومناسبة المقام.

ومن تحويل غايات الأداء على المستوى النحوي، أن الإثبات وهو خبر، قد يتحول إلى أسلوب إنشائي، كالدعاء في "رحمه اللّه". والأمر يتحول إلى دعاء، كما في "اللّهم"، والنداء إلى تعجب، أو بإدخال الأدوات المناسبة والموضوعة للغرض المناسب، حسب شكل معين اقتضته ظروف القول وفرضته حالة و ردود فعل المخاطب، مما يجعل تحول المعنى مرتبطا بالمقام الذي يجري فيه، والذي يسود ساعة الأداء، ومما يساعد على توسيع المعنى. كما قد تأتي لأغراض أخرى يفرضها النص، فكل زيادة في المبنى هي زيادة في المعنى.

إن التأويل الدلالي للجملة الاعتراضية، غير كاف بالاعتماد على المعلومات التي تقدمها الصيغة، بل يجب مراعاة ارتباطها بالمقام الذي استعملت فيه. فالجمل في صيغها الحرفية تتولد عنها معان أخرى، تنتج عن السياق وما يناسب المقام، بالاعتماد على الخلفية المعرفية المشتركة. فأي وحدة أسلوبية توجد في النص الأدبي سواء كان تعبيرا شعبيا أو لغة راقية أو لغة مهنية، لا بد

---

1 – الجرجاني: الدلائل، ص263.

2 – تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 370.

أن يكون لها بالإضافة إلى مظهرها التعبيري مظهر دلالي يرتبط بنوعية التفكير الاجتماعي الذي تنتسب إليه[1].

- تحمل الجملة الاعتراضية دلالات وضعية متفق عليها، أي أنها جزء من الإطار البنيوي للخطاب الأدبي، تساعد على فهم الخطاب. والتناص والميتانص هي معلومات متضمنة ومضمرة ضرورية لتأويل ما يعقب من جمل، وهي جزء مما يقتضيه الخطاب. فهي تعبر بوجه صريح عن جمل سبق ذكرها واستعمالها، وقد تحمل معلومات أخرى ضمنية يتطلبها السياق التواصلي. فالتعليق والوصف والدعاء وقفات ضرورية، تستدعي الذاكرة وتمكن من الاقتراب أكثر بالقارئ، للنظر في الدلالات وربط النص السابق باللاحق والعكس.

-وعملية الفهم ملقاة على القارئ أو المتلقي، فزيادة عن المعنى الحرفي هناك تأويلات تعطى لها في سياق استعمالاتها، تكون مرتبطة بالسياق وعملية التواصل ليحمل الاعتراض وظيفة بالانتقال من:

- محور السياق: الدلالة الخاصة بالاعتراض في السياق الذي يرد فيه.
- محور الوظيفة: الدلالة الخاصة بالاعتراض كميتانص أو كتناص.

- التناص يمثل المظهر الذي تتفاعل به النصوص المختلفة وأساليب متنوعة في النص الواحد. كما أنه يحمل معلومات مضمرة في معلومات أخرى، تكون مستنتجة من استعمال بعض أفعال الكلام (صلوا على النبي المختار) للتعبير عن مقاصد. إذ تستعمل من أجل تنفيذ فعل إنجازي معين. تتحقق في كل من الرسائل والرواية، كونها أنواع نصية، وبهما يتحقق التواصل مع الآخر.

وعملية إنتاج النصوص مرتبطة بالتكوين الثقافي والفهم المشترك بين الكاتب والقارئ، أي أنّ هناك فهما يصوغه منتج النص، وفهما يتنبأ به متلقي النص، فعند «التخطيط الأوّل لنص شفهي أو مكتوب لا يتصور المتكلم أو الكاتب بأية حال الأساس الدلالي الكلي، أي كل المضامين الدلالية للنص

1 – Mikhail Bakhtine : Esthetique et theorie du Roman, p 88.

المنتج، غير أنّه يعرف على الأقل الموضوع أو موضوعات عدّة يرغب في التعبير عنها... فهو يعرف على أي شيء يقصد (غايته)...»[1]، وهذا بصياغته في تعبيرات لغوية مختلفة باتجاه متلق ينجز عليه فعله. وفهم النص يتضمن مكونات خاصة بتداوليته، أي في الشروط التي تستخدم فيها التعبيرات وفق مواضعات ومقاصد.

1 – زتسيسلاف واورزنياك: مدخل إلى علم النص، ص74.

المبحث الثاني

الفعل الكلامي والقول الاعتراضي

تحددت التداولية، إثر صدور كتاب الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين Jean Austin: "كيف نصنع الأشياء بالكلمات"، على أنها جزء من دراسة علم أعم لتعرف على أنّها «دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي.»[1]. لينتقل من المستوى النّحوي واللّغوي والنّفسي للغة إلى المستوى الاجتماعي، وهذا بدراسة اللغة في استعمالها في دائرة التفاعل التخاطبي بين المتخاطبين، من تأثير وتأثر، بشرح الاستعمال اللغوي أثناء التبليغ والتواصل والقصد الذي يريده الناطقون من وراء ذلك. ولقد أقر بأن كل جملة تامة مستعملة تقابل إنجازا لغوياً واحداً على الأقل بمجرد التلفظ بها على نحو جاد، ويميز بين ثلاثة من الأعمال اللغوية[2] :

1- عمل قولي Acte Locutionnaire: وهو الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما.

2- عمل متضمن في القول Acte Illocutionnaire: وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما.

3- عمل تأثيري بالقول Acte Perlocutionnaire: أي العمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيئا ما.

ثم طورها فيما بعد جون سيرل John Searl، ليهتم أكثر بالأعمال المتضمنة في القول. لينظر في المقاصد والمواضعات، إذ يمكن اعتبار الأعمال اللغوية والجمل التي أنجزت بواسطتها وسيلة تواضعية للتعبير عن مقاصد

---

1 – فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 9.

2 – آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 31-32.

وتحقيقها[*]. والمقصد يتحقق بفضل قواعد لسانية تواضعية تحدد دلالة الجملة المستعملة، أي تحقيق المقصد بإنتاج جملة. فالمتكلم بتلفظه تلك الجملة فإنه يبلغ المخاطب بقصده، لما للثاني من معرفة بالقواعد المتحكمة في معنى عبارات اللغة التي يتكلمانها.

تتأتى الدلالة بعد الانتهاء من نطق الكلام المفيد، أي بجملة لها فائدة يحسن السكوت عليها من أجل التواصل إذ «يستحيل أن توصل شيئا إذا لم يكن الخطاب مفهوما فينبغي للخطاب، أي خطاب أن يكون قابلا للفهم.»[1]. وهذا سعيا إلى تحقيق مقصد وغاية، ولا تنفصل عادة، دلالة العبارة عن التأثير الذي يريده المتكلم، وهو أن يتعرف المخاطب على القصد مباشرة ودفعه إلى إصدار حكم معين.

وحين ننتج خطابا، فإنه نريد أن يحدث به شيء ما، فنحن نسعى لإبلاغ مقصد ما في مقام وموقف ما من خلال ما نتلفظ به. كما يمكن صياغة القصد في صيغ أو كيفيات متعددة، كالأمر والاستفهام والإخبار وغيرها. ولقد أدخل التوحيدي كل صيغة من صيغ الجمل الاعتراضية الواردة في علاقة مع نمط الهدف في الفعل اللغوي، فنجد مثلا صيغة الأمر والاستفهام مع الطلب والسؤال في قوله: «... فألِظَّ به، واعتكفْ عليه، وارْوَ بشرابه، وابلُلْ سرَّك بسحابه، وتغنَّ طرباً عليه، وهِمْ عجباً بما حببت به. فإذا فرغت من ذلك –وأنّى لك بالفراغ- فارشش علينا ما فضل من الإحسان إليك وأَنْعم علينا مما أنعم اللّه عليك.» [2]. ومن عادة التوحيدي أن يختم كل رسالة بدعاء في طلب ورجاء، إلاّ أنّه في

---

* – الذي نجد عنده أقدم تعريف للتداولية – حسب فرنسواز أرمينكو – وهو: "أنها جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامة ومستعمليها – مستعملي هذه العلامات –". أي تحديد المعطيات والعوامل التي يتم فيها إنتاج الملفوظ أو الخطاب.

1 – جون كوهن: اللغة الشعرية، ص 105.

2 – الإشارات، ص353.

الرسالة الثّلاثين ينهيها بأمر في بنية مستقلة في ذيل الكلام: «أيّها الرّاغب في العاجلة، الزّاهد في الآجلة...: ما هذا التغير الذي أنت آلفه، وما هذا السهو الذي أنت مُخالفه وما هذا الإصرار الذي يُحْبِط الأصل والفرع، وما هذا التسويف الذي يخالف العقل والشرع، وما هذا الرأي الذي عاقبته الويل والحَرَب، وما هذا السعي الذي قد بار باللّهو واللّعب؟

انتبه يا غافل !»[1]. يمثل بها أساسا مؤشرات إلى مقاصد يتلقاها المخاطب وفق معارف تواصلية مشتركة، يتم من خلالها تحقيق هدف إنجازي أو أفعال إنجازية «إنّ الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني، ليست هي الجملة ولا أي تعبير آخر، بل هي استكمال (إنجاز) بعض أنماط الأفعال.» [2]، لينجز بذلك المتكلم أفعالا تكمل الإنجاز اللفظي أثناء التواصل الفعلي.

والفعل اللغوي المستخدم والمتواتر كاعتراض، لتحقيق الهدف والقصد لدى التوحيدي ألا وهو تعليم التصوف والتربية الروحية، هو الدعاء الذي اجتمعت فيه أفعال جزئية كالطلب بالأمر والنداء والشرط، مما يضمن التواصل مع قرين السوء وإحداث التأثير فيه أثناء التلفظ بالخطاب. فالدعاء، الذي نراه غالبا في الاعتراض قوة كلامية Force Illocutoire، لا تتحقق إلاّ بالتلفظ بها ليجد فيه التوحيدي راحة النفس ليتوجه به مباشرة إلى اللّه في مناجاته، وبحثا فيه عن الآخر ليشاركه التواصل والمعرفة الصوفية والطريق الذي يؤدي إلى النجاة من ملذات الدنيا « ...فلا تجعل التقصيرَ ديدناً لك فليس كل وقت يحتمل ذلك، واحذر نفسكَ وحذِّرها منك، فإنّك إذا ضممتَ حذرك إلى تحذيرك نصحتك وثبتت لك. هذا منتهى قولي لك في هذا الجزء بعد ارتياثٍ وتقاعسٍ اعترَضاني بك ومنك. فاستقو –**أبقاك اللّه**– بما أمرتك بذلك وبما نهيتك عنه من أجله

---

1 – الإشارات، ص204–205.

2 – فرنسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 60.

والسّلام.» [1] « يا هذا: دعني من هذه الهفوات، فقد تُهْتُ في أرجائها بين الهنات والهنات، طالبا قُرْبَه بالصوم والصلاة، والغزو والزكاة: فصومي غزو في الدنيا، وصلاتي نظرٌ بعين المراقبة إلى العدوةِ القصوى... وزكاتي إخراجي كلّي إلى مَنْ هو أَمْلَكُ لي وبه أوْلى... فلا تغفلْ –**عافاك الله**- ولا تفعلْ - **أعانك الله**- فإنّ أَخْذَهُ أليم شديد، يُمْهِلُ ولا يُهْمِل، كيده متين، واستدراجه مكتوم.»[2]. فاللغة نشاط والإنسان يفعل حين يتكلم. ويتحقق الهدف من خلال نمط الحدث ورد فعل السامع النفسية المتوقعة، ففي إطار التواصل المتكلم لا ينتج فقط خطابا، ففي الوقت ذاته يريد التأثير في المخاطب، حيث يكون معنى الكلمة هو استخدامها. ولا يجوز أن تؤخذ اللغة حرفيا أو على أساس ظاهر البنية الحملية، بل نطق كل جملة تنجز في الوقت ذاته أحداث جزئية مختلفة غرضها التأثير في الغير.

وفي الجمل الاعتراضية نجد الدعاء يأخذ وظيفة الفعل المساعد، وهو «كل فعل تقصد نتيجته كشرط كاف لنجاح فعل رئيسي أصلي.»[3]. والذي يعتبر الدعامة التي استطاع بها التوحيدي تحقيق الاتصال مع الغير وإثارته لتفعيل العلاقة التخاطبية فالمتكلم لديه أغراضه، ويريد أن تحصل عباراته على نتائج محددة تتصل في المقام الأول بالمخاطب وما سيحدث عليه من تغييرات. كالدعاء له، أو طلب شيء، أو نصحه. فما نعنيه بفعل ما، متى صغنا عبارة ما هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي يقوم على مستوى تركيبي ونحوي. وحال إنجازه يعطى في حدود التلفظ به بافتراض قصد يهيئه المتكلم بالنظر إلى أفعال المخاطب، ليوجه ويختار أفعاله، في ألفاظه وفقا لها. واختيار الألفاظ هو اختيار للمعاني والدلالات التي تكمن فيها الأهداف التواصلية.

---

1 – الإشارات، ص108.

2 – نفسه، ص436–437.

3 – فان ديك: النص والسياق، ص 240.

ومعنى الجملة الاعتراضية يتحدد في استعمالها، وهذا بوصف الشروط التي تنجز بناء عليها لفهم المدركات والمقاصد في المقامات المختلفة التي يريدها المتكلم. فحينما نقول شيئا ما، فإننا ننجز فعل قولي يشير أساسا إلى بنية نحوية فهمها يتطلب معرفة بالقواعد التركيبية، لأنها هي التي توصل إلى القصد والتأثير في الملتقي « فلا يمكن أن يكون الفعل الإنشائي ناجحا، دون أن يحدث تأثيرا على المتلقي.» [1]. بهدف التغيير لا الوصف. وتتميز هذه الأفعال في الاعتراض بكونها تسند إلى ضمير المتكلم وتفيد إنجاز عمل، كما أنها لا تقبل الحكم بمعيار الصدق أو الكذب، بل يتم الحكم عليها بمعيار التوفيق أو الإخفاق [2].

- **متضمنات القول الاعتراضي:**

استمر سيرل في تطوير الأفعال الإنجازية في بعدين رئيسيين هما: المقاصد والمواضعات. ليهتم **بالأعمال المتضمنة في القول**، أي ما يتصل بمضمون العمل والمقاصد Intentionnalite. فيميز فيها بين [3]:

- القوة المتضمنة في القول: أي ما يتصل بالعمل المتضمن في القول. (أعدك)
- المحتوى القضوي: أي ما يتصل بمضمون العمل. (سأحضر غدا)

فبمجرد التلفظ بجملة ما، فإن المتكلم يبلغ مقصده وفقا لقواعد وكيفيات يعرفها المخاطب، هي التي تتحكم في معنى العبارات وتأويلها. كونها متواضعة في اللغة التي يشتركان في نطقها والتكلم بها « وحقيقة الدلالة في اللغة تؤول إلى ما تواضع عليه المتكلمون بها.»[4]. فالعادات والنظم اللغوية

---

1 – J.Austin : Quand dire c'est faire, Ed : de Seuil, T.Gives Laine, Paris, 1970, p 124.

2 – آن روبول، جاك موشلار: التداولية اليوم، ص 31، بتصرف.

3 – نفسه، ص 34.

4 – محمد عبد المطلب: جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995، ص212.

المعروفة والمتواضع عليها، هي التي تحدد القواعد التي تنتظم عليها الجملة في اللغة، لتحقق وجودها وفهم الفائدة التي تؤديها، في استعمالاتها المختلفة في السياق التواصلي.

بهذا، فمتضمنات القول تشكل من بنية مكونة من فعل/ محمول باعتباره **مخصصًا قضويًا** (إخباريًا)، مرتبطًا بوصف الواقعة يمكن تأطيره في زمان ومكان، وهو الهدف من المنطوقات اللغوية، أي الموجهات الدالة على ما يسمى بالموقف القضوي، وهو محتوى الفعل اللغوي. ومن حمل **ولواحق قضوية**، التي هي «وسائل معجمية تمكن المتكلم من تقويم المحتوى القضوي للفعل اللغوي الذي ينجزه.» [1]، أي أنها تمثل إحدى العبارات الدالة على موقف قضوي «وأنت غير ذكي. **غالباً**. متخوف ومتردد. **حتماً**. وغير حازم. لا تستطيع أن تتكر. وأنت تجمع بين كلّ المساوئ.»[2]، « وما وجد من زمانك الآن، سيوجد في الماضي السّحيق. أو أنه وجد في المستقبل البعيد. لا تدري. **حقا**. لا تميِّز بين دلالات الزمن الفاني. تدري فقط أنَّك تشمّ زهومة الدّم القاني.» [3] «... أنت رجلٌ غير صالح. حتما. وربما ملحد. غالبا. وربما فاسق. يقولون عنك ذلك...»[4] فالعبارات "غالبا" و"حتما" و"حقا"، والتي نراها مستخدمة كاعتراض، جاءت للدلالة على موقف المتكلم من مخاطبه والخطاب الذي تلفظ به «... وتعصف عليكم ريح عاتية... فجأة. وتنتشر سحابة سوداء كثيفة. كالجبل العظيم... وتدمدم الرِّيح العاتية عليكم... ريح مهلكة. **حتما**. لم تروا مثلها دمدمة ولا عصْفاً. هذه هي مقدِّمة الطوفان... يبدو ذلك...» [5]، أي مدى اعتقاده من صدق أو كذب المضمون القضوي.

---

1 – أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص 18.

2 – الرواية، ص17.

3 – نفسه، ص11.

4 – م.ن، ص15.

5 – الرواية، ص246.

وهنا نلاحظ بأن الظروف المستعملة من طرف المتكلم، تدل على موقف سلبي تجاه صدق القضية.

ويمثل للإنجاز في مستوى البنية الحملية، بواسطة مخصص الحمل، الذي ينتقل به الحمل النووي إلى حمل مركزي، و يشكل بعض السمات الزمنية والجهية:

- الحمل المركزي يتكون من: مخصص الحمل + حمل نووي (محمول+ حدود). مثلا: تعيين (السؤال) الذي هو مخصص الحمل + الحمل (أنَّى لك بالفراغ). وإذا كان هناك فعل، فسيكون مخصص الحمل هي الأداة (هل جاء الضيوف).

ويحدد القوة الإنجازية الفعل اللغوي المنجز أو الفعل الإنجازي، الذي يتألف من القضية (المحتوى القضوي) مضافا إليها مخصص إنجازي (إخبار، استفهام، أمر) ويمكن لقضية واحدة أن تواكب إنجازات مختلفة. لنجد فيه، ما هو إحالة على موضوع والتعبير عن قضية «يعبر عن الشكل المنطقي للفعل الانجازي في ارتباطه بمضمون قضوي.» [1]. أي قوة انجازية (أعدك) + مضمون قضوي (أني سأحضر غدا). لتكون لدينا جملة مركبة، تتكون من إدماج جملتين، الجملة الأولى تدل على القوة الإنجازية والثانية تدل على المحتوى القضوي.

وإذا كان المفهوم المركزي للمضامين القضوية هو الحقيقة، فإنّ المفهوم المقابل لأفعال الإنجاز يكون الرضى[2]. ويصبح الأمر مرضيا، حين يكون متقبل الأمر قد أنجز الفعل الذي أمر به «انتبه يا غافل ! « «اسمعوا وعوا. صلوا على النبي المختار «أي حين يصبح المضمون القضوي حقيقيا لديه، وهذا ما يسعى إليه التوحيدي في مخاطباته ومرتاض في روايته. ويصبح السؤال كذلك إذا أجيب

1 – ف. أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 61.

2 – نفسه، ص61.

على المضمون القضوي في الاستخبار. بحيث أن القوة الإنجازية التي يحملها الحمل، هي الأمر والسؤال على التوالي.

ويكون الهدف منه إحداث تغييرات، فهي عبارة عن « تعليمات من المتكلم للمخاطب تستهدف إحداث تغييرات ما في مخزون المعلومات التي يملكها المخاطب.»[1]، لذا فمن المتوقع أن نجد إلى جانب الإخبار، استفهاما ونداء وأمرا، وبما يمكن أن يمده بمعلومات. ليكون القصد تداوليا مرتبطا بمقام الاستعمال، يتحقق بها التفاهم، كما يتضح اعتراضا فيما يلي:

1- **خبر**: أين يشير المتكلم على المخاطب أن يضيف إلى معلوماته فحوى خطابه، وهذا ما رأيناه خاصة في وظيفة البؤرة.

2- **استفهام**: يطلب المتكلم من الخاطب أن يمده بمعلومة « وأنّى لك بالفراغ؟».

3- **أمر**: يأمر المتكلم المخاطب بتحقيق ما يروم إليه، لشد انتباهه ودعوته للمشاركة في الحدث الكلامي «انتبه يا غافل !» «اسمعوا وعوا، وصلوا على النبي المختار»

4- **تعجب**: يشير المتكلم على المخاطب أن يضيف إلى معلوماته، أنه يستغرب فحوى القضية أو يستبعده « وتجاحمت الحقائق بالإبطان والإظهار، وصار –للعجب- النّهار كاللّيل واللّيل كالنّهار.»[2].

ويعتبر المضمون القضوي في الأمر، إنجاز الفعل من طرف السامع، وفي السؤال كذلك. وتقوم وجهة الإنجاز فيها بحصول المتكلم على مراده، بقيام المتلقي بشيء ما، فهدف الأفعال الكلامية هو التأثير في المرسل إليه بإقناعه وحثه وتشجيعه كما نراه واضحا في مقامات الدعاء في أغراضه المتعددة. ويواكب في نظرية الأفعال اللغوية، التلفظ بعبارة لغوية ما إنجاز فعل لغوي معين

---

1 – أحمد المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ص 38.

2 – الإشارات، ص186.

كالإخبار أو السؤال أو الوعد[1]. يكون هذا الفعل مسندا إلى متكلم، وزمنه هو زمن الحاضر أو زمن التكلم. وهذا بفضل القواعد التحضيرية والقواعد الأولية [2]:

- القواعد التحضيرية: لها صلة بمقام التواصل (يتحدث المتخاطبون اللغة نفسها).

- القواعد الأولية: متعلقة باعتقادات تمثل خلفية (يتمنى من تلفظ بأمر أن ينجز العمل الذي أمر به، وليس بديهيا أن ينجز دون هذا الأمر).

فالمتكلم لا بد له من فعل كلام ومن يشاركه في الاتصال، ليبلغ مقاصده ويسعى إلى تحقيقها، في الوضع الاجتماعي. ليتأتى التفاهم بعد التلفظ بالعبارة والصيغة النحوية السليمة، والذي يستهدفه فعل الاتصال، بفضل المواضعات اللغوية. إذن فهناك فعل لغوي ينجزه المتكلم، تكمن في وجهة النظر وفي مقصديته، وفعل لغوي مطلوب من المخاطب إنجازه، تكمن فيه ردة الفعل. فالإنجاز يدل على العلاقة القائمة بين المتكلم ومقاصده من جهة، وبينه وبين المخاطب من جهة، كما تقتضيه الدلالة. ووقوعه مرتبط بهما، وبمدى إنجازه في الزمن الذي وجد فيه، والذي يحدده مخصص المحمول Specifier أو ما يسمى بـ **"الفعل المساعد"**[3] ، لكونه موجه الحدث، وهو الذي يساهم في إحداث تغيرات دلالية، في زمن حدوثه.

فإذا عدنا إلى الصيغ التي تأتي عليها الأفعال، من ماض ومضارع وأمر، نجد أن كل حدث يأتي منسجما معها. إلاَّ أنه وبدخول ما يمكن تسميته الآن،

---

1 - أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص33.

2 - لكي يكلّل العمل بالنجاح وضع سيرل قواعد، هي: القواعد التحضيرية-قاعدة المحتوى القضوي - قواعد أولية-قاعدة النزاهة-القاعدة الجوهرية- قواعد المقصد والمواضعة. للتوسيع، انظر: آ. روبول- ج. موشلار: التداولية اليوم، ص34.

3 - أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص79.

بـ "موجهات الحدث"، سوف تتغير دلالته تبعا للسياق. وتحققه يبقى في موضع الاحتمال، فيمكن أن يقع. كما يمكن أن لا يقع خاصة في حالات الدعاء، التي لا ندري نتيجتها. فزمن وقوع الحدث ونوع الفعل متباينان، لأن الحدث تنتظر نتيجته، أي زمن وقوعه في المستقبل مما يضمن استمرار التواصل.

وهذا التباين هو الذي يخلق مشكلات التباين بين الدلالة المباشرة التي تظهر في الصيغة والدلالة غير المباشرة والتي يدل عليها الاستعمال، في سياق خاص يتطلبه المقام. وفهمها يعود إلى فهم القواعد المتحكمة في قصد المتكلم، والكيفية التي ينفذ بها هذه المقاصد وما تدل عليها بفضل المواضعات والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين. ومن خلال ما سبق نستنتج نقطتين مهمتين هما:

- الجملة الاعتراضية لا تؤدي فقط الوظيفة التخاطبية والمرجعية، بل تؤدي وظيفة تداولية تتفاوت بحسب المقاصد والأهداف التي من أجلها يستعملها المتكلم في خطابه، وبربطها بعناصر السياق التي تسهم في تحديد الدلالة والقصد في المقامات المختلفة.

- الأفعال الإنجازية لا تحقق أو تشكل نصا، بل تتحقق في أنواع نصية، تعرض لنا أفعالا إنجازية متباينة باختلاف المقام. تستخدم فيه لإنجاز أفعال إنجازية معينة. وهذا يعني أن الاعتراض يأتي ليتحقق في النصوص بإدماجه فيها وتداخله معها بما يوافق البناء الكلي للخطاب الأدبي.

خاتمة

تناول البحث الجملة الاعتراضية، فانطلق من تحديد مفهوم الجملة. ثم بيان مفهوم الجملة باعتبار الإسناد، فرأينا بأن المسند والمسند إليه هما اللذان يكونان البنية الأساسية لها، لتكون مستقلة وقائمة بذاتها أو على حد تعبير القدامى "جملة لها فائدة يحسن السكوت عليها". وأساسًا وعلى هذا المعيار النحوي، عرف الاعتراض على أنه جملة يأتي ليفصل بين كلامين لهما الحق في الاتصال لفائدة وأغراض أرادها المتكلم.

ولقد عرضنا الجانب البنائي للجملة الاعتراضية، الاسمية والفعلية، في الاستعمال ببيان نظمها وتصنيف وظائفها، بما تحمله من عناصر ومكونات. ولقد تتبعناها قصد معرفة الوظائف الداخلية والخارجية لها، سواء كان ذلك في:المستوى التركيبي والمستوى الدلالي والمستوى التداولي. وذلك للوصول إلى دراسة نحوية- وظيفية، تعني ببيان مواقع الألفاظ التي تكون الجملة الاعتراضية والعلاقات التي تربط بينها والدلالات التي تحفل بها، باعتبارها تلفظا وانجازا وخطابا ببيان المقاصد والغايات باعتبار المقام وعناصره، التي لها تأثيرها على الجملة دلاليا وتركيبيا. وتوصلنا فيه إلى ما يلي:

- تعرض البحث لمعالجة النحويين والبلاغيين للجملة، والنحوي يهتم بالكيف وتشكيلاته من أجل الوصول إلى فهم البنية وتركيبها. أما البلاغي يضيف إلى ذلك أساس "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" والاختيارات التي يقع عليها المتكلم، وما يطرأ على البنية الإسنادية من عدول عن الأصل من عناية واهتمام. وما يصاحبها من وظائف تداولية مرتبطة بمقاصد تكتسبها في الاستعمال في السياق التواصلي.

- كان النموذج الذي قدمه الدكتور: أحمد المتوكل، هو الأقرب لشروط وصف مكونات الجملة في اللغة العربية من جانب تداولي. ولقد رأينا،

بأنه قسم الجملة باعتبار محمولها إلى جملة ذات محمول فعلي، وجملة ذات محمول غير فعلي. وأن الوظائف التركيبية تتقلص من جانب النحو الوظيفي إلى وظيفتي الفاعل والمفعول، والتي تتحدد من خلالها الوظائف التداولية الأربع التي استقاها من نموذج سيمون ديك. والتي أضاف إليها وظيفة خامسة، هي وظيفة المنادى.

- صنف المتوكل وظيفتي "المحور والبؤرة" ضمن الوظائف الداخلية التي تتواجد في الجملة، ولقد احتوتهما الجملة الاعتراضية في بنيتها. أما الوظائف الأخرى من مبتدأ وذيل ومنادى، فهي من الوظائف الخارجية، أي أنها تقع خارج الحمل. وهنا، وباعتبار أنّ الجملة الاعتراضية مكوّنٌ خارجيٌ عن حمل الجملة المعترض فيها، فهي تحمل وظيفة المنادى ووظيفة الذيل كما لاحظناه عند التوحيدي وكذلك مرتاض. كما أنّ من الجمل الاعتراضية ما يحمل مكونا خارجيا، ولقد رأيناه في وظيفة المنادى. أما وظيفة المبتدأ فهي لا تحمله لسبب رئيسي، وهو أن الجملة الاعتراضية لا تقع في أول الكلام ولا تحتل الصدارة، ولا تحدد مجال الخطاب لتحمل أو تكون عليها جمل أخرى. إنما تحمل عائدا يحيل عليه وتشير إليه، من أجل استمرارية التواصل في الخطاب، وعدم انقطاعه. لذا نجد هذه الوظيفة في الجملة المعترض فيها.

- وفق سلمية إسناد الحالات الإعرابية وتحديدها، فالمكونات التي تحمل وظيفة تداولية داخلية تسند إليها الحالات الإعرابية وفقا لوظيفتها التركيبية والدلالية. أما إذا كانت ذات وظائف تداولية خارجية، فإن الحالة الإعرابية تسند إليها وفقا للوظيفة ذاتها، كالمكون الذي يحمل وظيفة المنادى الذي يحمل وظيفة تداولية خارجية، ولا يحمل لا الوظيفة التركيبية ولا الوظيفة الدلالية. فباعتبار وظيفته التداولية التي تكونه والتي يحملها، نجد له موقعا من الإعراب. فإنه يأخذ حالة النصب. والمكون الذي يحمل وظيفة الذيل يأخذ حالة إعراب البدل، أي وفقا للمكون الذي توضحه.

وقد خلصنا إلى أنّ الجملة الاعتراضية باعتبارها مكونًا خارجيًا، لا تملك وظيفة تركيبية ولا وظيفة دلالية، إلا أنها تملك وظيفة تداولية يخولها لها المقام والوضع التخابري. ورأينا بأنها قد تحمل وظيفة داخلية باحتلالها موقع "بؤرة المقابلة" بين أجزاء الكلام، فهي من التعاليق الموجهة أساسا للمخاطب، ومن المعلومات المرام إيصالها إليه. لذا، فهي تضمن استمرارية التواصل معه في **وظيفتها التخاطبية**، في إطار المعرفة المشتركة، والأهداف التي يروم إليها المتكلم في خطابه للفت الانتباه إلى قضايا أخرى مرتبطة بالوضع التخاطبي. وتجعل من هذه الجملة أساس التوضيح وأساس تحقيق التكامل والتجدد أثناء الفعل التواصلي. سواء كان ذلك في بنيتها أو في موقعها الذي يعطي لها دلالات وأبعاد خطابية أخرى.

- ثم توقف البحث عند دراسة الصيغ التي تحقق التماسك والوحدة في الجملة الاعتراضية. وبما يحقق الذات والمرجعية فيما يسمى بالمبهمات، التي تترك أثرها في الضمائر والظروف. ويقال عن الجملة إنّها مرتبطة الأجزاء، إذا كان الربط فيها جاريا على "موضوع التحاور"، أي محور الجملة أو موضوع الخطاب، الذي يشكل محط الحديث الذي تسند إليه المعلومات، بذلك يكون المحور في الإشارات هو المخاطب وفي الرواية يعود إلى الشخصيات، باعتبارها ذوات تدور حولها أحداث الرواية.

- ورأينا أنّ عدم الاستقرار في الزمن يدل على تحولات في السياق، الذي تدل عليه أزمان الفعل الثلاث، ويرتبط بقواعد اجتماعية. ولحظة التلفظ به هي التي تحدد الماضي من الحاضر من المستقبل.

- معرفة المكان، يحدد بعض الاستعمالات، وله دور في تشكيل الاعتراض كخطاب، كونه من عناصر السياق. ورأينا بأنه اتخذ بعدا خرافيا في الرواية.

- بإدخال الاعتراض يحدث تكسير وتقطيع في البنية إلا أنّ ما يجعل النص موحدا هي أدوات الاتساق التي تمثلت لنا في الإحالة بدورها الفعال في هذه العملية. ولقد رأينا أن الإحالة على المحور تتم بالضمائر، والتي يمكن تسميتها بالعبارات المحيلة وهي تضمن استمرارية الحديث عن المحور الذي هو المحدث عنه في الخطاب وعدم الخروج عنه لئلا يقع الإطناب. وكذلك المبتدأ، فإن الخطاب الذي يليه يكون محتويا على عائد إشاري، يبينه ويعود إليه، باعتبار سياق التخاطب، الذي يدل عليه، ليفهمه السامع. أما استخدام الضمائر المنفصلة فيتم بها الانتقال من محور، أي محدث عنه، إلى محور آخر. وتكون مرتبطة بزمن التكلم الذي هو زمن الفعل اللغوي، لتأخذ الإحالة مفهوما تداوليا، مرتبطا بالمقام وبالوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب.

- يتفاعل الاعتراض ويتداخل مع غيره من النصوص، بإحداث عملية التكسير والإدماج، التي لا تشوش تشويق القراءة والفهم، والمبنية على الخلفية الثقافية المشتركة، وما هو موجود سلفا من المواضعات والقواعد اللغوية المعروفة. ولقد جعل عبد الملك مرتاض من الموروث الحكائي/ الشعبي الرصيد الأساسي لمدلولات الاعتراض في الوظائف النصية التي يحملها من ميتانص وتناص، والتي تميزت بالتكرار والإخبار والمقاصد. لتخرج الجملة الاعتراضية من مستواها التنظيري، لتتحقق حداثيا كبنية نصية داخل بنية أشمل، تحقق كتابة ثانية بإضفاء الجديد في وظائفها التي تأتي لحمل رموز تكتسب دلالتها في سياق خاص، بفعل التخييل والإيهام بالواقع، لتتوسع دلالتها أكثر حين محاولة استقصائها.

- إن الجملة الاعتراضية بأنواعها التي تأتي عليها ليست مجرد بنية شكلية تعترض بين أجزاء الكلام ليتوالد به الخطاب (الجملة) ويتوسع، لتحتل موقع الجملة التي لا محل لها من الإعراب. بل هي بنية تجمع ضوابط أخرى غير

لغوية مرتبطة بالبعد الخارجي الذي ارتبطت به، والذي جعلها غريبة عن السياق ومكونا أجنبيا.

إنّ المنهج التداولي باهتمامه بالجملة كعملية إنتاج، وكونه يتعامل أو يراعي جميع أطراف التواصل والمشاركة في هذه العملية (المرسل- المرسل إليه- الرسالة- السياق) يسعى إلى وصف اللغة كوسيلة للتعبير عن حركة في التعبير عن المعنى المقصود. وليس بتحليلها والتقعيد لها كإنتاج ساكن. ولقد سمح لنا هذا المنهج بالنظر في تراثنا (النحوي والبلاغي) وإعادة قراءته، والذي لمسنا فيه البعد التداولي في بناء الجملة/ الخطاب في سياق مقامي له أهداف ومقاصد.

وبالله التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - قائمة المصادر والمراجع بالعربية:

1 – المصادر:

- القرآن الكريم.
- **أبو حيان التوحيدي**: الإشارات الإلهية، تحقيق: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1982.
- **عبد الملك مرتاض**: مرايا متشظية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.

2 – المراجع:

1. **إبراهيم أنيس:** دلالة الألفاظ، ط 3، مكتبة الأنجلومصرية، 1976.
2. **أبو عثمان الجاحظ**: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.
3. **أبو الفتح ابن جني**: - الخصائص، ج، 1تح: محمد النجار، ط2، دار الهدى للطباعة بيروت.
4. ـــــ: - المحتسب، تح: علي النجدي ناصف وغيره، ، ج 1، (د.ط) المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.
5. **أبو هلال العسكري**: الصناعتين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1981.
6. **أبو يعقوب السكاكي**: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
7. **أحمد المتوكل**: - الوظائف التداولية في اللغة العربية، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء المغرب، 1985.
8. ـــــ: - دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ط 1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
9. ـــــ: - آفاق جديدة في النحو الوظيفي، ط1، دار الهلال العربية، الرباط 1993.

10. ـــــ: - قضايا اللغة العربيّة في اللسانيّات الوظيفيّة (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي، التداولي)، دار الأمان بالرباط، 1995.
11. **آن روبول وجاك موشلار**: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 2003.
12. **أندريه مارتينيه:** مبادئ اللسانيات العامة، تر: احمد حوحو، المطبعة الجديدة، دمشق 1985.
13. **بدر الدين الزركشي**: البرهان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2دار الفكر، 1980.
14. **ابن الناظم**: شرح ألفية ابن مالك، تح: عبد الحميد السيد، دار الجيل ، بيروت، 1998.
15. **ابن رشيق القيرواني**: العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: النبوي عبد الواحد الشعلان ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2000.
16. **ابن منظور**: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1994.
17. **ابن هشام الأنصاري**:- مغني اللبيب عند كتب الأعاريب، تح: محي الدين عبد الحميد مطبعة المدني، مصر، ج2، (د- ت).
18. ـــــ:- شذور الذهب، تح: محمد السعدي فرهود وغيره، دار الكتاب اللبناني، بيروت. ودار القاهرة، مصر، 1999.
19. **بدوي طبانة**: معجم البلاغة العربية، ط1، منشورات جامعة طرابلس، 1977.
20. **تمام حسان**: الأصول، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1411 هـ.
21. **تمام حسان**: اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر 1979.

22. **جابر عصفور**: الترجمة ونشأة الرواية العربيّة، مجلّة العربي، ع 42، الكويت، ماي 2000.
23. **جان سيرفوني**: الملفوظية، ترجمة قاسم المقداد، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1998.
24. **ج. ب. براون و ج. يول:** تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التركي جامعة الملك سعود، 1997.
25. **جمال كديك:** السيميائية والسردية، مجلّة السيميائية والنصّ الأدبي، عنابة، ماي 1995.
26. **جون أوستين**: نظرية أفعال الكلام العامّة، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.
27. **جون كوهن**: بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ط1، 1986.
28. **حازم القرطاجني**: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، ط 3 دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1966.
29. **حسن طبل**: أسلوب التفاوت في البلاغة القرآنية، (د. ط)، دار الفكر العربي، القاهرة 1998.
30. **حميد لحميداني**: القراءة وتوليد الدلالة، تغيير عاداتنا في قراءة النصّ الأدبي، (د. ط) المركز الثقافي العربي.
31. **الخطيب القزويني**: الإيضاح في علوم البلاغة، تح وشر: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، 1985.
32. **خليل أحمد عمايرة**: المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي، ط 1، دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان، 2004.
33. **رابح العربي**: أسلوب الاعتراض في القرآن الكريم من خلال الكشاف للزمخشري دراسة بلاغية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001- 2002.

34. **روبرت دي بوجراند**: النص والخطاب والاجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب القاهرة، 1998.
35. **رولان بارت**: - مدخل إلى التحليل البنيوي للنصوص، تر: منذر عياشي، ط2، مركز الانماء الحضري، بيروت، 2003.
36. ـــ: - نظرية النص، تر: منجلي الشملي.
37. **ريمون الطحان**: الألسنية العربية،ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.
38. **زتيسلاف واورزيناك:** مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النصّ، ترجمه وعلّق عليه سعيد حسن البحيري، ط 1، مؤسّسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2003.
39. **سعيد حسن بحيري**: علم اللغة النصّ، المفاهيم والاتجاهات، ط 1، الشركة المصرية العالميّة للنشر، القاهرة، 1997.
40. **سعيد يقطين**: - انفتاح النصّ الروائي، ط 2، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2001.
41. ـــ: - الكلام والخبر، مقدّمة للسرد العربي، ط 1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 1997.
42. **سلمان كاصد:** الموضوع والسرد، مقاربة بنيوية تكوينية في الأدب القصصي، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002.
43. **سمير شريف أستيتيه**: اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2005.
44. **سيبويه**: الكتاب، تح وشرح: محمد عبد السلام هارون،ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي، الرياض، ج1، 1983.
45. **صلاح الدين حسنين**: الروابط في النص الشعري، مجلة علامات في النقد، الفلاح للنشر والتوزيع، ع 39، مارس 2001.

46. **صلاح فضل**: بلاغة الخطاب وعلم النص، مؤسسة مختار للنشر وتوزيع الكتب، مصر 1996.
47. **صلاح يوسف عبد القادر:** في العروض والإيقاع الشعري، دراسة تحليلية تطبيقية، (د. ط)، الأيّام للطباعة والنشر، الجزائر، 1997.
48. **عباس حسن**: النحو الوافي، ج 1، ط 1، دار المعارف، القاهرة.
49. **عبد الجليل مرتاض**: اللغة والتواصل، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2003.
50. **عبد الرحمن بن خلدون**: المقدّمة، ط 1، دار صادر، بيروت، 2000.
51. **عبد الفتاح عثمان**: دراسات في المعاني والبديع، مكتبة الشباب، القاهرة.
52. **عبد القادر عبد الجليل**: علم اللسانيات الحديثة، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2002.
53. **عبد القاهر الجرجاني**: دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.
54. **عزّت مجد جاد**: نظريّة المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 2002.
55. **عزّي عبد الرحمن**: التحليل النقدي والبنية المؤسّسية في المجتمع العربي، حوليات جامعة الجزائر، ع 9، ج 1، أفريل 1995.
56. **عمر بلخير**: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظريّة التداوليّة، ط 1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2003.
57. **فان ديك**: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.
58. **فردينان دي سوسير**: دروس في الألسنيّة العامّة، تعريب صالح القرمدي وغيره، الدار العربيّة للكتاب، تونس، 1985.
59. **فرنسواز أرمينكو**: المقاربة التداولية، تر: سعيد علواش، مركز الانماء القومي.

60. **كارل ديتربونتتج:** المدخل الى علم اللغة،تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

61. **كمال بشر:** التفكير اللغوي بين القديم والجديد، مكتبة الشباب، القاهرة، (د.ت).

62. **محمد إبراهيم عبادة:** الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، منشأة المعارف الإسكندرية، 1988.

63. **محمد العمري:** البلاغة العربية، أصولها وامتدادها، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

64. **محمد حماسة عبد اللطيف:** بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 2003.

65. محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط 1، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1991.

66. محمد عبد الله الغذامي: الخطيئة والتكفير، ط 1، النادي الأدبي الثقافي، جدّة، 1985.

67. **محمد عبد المطلب:** البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1984.

68. محمد عبد المطلب: جدليّة الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ط 1، الشركة المصريّة العالميّة للنشر، 1995.

69. **محمد فكري الجزار:** لسانيات الاختلاف،ط1، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.

70. **محمد مختار ولد أياه:** تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، ط 1، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، 2001.

71. **محمد مفتاح:** تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص،ط1، دار التنوير، بيروت لبنان، 1985.

72. **محمود أحمد نحلة:** - مدخل إلى دراسة الجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت 1988.
73. ـــــ: - علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظريّة اللغوية عند هاليداي، ط 2جامعة الإسكندرية، 2001.
74. **محمود سليمان ياقوت:** معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، دار المعرفة الجامعية للطبع والتوزيع، الإسكندرية، 2002.
75. **مختار عطية**: علم البديع ودلالات الاعتراض في شعر البحتري، دراسة بلاغية،(د- ط) دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، القاهرة، 2004.
76. **مسعود صحراوي**: الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة اللغة العربية، ع: 10 منشورات ثالة الأبيار، الجزائر، 2004.
77. **مصطفى جطل**: نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة مديرية الكتب والمطبوعات الجامعيةن حلب، 1978.
78. **مصطفى ناصف**: دراسة الأدب العربي، ط 3، دار الأندلس، بيروت.
79. **نور الدين السد**: - تحليل الخطاب الشعري، رثاء صخر أنموذجًا، مجلّة اللغة والآداب العدد 08، الجزائر، 1996.
80. ـــــ: - الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 1977.

ثانيًا - قائمة المراجع الأجنبية:

1. **Austin Jean :** Quand dire c'est faire, Ed. Du Seuil, Paris, 1970.
2. **Bakhtine Mikhail** : Esthetique et theorie du roman, Gaillimard, 1978.
3. **Benveniste Emile**: Problème de linguistique générale, T1, Ed. Gallimard, Paris, 1966.
4. **Charaudeau Patrick et Maingueneau Dominique :** Dictionnaire d'anqlyse du discours, V 1, Ed. Du Seuil, Paris, 2002.
5. **Genette Gerard :** Figure III, Ed. Du Seuil, Paris.
6. **Genette Gerard :** Palimpsestes, La litterature au second degrée, Ed. Du Seuil Paris, 1982.
7. **Du Bois Jean**: Dictionnaire de linguistique, Larousse, Paris,1994.
8. **Maingueneau Dominique** : Approche de l'énonciation en linguistique française Hachette, Paris 1981.
9. **Maingueneau Dominique** : Eléments de linguistique pour le texte littéraire, Bordas, Paris 1987.
10. **Maingueneau Dominique** : Nouvelles tendances en analyse du discours Hachette Paris, 1ere édition ,1987.
11. **Maingueneau Dominique** : Genèse du discours, éditeur Pierre Margada, Bruxelles Liège1984.
12. **Martinet Andre** : Eléments de linguistique générale, ed, Armend Colin, Paris, 1980.
13. **Mounin Georges:** Dictionnaire de la linguistique, P.U.F, 1974.
14. **Orrechioni C.K.**: Les Interactions verbales, tome1, Armand Colin, Paris, 1990.
15. **Orrechioni C.K.** :L'énonciation de la subjectivité dans le langage, Armand Colin éditeur, Paris 1980.

فهرس الموضوعات

مقدمة أ.د. آمنة بلعلى 5

مقدمة 7

تمهيد 15

الفصل الأول

مكونات القول الاعتراضي وضوابط البنية والوظيفة

تمهيد 31

المبحث الأول: البنية والوظائف التركيبية والدلالية 33

1- مكونات البنية الأساسية 33

2- وظائف البنية التركيبية 48

أ - الاختيارات النظمية 50

ب - التراكيب العدولية 54

المبحث الثاني: بنية الجملة الاعتراضية ووظائفها التداولية 61

1- وظائف المكونات الداخلية 71

2- وظائف الشكل الخارجي 86

الفصل الثاني

مقولات بناء النص الاعتراضي

تمهيد 109

المبحث الأول: صيغ تحقيق التماسك الدلالي والمرجع 111

1- الضمائر والشخوص وتكوين الاعتراض 112

2 - الزمان..... 129
3- الأقيسة المكانية..... 139
المبحث الثاني: أثر الموروث الحكائي في مدلولات الاعتراض..... 145
1- البناء الخرافي..... 147
2- خصائص الاعتراض في السرد الشعبي..... 154
أ - التكرار..... 154
ب - الإسناد والإخبار..... 157

الفصل الثالث

الحدث والقول الاعتراضي

تمهيد..... 165
المبحث الأول:الحدث وتغير المسار السردي..... 168
1- الوظيفة الميتانصية..... 170
الاعتراض كميتانص..... 176
2- الوظيفة التناصية..... 184
الاعتراض كتناص..... 189
المبحث الثاني: الفعل الكلامي والقول الاعتراضي..... 198
- متضمنات القول الاعتراضي..... 202
خاتمة..... 208
قائمة المصادر والمراجع..... 213
فهرس الموضوعات..... 221